دول الخليج الفارسي

تأليف: سير روبرت هاي

تصدير: إي. إم. إلز

ترجمة: يوسف الشاروني

570

المشروع القومى للترجمة

دول الخليج الفارسى

تــألــيــف : سير روبرت هاى
تصدير بقلم : إى. إم. إلَــــرْ
ترجـــمـــة : يوسف الشارونى

المجلس الأعلى للثقافة
٢٠٠٤

المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٥٧٠
- دول الخليج الفارسى
- سير روبرت هاى
- إى. إم. إلَرْ
- يوسف الشارونى
- الطبعة الأولى ٢٠٠٤

هذه ترجمة لكتاب :

The Persian Gulf States

By : Sir Rupert Hay, K. C. M. G., K. C. I. E, C. S. I.

with a foreword by

E. M. Eller, Rear Admiral, USN

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 Fax : 7358084

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها ، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس الأعلى للثقافة .

المحتويات

تقديم المترجم

يُعبر هذا الكتاب عن وجهة نظر أحد شهود العيان لدول الخليج العربى فى منتصف القرن العشرين ؛ لهذا فهو أحد مراجع التأريخ لهذه المنطقة السكانية فى تلك المرحلة التاريخية. وجنسية المؤلف البريطانية، ومنصبه كمقيم سياسى أو ممثل لهذه الإمبراطورية الآفلة فى تلك اللحظة التاريخية تلقى بظلالها على وجهة النظر التى يجب أن نتوقعها من صاحبها ونعتبرها ضفيرة فى نسيج هذه الشهادة تهبها لونها المميز الخاص بها بغض النظر عن اتفاقنا أو اختلافنا معها، بل إنها تمدنا برؤية الدولة صاحبة النفوذ فى هذه المنطقة فى تلك المرحلة، والخلفية الفكرية لمن يتفننون سياستها، والحجج التى يبررون بها سيطرتهم على الآخر، لعل أبرزها تلك الحجة التى ترددت فى الكتاب أكثر من مرة والتى تحمل تناقضها فى داخلها: أنه لولا الحماية البريطانية لكانت الدول المجاورة الأقوى قد ابتلعتهم، أى أن بريطانيا قد ابتلعتهم حماية من ابتلاع الآخرين لهم! ورغم هذا التناقض فإنه من حقائق السياسة الدولية، ولعله ما يزال أساسًا يستند إليه مد نفوذ القوى الكبرى على الدول الأكثر هشاشة بحيث وصل الأمر إلى النفخ فى عوامل تهديد الدول المجاورة الأقوى، تبريراً للاحتواء الأكبر.

لهذا فإن القارئ العربى يتنبه إلى أن المؤلف يستخدم ألفاظًا يعبر معناها عن عكس ما تنطبق عليه من أفعال، وهى ألفاظ ليست من اختلاقه بل مستمدة من القاموس السياسى الاستعمارى، لعل أبرزها كلمة "القرصنة" التى يعبر بها عن دفاع رعايا دول الخليج عن شواطئهم ومياههم الإقليمية وتجارتهم البحرية فى وجه قوة استعمارية لم تكن تسمح لهم باستخدام هذه المياه أو الإبحار إلا بعد الحصول على تصريح منها. وقد فنّد استخدام هذا اللفظ الدكتور سلطان بن محمد القاسمى أَمير الشارقة الحالى فى كتابه الذى نشره بالإنجليزية بعنوان "أسطورة القرصنة العربية فى الخليج"، وأوضح أن هذه الكلمة اخترعتها شركة الهند الشرقية - وهى شركة بريطانية كانت

تعمل بالمحيط الهندى فى القرن التاسع عشر- وذلك لأسباب تجارية محضة فى مقدمتها زيادة حصتها فى تجارة الخليج مع الهند على حساب التجار العرب، لاسيما القواسم. ولما لم يكن لدى الشركة أسطول يستطيع أن يواجه أسطول القواسم، فقد حرضت الحكومة البريطانية على استخدام أسطولها المتفوق بزعم أنهم قراصنة يهددون النشاط البحرى فى شمال المحيط الهندى والمياه المجاورة. وقد أدى ذلك إلى قصف رأس الخيمة والقضاء على مقاومة القواسم على نحو ما جاء فى الكتاب.

كذلك تضافر موضوع الكتاب مع زاوية رؤية المؤلف فى مفردات وتعبيرات اتسم بها الأسلوب مهمتها أن تقدم فى قفاز حريرى يد الاستعمار الغليظة، لكنها - لسوء الحظ أو ربما حسنه - شفت وما أخفت.

ومما يلفت النظر أن هذا الكتاب يقدم لنا نموذجًا لحرص حاكم غربى على الاستفادة من فترة عمله فى منطقة كلفته دولته بالحفاظ على نفوذها فيها، والخروج بخلاصة تجربته وتسجيل فترة تاريخية عاشها مع أن التاريخ ليس تخصصه. وهو يبرر ذلك بأن كتابه يمكن أن يُعطى فكرة عن شعوب تلك المنطقة وعاداتها وأوضاعها السياسية والاجتماعية لمن يريد من بنى وطنه التعرف عليها أو زيارتها لعمل أو غير عمل.

والاطلاع على مثل هذا الكتاب يقدم لنا صورة لدول صغرى فى حالة تحول من حضارة القرون الوسطى للقفز إلى حضارة القرن العشرين، وبراعم هذا التحول المبكر. وبالمقابل فإنه يقدم لنا صورة أخرى لتحول دولة عظمى إلى دولة من الدرجة الثانية، وبزوغ قوة كبرى جديدة هى الولايات المتحدة الأمريكية. وقد عبر المؤلف عن أمله اليائس فى استمرار النفوذ البريطانى الآفل فى مقابل النفوذ الأمريكى المتصاعد بقوله : إن الحكام والناس لا يظهرون ما يدل على التخلى عن البريطانيين لحساب الأمريكان، ربما إيمانا منهم بالمثل القائل : «الشيطان الذى نعرفه خير من الشيطان الذى لا نعرفه».

وبالإضافة إلى ذلك فإن قراءة مثل هذا الكتاب تقدم لنا جذور كثير من المشاكل والقضايا التى تتعرض لها دول الخليج اليوم، مثل : النزاع على الحدود حيث تركت بريطانيا أكثر من دولة مع جارتها دون ترسيم لحدودهما، ومثل النزاعات التى تُثار

اليوم بين إيران والبحرين، وبين العراق والكويت. ومثل أهمية النفط للعالم الغربى الذى سيطر على تاريخ تلك المنطقة بل والشرق الأوسط كله النصف الثانى من القرن العشرين وما يزال.

كذلك نلاحظ أن الكتاب كُتب فى الفترة الناصرية، وأنه يعترف بتأثير إذاعة القاهرة على مواطنى الخليج، ويُبدى تخوفه مما يترتب على ذلك من نتائج، لكنه ما يلبث أن يُعلن فى ختام كتابه قائلاً: وأنا أشك فيما إذا كانت الدعوى إلى القومية العربية لها قوة الإسلام .. وإنهم لعلى استعداد للتضحية برفاهيتهم تلبية لدعوة مسلم ملهم متعصب، لكنهم لا يقدمون إلا خدمة كلامية تلبية لأوامر ديكتاتور عسكرى.

ومما يستحق التنويه أن الكاتب لا يفوته الالتفات إلى ما فى الطبيعة من جمال أو قبح، فلا ينسى التحدث عن الصحراء والبحر والطيور تحدثه عن النفط والإدارة.

وإذا كان إى. إم. إلَرْ يقول فى تصديره : إن الغرض من هذا الكتاب مساعدة الغرب على تفهم سكان الخليج أكثر، وقدرتهم على التكيف مع المتغيرات. فإننا نقول من جانبنا : إن أهمية هذا الكتاب فى المقابل تكمن فى أنه يقدم فكرة عن رؤية الآخر لنا، هذه الرؤية التى طالما افتقدناها عند اتخاذ القرار، مما جعلها قرارات طائشة على نحو ما حدث فى شرقنا العربى خلال النصف الثانى من القرن العشرين حين كنا نتجاهل - أحيانا عن عمد وبقرار من أعلى- معرفة كيف يفكر الآخر، مما ترتب عليه غياب الرؤية الكاملة فيما يتعلق بقضايا مصيرية. بينما يحدث العكس تماما على الطرف الآخر حيث الحرص على معرفة دقائق حياتنا بما فى ذلك أسلوب تفكيرنا، ليصبح سلاحًا فى مقدمة أسلحته التى يواجهنا بها. وهذا الكتاب يسهم فى تقديم زاوية من زوايا رؤية الآخر لنا.

تصدير

بقلم : إى. إم. إلَرْ

منذ فجر التاريخ لعب الشرق الأوسط دوراً كبيراً فى تحديد مصير الإنسان؛ فقد كان مركز الحضارة لعدة آلاف من الأعوام، وقدم بعضا من أهم أشكال التقدم التى أثرت فى التاريخ. وقد بدا – لبعض الوقت – أنه فى سبات يحلم تحت أشجار النخيل بماضيه الذهبى. لكنه يجيش اليوم مرة أخرى بالطاقة والقوة الكامنة والآمال العظيمة بتحقيق إنجازات هائلة .. وإلا فالكارثة.

وقد يبدو أن ما يحدث هنا على بعد خمسة أو ستة آلاف ميل من الساحل الشرقى للولايات المتحدة الأمريكية ليس له تأثير كبير على الأمريكيين المشغولين بمشاكلهم الملحة فى وطنهم أو بالاستعمار الشيوعى الذى يلوح فى الأفق منذراً. ومع ذلك فإن الأحداث فى الشرق الأوسط قد تقرر مصير العالم الحر. فمنذ أقدم الأزمنة والشرق الأوسط بمثابة تقاطع طرق للعالم المتحضر، والطريق إلى السلطة، والمعبر بين القارات – وهو فى العصور الحديثة بمثابة شرايين لأية إمبراطورية طالما أن قوة الدول تزداد اعتماداً على البحر. واليوم، فإن وجود ما يتراوح بين ثلثى وثلاثة أرباع نفط العالم فى الشرق الأوسط قد أضافت إليه أهمية خطيرة بالنسبة للعالم الغربى النهم إلى الطاقة.

والكيفية التى يتطور بها الشرق الأوسط خلال هذا الجيل ستؤثر على تطور العالم الحر. وربما يتحدد مستقبل الديمقراطية باختفاء الشرق الأوسط خلف الستار الحديدى الكئيب، أو بحماية القوة البحرية الغربية له، ونموه الرائع نحو الحرية وسط تحول الثورة الصناعية. ومن كان يتخيل أن التطور الذى عاد بالفوائد العديدة الجمّة كان يمكن حدوثه فى جو الحرية العاطر المبارك لو لم تكن الدول الديمقراطية هى التى تسيطر على البحار.

لهذا فعلينا نحن الذين فى الغرب أن ننشد معرفة كل ما يمكن معرفته عن الشرق الأوسط ؛ لأنه كلما زاد كم معرفتنا كان زعماؤنا أقدر على اتخاذ القرارات الأكثر حكمة فى قضايا الشرق الأوسط. وعلينا أن ننشد التعلم بوجه خاص من العقول الراجحة ذات الخبرة. ومؤلف الصفحات التالية واحد من أفضل هؤلاء.

وقد حصل سير روبرت هاى على معرفته الدقيقة للشرق القديم باعتباره خادمًا مخلصًا لبريطانيا أثناء سنوات المد لإمبراطوريتها العالمية التى انحسرت ببطء تدريجيا. وأثناء خدمته المبكرة كان يبدو أن التيار قلما كان يتحرك فى الظاهر، لكنه فى الباطن – وعلى طريقة المد فى كثير من الأحيان – كان يتحرك بسرعة حتى أنه فى نهاية الخمسة عشر عاما الأخيرة تداعت أجزاء كبيرة من الإمبراطورية فجأة كما لو كان يوم الحساب. وقد انهارت الإمبراطورية البحرية الشاسعة الأرجاء التى كان علمها لا تغرب عنه الشمس فى عصر ينشد فيه العالم الوحدة، ويحتاج إليها أشد الاحتياج ؛ ليقف أمام أشد أنواع الاستبداد فى التاريخ. وقد شق الانقسام تجربة عظيمة فى وقت تتطلب أحداثه الوحدة.

وسير روبرت من سلالة الاستعماريين، المدانين اليوم بمقاييس العصر، الذين وهبوا حياتهم لمنح شعوب آسيا وأفريقيا حكمًا سليمًا ومنظمًا، وهم يتطورون ببطء من بيئتهم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التى تنتمى إلى عصر آخر ؛ ليدخلوا عصر الثورة الصناعية. وهذه المعجزة – حيث أصبحت الآلة تقوم مقام العبد فتحمل عنه عبء ما كان يتعرض له من مشاق – قد حققت مكاسب لا تصدق بتحريرها الإنسان من قيوده الأزلية، وهى تبشر بمكاسب أكثر فى المستقبل. ومثلها، مثل أى تغيير، صاحبتها مشاكل مماثلة فى الجسامة. فعندما تكون النتيجة التخبط بدلاً من الوصول إلى الأرض الموعودة. فشعب الإمبراطورية البريطانية – الذى يوصف بأنه استعمارى – كان يحتاج إلى موظفين حكوميين من أمثال سير روبرت .

وحكم الشعب بالشعب له مساوئه دائمًا. وحكم شعب لشعب آخر قد يكون له مساوئ أكثر. ولا شك فى أن المساوئ تختلف فى الحالتين. فأفضل المؤسسات الإنسانية تشوبها أخطاء. ومع ذلك فالنظرة للتاريخ على المدى الطويل قد توضح أن الأجيال الحديثة فى الإدارات الإنجليزية والأوروبية الأخرى عملت على رفاهية الشعوب

التى تحكمها، وأن من أهم أخطار القرن العشرين هو : الإسراع فى التنازل عن هذه الوصاية قبل أن تكون الشعوب على استعداد لتولى مسئولياتها كاملة، وهو تنازل لابد من أن يشترك معه البطء فى تغيير الحكام، وعدم صبر المحكومين، والضغط الأمريكى.

وقد تصادف أن كانت تجربتى الشخصية فى الشرق الأوسط مع مراحل معينة من هذا التخلى من جانب البريطانيين. فقد خاب أمل كثير من مواطنى المستعمرات الذين ناضلوا من أجل الحرية، ذلك لأنهم أدركو أنه مهما كانت مكاسبهم من خلال الحرية، إلا أنهم فقدوا مجموعة من الخدام المخلصين المضحين بذواتهم. ولقد كان من المتعذر - إن لم يكن من المستحيل - إحلال هؤلاء الرجال الحكماء ذوى الدراية بين ليلة وضحاها بالأعداد المطلوبة.

وفى أوائل جولتى بالشرق الأوسط تعرفت على اللفتانت كولونيل سير روبرت هاى وأعجبت به كممثل ممتاز لوزارة الخارجية البريطانية. فقد وهب معظم حياته لخدمة الإمبراطورية فى الشرق الأوسط وشبه القارات الهندية. وحين تعرفت عليه كان قصره الرئيسى فى البحرين جزيرة القبور فى الخليج الفارسى (*) .

بدأ سير روبرت حياته الوظيفية مبكرًا فى الهند، ولم يتوقف قط عن دراسة الشرق القديم. وقد ولد فى بريدبورت **Bridport** بمقاطعة دورسيت **Dorset** عام ١٨٩٣ غير بعيد عن مسكنه الحالى فى كوزواى **Causeway** وتلقى العلم فى برادفيلد **Bradfield** والكلية الجامعية فى أكسفورد. وقد عمل هذا الصرح التعليمى العظيم على تفتيح ذهنه على العالم، لكن رياح الحرب قادته إلى الهند وإلى العمل الذى امتهنه طوال حياته. ففى عام ١٩١٤ - عندما كان فى الحادية والعشرين من عمره - أبحر إلى الهند مع فرقة دورست الرابعة. وفى السنة التالية نقل إلى الجيش الهندى ليقوم بنشاط إيجابى فى رمال بلاد ما بين النهرين حيث ورد اسمه فى الأنباء.

وفى عام ١٩١٧ - وعندما كان ما يزال ضابطًا - تم تعيينه فى الإدارة المدنية لبلاد ما بين النهرين حيث خدم ثلاث سنوات. ويبدو أن هذا التعيين قد حدد مستقبله ؛

(*) عاصمتها المنامة ، ومعناها المكان الذى يرقد فيه الإنسان رقدته الأبدية . (المترجم)

لأنه التحق فى عام ١٩٢٠ بخدمة الإمبراطورية بالهند، وخدم لمدة اثنى عشر عاماً - من عام ١٩٢١ حتى عام ١٩٣٣ - على الحدود الشمالية الغربية، ثم أصبح قنصلاً لمدة ثلاث سنوات فى المفوضية البريطانية فى كابول.

لكنه هجر تلك الوظيفة النائية ليعود إلى دلهى ويصبح نائب وزير الخارجية لدى حكومة الهند من عام ١٩٣٦ حتى الأيام الأولى الكئيبة من الحرب العالمية الثانية. وفى عام ١٩٤٠ ترك هذه الوظيفة ليصبح المقيم فى وزيريستان **Waziristan** . وقام مرة أخرى - بما له من قدرة سياسية عسكرية - بواجبات عسكرية نشطة.

ولكفاءة خدمته أوردت الأنباء اسمه مرة أخرى. وفى عام ١٩٤١ عين مقيماً سياسياً للخليج الفارسى الحيوى الأهمية ؛ حيث تتلاقى تيارات متعارضة لطموحات الكثيرين ونفوذهم قلما ندركها نحن فى الغرب.

وفى العام التالى احتاجوا إليه فى بلوخستان حيث خدم أولاً كمفوض مختص بالدخل والقضاء حتى عام ١٩٤٣، ثم كممثل للحاكم العام حتى بعد نهاية الحرب. وفى عام ١٩٤٦ تم آخر تعيين له فى ذلك الموقع الذى اتسم بالصراع المستمر من أجل الانعتاق من الإمبراطورية متحملاً مرة أخرى مسئولياته كمعتمد سياسى للخليج الفارسى، وتدخل فى نطاق مهمته مساحة واسعة تمتد من الكويت حتى ظفار على البحر العربى وحدود محمية عدن.

وعندما قابلت سير روبرت هاى لأول مرة، أدركت - لأول وهلة - أنه إنسان حكيم متزن عميق التجربة، وأنه أحد الأحياء القلائل الذين يعرفون الشرق الأوسط والهند من خلال حياة ناضجة أمضاها فى العمل هناك، وخدمة شعب المنطقة خدمة أساسها مراعاة المشاعر. وهو لا يعرف فقط بل يتفهم بعمق. وقد يقضى الكثيرون أغلب حياتهم فى بلاد أجنبية، لكن قليلين يستطيعون أن يتطوروا بحيث يصبحون جزءاً من الشعب الذى يخدمونه، وفى الوقت نفسه يحتفظون بالمفاهيم الواضحة لتراثهم الوطنى. وكانت نزاهته - التى لا تعرف الانحراف - ومبادئه العليا هى أفضل تقاليده الإدارية التى تتميز بها السياسة البريطانية فى الدول الأجنبية.

وخلال حياة سير روبرت العامة الشهيرة كان دائب الدراسة لكى يفهم، وكان يكتب ما تعلمه بأسلوب مشرق مترابط. وقد اتضحت فى المخطوط التالى حصافته وحكمته واتزانه التى لابد من أنها حظيت بإعجاب مواطنى البلاد التى كان يخدم فيها.

وهذا الكتيب الممتاز يقدم نظرة شاملة وبشكل سريع على الجغرافيا والتاريخ والأثر الحاد العنيف لما أحدثه النفط من تغيير والمنافسات القائمةِ بين العشائر، وطباع الناس، والطبيعة العامة لكل دولة خليجية ودولة مسقط وعمان.

وهو يحملنى على استرجاع الماضى بصورة حية : فعلى سبيل المثال "إن إمارات الخليج الفارسى المنخفضة ليس لديها مناظر تزهو بها، وهى فى بعض الأماكن قبيحة ومنفرة .. ومع ذلك فإنها ذات سحر رائع .. وأنا أعتقد أن هذا راجع إلى الألوان المتغيرة أبداً للبحار الضحلة التى تحيط بها. وفى كل مكان تقريبا، فإن هؤلاء الذين يعملون فى تلك البلاد الأجنبية الكئيبة يشهدون تحولات الألوان الزرقاء والخضراء والرمادية والصفراء لبحر لا يستقر أبداً على حال، وستنتعش دائما عيونهم المرهقة بمنظر مركب شراعى يندفع بكل سرعته على السطح المتوهج".

هكذا رأيت الساحل المتصالح دائمًا، لاسيما انعكاسه فى البحر عند الشارقة. ولقد اقتربت منه أولاً فى أحد القوارب الصغيرة لبارجة القيادة عند بزوغ القمر ساعة الغسق، فبدا أرضا ساحرة ذا مياه فضية ورمال ذهبية ونخيل ينشر ظله كأنه قماش مخملى تنعكس عليه أضواء النجوم، دليلا على أن ضوء القمر يمكنه أن يصنع المعجزات.

وتطرق سير روبرت إلى كل مظاهر الحياة، والعادات، والبيئة فى تلك المنطقة النائية الساحرة. وهو يصف التعليم ونفوذ المصريين القوى وغيرهم من المدرسين المستجلبين من الخارج، والأثر العام للدعاية التى تبثها الإذاعة، والموارد المالية، وتقاليد إقامة المآدب، وصيد اللؤلؤة، وتحصيل الضرائب، وصيد الأسماك، "فالأسماك يتم تجفيفها فى الشمس، وفى موسم التجفيف تفوح رائحتها على الشاطئ كله".

وقد يصف فى فقرة الإجراءات الرسمية لزيارة مع أحد الشيوخ، بما فى ذلك أشكال الاستخدام المختلفة للبخور وماء الورد "فى الساحل المتصالح كثيراً ما يقدم ماء

الورد والبخور عند وصول الزائر، وأحيانًا ينثر مـاء الورد على رأسـه بدلاً من يديـه مما يسبب ارتباكه إذا كان أصلع الرأس".

وفى فقرات أخرى يتحدث عن التجارة، واختلاف الطموحات السياسية، والكرم العربى، والجانب الديمقراطى فى النظام القبلى "فالعرب ديمقراطيون بطبيعتهم طالما كـان الأمـر يتـعلق بعـلاقـاتهم بعـضـهم ببـعض فكل الذين هم من أصل عـربى خـالص متساوون، ومن عداهم فى مرتبة أدنى بكثير، لكنهم لم يتأقلموا بعد على المؤسسات الديمقراطية طبقًا للأساليب الغربية . فشيخ القبيلة يعتبر على رأس هؤلاء الذين يتساوون فيما بينهم، وتتم مناقشة شئون القبيلة عادة واتخاذ القرارات بشأنها فى اجتماعات رجال القبيلة فى خيمته.. والرأى الأخير يرجع إلى الحاكم، فكلمته قانون، لكن الرأى العام يوجهه فى معظم الأحيان. ويمكن القول دون تردد إن معظم الحكام يحاولون مخلصين أن يبذلوا كل جهدهم لصالح شعبهم، وأن الاستبداد أمر نادر".

وربما كانت نظرته إلى المناخ أكثر تفاؤلاً مما يراه الأوروبى العادى. فهو – على سبيل المثال – يختتم فصلاً شاملاً عن مسقط، ذلك البلد الغريب الساحر بتعبير نموذجى: "مسقط من أكثر الأماكن المحببة ذات المناظر الخلابة، وهى تستحق الزيارة .. لكن عليك أن تتجنبها أول شهر إبريل حتى آخر شهر نوفمبر، حين تكون الحرارة مرهقة للغاية".

وهو يقدم صورة البلاد كما يراها – واقعها القاسى المتمثل فى صحرائها والقفراء الحجرية، مناخها المرهق، مصاعبها التى تنبثق من حين لآخر مثل المسح الصحراوى للجراد، ومركزه الشارقة، حيث القائمون به يذرعون البلد طولاً وعرضاً بحثًا عن أماكن توالد الجراد. وعادة ما يكونون على علاقة طيبة مع العرب المحليين، ولو أن هؤلاء لا يتحمسون فى التعاون معهم فى أنشطتهم ؛ لأن الجراد أولاً لا ضرر منه فى الصحراء بل إنه يمد العرب بغذاء شهى جدا ومختلف عن طعامهم اليومى. وثانيًا لأن العربى يعتقد أن الطعم السام المستخدم لقتل الجراد وصغاره يحتوى على بذور نباتات تتسبب عندما تنمو فى قتل جماله. وذات مرة توغل فريق بريطانى لمكافحة الجراد فى التلال شرقى رأس الخيمة، فسلبوا كل أمتعتهم بما فيها بنطالاتهم.

ولكن رغم مثل هذه التقلبات "ورغم فقدانها وسائل الراحة الحديثة" فإن الدول المتصالحة "فيها الكثير مما يجذب الرحالة القادم من الغرب الذى لا يعير كبير اهتمام لرفاهيته الشخصية".

ورواية سير روبرت المحكمة تغطى تاريخ المنطقة وكل دولة من دولها بطريقة سريعة لكن رائعة، وغالبًا ما يكون ذلك فى جمل مضيئة. وتلك الدول لابد لها من أن تستورد اليوم – كما كانت تفعل فى الماضى – معظم ضرورات الحياة . "فى الماضى كانوا يدفعون ثمنها من دخل القرصنة وتجارة العبيد وصيد اللؤلؤ. واليوم يعتمد اقتصادهم – إلى حد كبير – على صناعة النفط". والواقع أن هذا الذهب الأسود قد جلب ثروات لم يكن يحلم بها أحد، والحكام – بوجه عام – ليسوا مولعين بالتفاخر، لكن يحاول بعض المواطنين أن يبعثوا أمجاد "ألف ليلة وليلة" فى إطار عصرى. ورغم ذلك فإن ما يعود به كلٌّ من النفط وسياسة الشركات النفطية من فوائد يعمل على رفاهية تلك الدول الصحراوية والعالم.

فباكتشاف النفط تحول الخليج الفارسى من حالة ركود وانعزال إلى منطقة ذات أهمية اقتصادية واستراتيجية عظمى. وهذه الأهمية عظيمة حقا حيث إن المياه المحيطة بالشرق الأوسط أصبحت – كما كانت فى العهود الغابرة – مفتاحًا لتقدم الحضارة وخيرها – وقبل أن يبدأ تدوين التاريخ كانت السفن تذرع تلك المياه جيئة وذهابًا بين المجتمعات المتقدمة فى الشرق الأوسط والمجتمعات المزدهرة فيما يعرف الآن باسم باكستان والهند. والآن – مرة أخرى – تذرع مجموعات كبيرة من السفن الخليج الفارسى والبحر العربى تنقل الطاقة النفطية من الشرق إلى الغرب، كما تنقل الثورة الصناعية من الغرب إلى الشرق. والنتائج التى تعود على الجانبين ذات أثر كبير ومستقبل هائل ؛ فهى بالنسبة للشرق فترة تخمر وتغير لا مثيل لها، فبين ليلة وضحاها اندفعت معظم هذه البلاد خارجة من الماضى إلى عصرنا: عصر النفاثات والفضاء النووى. ومحاولاتهم للتكيف ومشاكل هذا التحول أمور من المتعذر جدا التغلب عليها حتى لو لم يتدخل السوفييت ليزيدوا النار اشتعالاً . فهل يمكن لهذه البلاد المتغيرة أن تنتصر وتبقى على قيد الحياة كدول عصرية قوية فى نطاق العالم الحر؟

تلك قضية سجل جزءًا منها الشعب نفسه، وجزءًا آخر استعداد الغرب للاحتفاظ بقوة بحرية حربية تكفى ما تحتاج إليه وحدة العالم الحر، وجزءًا ثالثًا قدرة الغرب على تفهم ما يحدث فى الشرق.

وهذا الكتيب الممتاز يساعدنا أكثر على تفهم هؤلاء الناس، وقدرتهم على التكيف مع المتغيرات، فهو إذن مساهمة قيمة نحو مستقبل أفضل.

مقدمة

لما كنت قد أمضيت ثماني سنوات كمقيم سياسي بريطاني في الخليج الفارسي، فقد رأيت أنه من الأفضل أن أضع كتاباً أصف فيه المناطق التي كانت لي بها علاقات ولا يُعرف عنها إلا القليل. وقد أرسلت المخطوط إلى عدد من الناشرين في إنجلترا، فكان الرد أن الجمهور يريد ذكريات شخصية ونوادر عن الشيوخ، ولا يريد معلومات. لهذا فإنني مدين بالشكر العميق لمعهد الشرق الأوسط لاتخاذه الإجراءات في سبيل أن يرى مجهودي المتواضع نور النشر. وقد مضت حتى الآن خمس سنوات ونصف السنة منذ غادرت البحرين، وقد وقعت تطورات كثيرة منذ ذلك الوقت. كما أود أن أعبر عن خالص شكري للزملاء القدامى والأصدقاء الذين ساعدوني لكي يتضمن الكتاب أحدث التطورات، أخص بالذكر منهم : سير شارلز بيلجراف، ونيل بلي، وليزلي شونسي، وروولاند كوشرين، وچيمس آدمز.

والدول التي أنوي أن أعرض لها هي تلك الدول التي للحكومة البريطانية مقيم سياسي بها في الخليج الفارسي، رغم أنها لا تقع جميعاً على الخليج الفارسي تماما. ويبلغ عددها إحدى عشرة : عشر إمارات، وسلطنة عمان ومسقط. والإمارات العشر هي: الكويت، والبحرين، وقطر والدول السبع المتصالحة، تمتد على طول الساحل الغربي للخليج الفارسي، والدول المتصالحة تمتد حتى ساحل خليج عمان، بينما تحتل سلطنة عمان هذا الساحل كله ما عدا امتداد صغير للساحل الغربي لخليج عمان وجزء كبير من الساحل الجنوبي للجزيرة العربية. وهدفي أن أقدم وصفا تفصيليا لهذه الدول وأوضاعها السياسية والاقتصادية الآن ليتعرف عليها هؤلاء المقيمون فيها إقامة مؤقتة أو يقومون بزيارتها أو يكون لهم اهتمام بها. ولكن قبل أن أقوم بذلك رأيت أنه من الأفضل أن أذكر شيئًا عن جغرافية المنطقة ومناخها ككل، وأن أتتبع باختصار تعاقب الأحداث الذي أدى إلى تكوّن هذه الدول وإلى إيجاد الوضع الحالي لعلاقة الحكومة البريطانية بها.

روبرت هاي

مايو ١٩٥٩

الفصل الأول

جغرافية المنطقة

الخليج الفارسى بحر ممتد فى اليابسة بطول خمسمائة ميل، وباتساع مائة ميل فى المتوسط. ويقع بالتقريب شمال غربى وجنوب غربى خطى العرض ٣٠° و ٢٤° شمالاً وخطى الطول ٤٨° و ٥٧° شرقاً. ويعرف محليا باسم خليج فارس، وهو اسم الولاية الإيرانية التى تقع على الساحل الشمالى الشرقى، رغم أن بعض العرب الأكثر تقدما على الساحل المقابل قد بدأوا الآن يطلقون عليه اسم "الخليج العربى". ويتداخل فيه شط العرب فى أقصى شماله، ويتبع ساحله العراق إلى مسافة قصيرة جداً غربى مصب شط العرب، بعد ذلك تمتد الكويت على طول الساحل الجنوبى الغربى إلى مسافة تبلغ حوالى تسعين ميلاً، كما تمتد المنطقة المحايدة التى تشترك فيها الكويت مع المملكة العربية السعودية إلى مسافة تبلغ حوالى ٤٥ ميلاً. ومن هنا فإن الساحل يتبع المملكة العربية السعودية إلى مسافة تبلغ حوالى ٢٥ ميلاً حتى رأس خليج سلوى. ومن هنا تمتد شبه جزيرة وعرة شمالاً لمسافة تبلغ حوالى تسعين ميلاً لتكوّن إمارة قطر. وتتكون إمارة البحرين من أرخبيل أو مجموعة جزر تقع بين قمة شبه الجزيرة العربية هذه والأرض الرئيسية. ومن القاعدة الشرقية لشبه الجزيرة ينطلق الساحل فى اتجاه الشرق ثم ينحنى شمالا على شكل قوس كبير مكونا ما يعرف باسم ساحل القرصان أو الساحل المتصالح. وينتهى هذا الساحل عند جبال شبه جزيرة مسندم التى يطل طرفها على مضيق هرمز، وهو الممر الضيق الذى يربط الخليج الفارسى بخليج عمان.

ويعتبر الخليج الفارسى من أكثر البحار ضحالة. فلا يتجاوز عمقه خمسين قامة[١] إلا فى أماكن قليلة. وتقع أعمق ممراته بالقرب من الساحل الفارسى، بينما تمتد على الجانب العربى شعاب مرجانية على عمق قليل وجزر صغيرة كثيرة. وعندما تكون الشمس مشرقة فى يوم صاف فإن المنظر يبدو - من الجو - كما لو كان لحافًا مرقعًا؛ فالشعاب تبدو صفراء اللون ذات بريق يختلف طبقا لمدى عمقها، بينما تبدو المياه الأكثر عمقًا زرقاء. كذلك تبدو هنا وهناك إحدى الجزر كبقعة سوداء أو رملية اللون، طبقًا لموضع الشمس. ويتغير المنظر بحركة الماء، الذى يبلغ فى المتوسط ستة أقدام أو سبعة عند الينابيع. ويتكون الساحل العربى حتى بلوغه شبه جزيرة مسندم من شواطئ رملية منبسطة منخفضة، تتقاطع مع امتدادات مرجانية. وهناك خلجان متعددة يمتد بعضها عدة أميال داخل اليابسة. والشواطئ مغطاة بالأصداف، وداخل اليابسة توجد عادة أرض صحراوية مفروشة بالحصى الذى يتداخل مع الصبخاب **Sabkhab** وهو امتدادات منبسطة من التربة يتخللها الملح، وتكون إما أرضا جرداء أو تنتشر عليها أعشاب قبيحة المنظر. وفى بعض الأماكن ترتفع الأرض - على بعد أميال قليلة من الساحل - مائة أو مائتى قدم، وتظهر المرتفعات الجيرية. وفى الأماكن الأخرى ينبسط السهل الساحلى على كثبات *رملية لا نهاية لها*. وباستثناء جزيرة *البحرين الرئيسية*، فإن بقية الجزر على الساحل العربى لا تتجاوز مساحتها بضعة أميال مربعة، بعضها ليس إلا كومة رمال أو سلسلة صخور مرجانية قرب سطح الماء. ولبعض هذه الجزر تلال ترتفع فوقها بضع مئات من الأقدام، ومعظمها بلا مياه. وبعض الجزر الأكبر مساحة على ساحل الإمارات المتصالحة تكشف عن تنويعات رائعة من الألوان بسبب احمرار المواد المتأكسدة الموجودة عليها.

وحين يتجه الساحل شمالاً عند رأس الخيمة عند النهاية الشرقية لساحل الإمارات المتصالحة فإن طبيعته تتغير تمامًا، فالجبال المرتفعة تتجه نحو البحر فى منحدرات صخرية شاهقة تتخللها هنا وهناك أودية تتدفق فى سهول صغيرة لكل منها قريتها وبساتين *نخيلها*. وينفذ *البحر إلى العمق* بين *الجبال* فى أحد *المواقع* مكونًا زقاقًا بحريًا

(١) وحدة قياس لعمق الماء تساوى ٦ أقدام . (المترجم)

يعرف باسم خليج إلفنستون، وتفصله سلسلة جبال ضيقة عن خليج صغير مماثل يعرف باسم خليج مالكوم يقع فى خليج عمان على الجانب الشرقى من الجبال.

وتختلف طبيعة خليج عمان عن الخليج الفارسى اختلافًا تامًا. فهو شديد العمق، ومياهه فى الصيف أكثر برودة من مياه الخليج الفارسى. وتنحدر سلاسل الصخور من اليابسة انحدارًا شديدًا نحو الأعماق ولا توجد به مياه ضحلة، كل ما هنالك جزر صخرية قليلة توجد بالقرب من الساحل، والبلد فى الداخل جبلية، لكن من قاعدة شبه جزيرة مسندم وحتى منطقة تبعد بضعة أميال شمال مسقط يمتد سهل ساحلى يتراوح اتساعه بين ميل وواحد وعشرين ميلاً منحنٍ على شكل قوس به شريط – لا يكاد ينقطع رغم ضيقه – من بساتين النخيل والقرى العديدة، ويعرف هذا الشريط باسم سهل الباطنة. وتحتضن مسقطَ نفسها تلالٌ تتكون من صخور بركانية سوداء. ويمتد الساحل بعد ذلك جنوبيًا حتى الطرف الجنوبى الشرقى لشبه الجزيرة العربية عند رأس الحد. أرض جرداء وعرة ذات منحدرات جيرية يضرب لونها إلى الأصفر الفاتح فى بعض الأماكن، وهناك شواطئ صغيرة تكسوها الأصداف والقواقع. وتتكسر أمواج المحيط الهندى غرب رأس الحد على ساحل مهجور يكاد يكون غير آهل بالسكان يمتد مئات الأميال حتى نصل ولاية ظفار، حيث نفاجأ بتغير؛ لأن السهل الساحلى يتلقى الأمطار الموسمية ويزدان بأشجار جوز الهند الرشيقة.

والركن الجنوبى الشرقى من شبه الجزيرة العربية يطلق عليه اسم عُمان، بينما يطلق العرب على ساحل الإمارات المتصالحة اسم ساحل عمان. والنصف الشرقى من المنطقة تكثر به الجبال ويرتفع عند الجبل الأخضر إلى عشرة آلاف قدم. والأودية خصبة تغذى القرى والبساتين وتنتج المحاصيل، لكن الجبال جرداء ولا توجد بها أشجار تصلح أخشابها للبناء أو النجارة. أما النصف الغربى فهو يوغل فى صحراء حجرية حتى نصل إلى رمال الربع الخالى فى الداخل، وإلى ولاية ظفار على الساحل. وتكسو الأشجار والشجيرات والحشائش هنا جبال الْقَرَى التى يتراوح ارتفاعها ما بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف قدم، وتقع بين السهل الساحلى والصحراء، وهى مرعى لقطعان كبيرة من الماشية.

وتتميز دول الخليج الفارسى بعدم وجود حدود دقيقة بينها. فقد تم تحديد حدود الكويت وحدود المنطقة المحايدة بين الكويت والمملكة العربية السعودية لكن لم يتم وضع العلامات عليها بعد. أما البحرين فليس لها حدود برية؛ لأنها مجموعة جزر. وليس هناك اتفاق نهائى على حدود الدول الأخرى سواء فيما بينها وبين بعضها أو فيما بينها وبين المملكة العربية السعودية. وفى حالة مسقط بينها وبين محمية عدن، وذلك فيما عدا الحدود الداخلية بين الإمارات على ساحل الإمارات المتصالحة. وفى بعض الحالات هناك درجة من درجات الاتفاق على وضع الحدود، لكنها - فى غير تلك الحالات - موضع نزاع. وقبيل ظهور النفط كانت الصحراء أشبه بأعالى البحار. فقد كان البدو يجولون بجمالهم عبر الصحراء كما يحلو لهم، و رغم وجود حدود قبلية غامضة فلم تكن هناك دلائل على وجود أية سلطة حكومية لها نفوذها فى غير الموانئ والواحات. وهمّ كل دولة من هذه الدول الآن هو المطالبة بأكبر قضمة ممكنة من الصحراء أملاً فى أن تختزن فى باطنها كميات ضخمة من السائل الثمين.. ومن المتعذر - على أية حال - إيجاد الدليل التاريخى على ممارسة السلطة فى الماضى على أراضٍ فقيرة غير مأهولة.

وقد أسيء الحديث عن الجو فى الخليج. صحيح أنه مرهق عدة شهور فى العام، لكننى أرتاب فى وجود ميل فى الماضى من جانب أولئك الذين كانوا يعملون فى الخليج (يقصد الموظفين الأجانب) نحو تضخيم ما يسببه الجو من إزعاج، وذلك فى سبيل الحصول على تعويضات. ولابد من أن نذكر أن التطورات الحديثة مثل المراوح الكهربائية والمكيفات وصناعة الثلج قد خففت من حدته إلى حد كبير، وأن مكافحة الملاريا واتخاذ الإجراءات الصحية الأخرى قد خفضت من الإصابة بالأمراض. فالجو لطيف لمدة ستة أشهر، ما بين نوفمبر وأبريل من كل عام، وشهرا يناير وفبراير يمكن أن يكونا أكثر برودة من صيف إنجلترا، فقد وصل أقصى انخفاض للحرارة فى البحرين إلى ٤٠ْ فهرنهيت، ويهبط الصقيع فى الكويت، وذات يوم من أيام شهر يناير شوهد تساقط الثلج فى البحرين.. وفى الوقت نفسه غطى الثلج قمم التلال فى بعض جزر الخليج. وفى أثناء الشهور الأكثر برودة تهب رياح شمالية عنيفة من حين لآخر لبضعة أيام فى بعض الأحيان، وغالبًا ما يكون هبوبها فجأة وتسبب عطب القوارب التى لا تستطيع الاحتماء خلف جزيرة أو لسان من الأرض. ولقد حدث ذات مرة فى أثناء حفل

كوكتيل على ظهر سفينة حربية بريطانية أن زادت سرعة الرياح فجأة من خمسة أميال إلى ثلاثين ميلاً فى الساعة ، مما أدى إلى قذف آلات الفرقة الموسيقية فى البحر وتمزق المظلات واندفاع الضيوف إلى أسفل السفينة، وقضاء معظمهم الليل فيها. وشهر مايو شهر حار لكنه جاف. وتهب عادة رياح شمالية غربية لمدة أربعين يومًا تعرف باسم باراب barab ، من أوائل يونيو حتى منتصف يوليو. وعندما تكون هذه الرياح قوية ومستمرة فإن الجو يكون محتملاً فى أثناء تلك الفترة ؛ لأن الهواء يكون جافًا وباردًا نسبيًا. أما فصل السنة الذى يكون فيه الجو رديئًا حقًا فإنه يستمر من وسط يوليو حتى وسط أكتوبر، وهو فصل إما لا تهب فيه رياح على الإطلاق، أو تهب فيه رياح من الجنوب الشرقى، وتكون الرطوبة فيه مرتفعة جداً. وفى بداية الجو الحار قلما ترتفع الحرارة عن ١٠٠ْ فهرنهيت، وإن كان يمكن أن تصل على بعد أميال قليلة فى الداخل إلى ١٢٠ْ فهرنهيت، وتكون ذات لهيب حارق، ثم تنخفض ليلاً. وفى الشهور المزعجة يكون متوسط الحرارة ٩٠ْ ليلاً ونهاراً بينما تتجاوز الرطوبة ٩٠٪، ويؤدى ذلك إلى إيجاد جو يشبه جو بيوت النباتات الزجاجية الخانق، يتخلله عادة دخان مصفاة النفط فى المناطق السكنية الرئيسية فى البحرين. وفى الوقت نفسه ترتفع حرارة البحر إلى درجة حرارة الحمام الساخن ، بحيث لا يلطف الاستحمام فيه ؛ فراحة الإنسان ورفاهيته تتوقف فى كل فصول السنة على الرياح إلى حد كبير، والرياح السائدة هى الرياح الشمالية الغربية التى تعرف بالشمال The Shimal والرياح الجنوبية الشرقية المعروفة باسم كوس Kaus ، وريح الشمال منعشة، بينما الرياح الجنوبية الشرقية رطبة دائمًا ومثبطة للنشاط. وعندما تكون الرياح قوية، لاسيما عندما تهب من الشمال الغربى، فإنها تتسبب فى عواصف رملية يمكن أن تكون لها آثار سيئة على الأرض الرئيسية لشبه الجزيرة. وتبعد جزر البحرين مسافة كافية عن هذه الأرض مما يجنبها تلك العواصف، لكن عادة ما يغمرها الغبار الداكن الذى يخفض الرؤية إلى مسافة بضع مئات من الياردات ويجعل الطيران متعذرا. والضباب نادر، ويكون غالبًا فى الصباح المبكر عندما يكون الجو بارداً.

أما سقوط المطر فهو أقل ما يمكن، ومعظم أنحاء المنطقة لا تعتمد عليه فى الزراعة. ومتوسط سقوط المطر فى البحرين ٢,٢٥ بوصة، وفى الكويت أكثر من ذلك

قليلاً، وفى قطر أقل، وفى ساحل الإمارات المتصالحة الكمية نفسها غالبًا. ومعظم سقوطه غير منتظم، ويمكن أن يسقط فى أى وقت ما بين نهاية أكتوبر وأوائل مايو. وفى بعض السنوات لم يسقط أكثر من بوصة واحدة. وفى السنوات الأخرى قد يصل إلى سبع أو ثمان بوصات. ويلقى المطر ترحيبًا خاصًا عندما يسقط بين أواخر أكتوبر وأوائل ديسمبر، ويعرف باسم مطر الوسمى(*) ، وسقوطه معناه ازدهار المراعى فى الربيع، ومحصول غزير للكمأ الذى يعشقه العرب. ومن أكثر التعبيرات حرارة حين يرحب عربى خليجى بضيفه أن يشبه مجيئه بمطر الوسمى. وسيكون الترحيب بك دائما مضاعفا إذا تصادف مجيئك مع سقوط المطر، وسيصف مضيفك قدمك بأنها مباركة، وهو عكس العين الشريرة. ومن المتعذر على هؤلاء الذين يعيشون فى مناطق مناخها أقل جدبًا أن يدركوا كيف تكون الحاجة شديدة إلى المطر فى البلاد الصحراوية بالرغم من الإزعاج المؤقت الذى يسببه لهؤلاء الذين يسكنون الخيام والأكواخ المصنوعة من سعف النخيل.

ولا يمكن الاعتماد على إمدادات المياه الطبيعية بسبب عدم كفاية الأمطار الساقطة وعدم انتظامها باستثناء البحرين حيث توجد ينابيع وآبار كثيرة، وكذلك فى المناطق الواقعة عند سفوح الجبال فى ساحل الإمارات المتصالحة. ولا توجد أنهار أو مجارى مياه، بل توجد فقط قنوات مائية تفيض لبضع ساعات بعد سقوط الأمطار الغزيرة، وهو أمر نادر الحدوث. وفى معظم الأماكن التى لا يتوفر فيها تقطير المياه يعتمد الأهالى على الآبار فى مياه شربهم، ومياه معظم هذه الآبار قليلة الملوحة، وتزداد ملوحتها فى السنوات التى يقل فيها سقوط المطر.

والجو فى خليج عمان أكثر حرارة وأكثر جفافًا - إلى حد ما - عما هو فى الخليج الفارسى، والبحر دائمًا بارد. وفى مسقط فقط يمكن وصف الشهور الأربعة من ديسمبر حتى مارس بأنها شهور لطيفة. وفى الصيف تهبط ليلاً وفى اندفاع رياح غربية من حين لآخر من التلال الصخرية المنخفضة بعد أن تكون حرارة الشمس قد قددتها طوال النهار وتعرف باسم الغربى gharbi تتسبب فى ارتفاع الحرارة فجأة درجات كثيرة حتى تصل إلى ١١٠° فرنهيت، ويصبح من المتعذر الإمساك بالمقاعد وقطع الأثاث

(*) هو المطر الذى يسقط مبكرًا قبل موسم سقوط المطر . (المترجم)

الأخرى. ويكون القيظ قاسيا طوال الأربع والعشرين ساعة. وقد أبلغنى عامل بإحدى الإرساليات أنه حدث ذات مرة أن دجاجة لم ترقد على بيضها فى حديقته، فإذا بالبيض كله يفقس بعد بضعة أيام دون حاجة إليها. وسقوط الأمطار على التلال بالداخل أكثر مما هو على الساحل أو على الإمارات المنخفضة شمالاً، وتهب عواصف موسمية من حين لآخر فى شهور يوليو وأغسطس وسبتمبر. ونتيجة لذلك تتكون ينابيع فى الوديان وبضع مجار مائية، ولو أن الساحل لا تصله إلا مياه الفيضانات. وفى ساحل الباطنة وبعض الأماكن القليلة الأخرى يستفاد من المياه المتسربة من التلال عن طريق الآبار والقنوات الجوفية فيما يعرف باسم الفلج فى الجزيرة العربية، والقناة فى فارس، وكاريز Karez فى باكستان. وسقوط الأمطار قليل جداً فى اتجاه الغرب حتى نصل إلى ظفار، لكن حرارة الصيف تلطفها الرياح الموسمية. وتتلقى ظفار الأمطار الموسمية وتكسوها التلال بالنباتات، وتغمر السهل الساحلى بالحدائق والمحاصيل. وشهر مايو شديد الحرارة، لكن الجو محتمل فى معظم شهور السنة الباقية رغم رطوبته خلال فصل الأمطار الموسمية.

والمستوى الصحى فى الإمارات وسلطنة مسقط وعمان ليس سيئًا كما قد يُتوقع. فالأوبئة الخطيرة نادرة. ورغم عدم وجود رعاية صحية إلا فى مدن قليلة أكثر تقدماً، فإن الشمس والبحر مطهران فعالان. والحرارة اللاهبة هى العدو الأكبر للصحة، وغالباً ما ينتج عنها ظهور البثور، لكن من الممكن تجنب ذلك عن طريق التغيير المستمر للملابس واستخدام المكيفات الهوائية كلما أمكن ذلك. كذلك يمكن تفادى الإصابة بالتيفوئيد بالتطعيم، والإصابة بالدوسنتاريا باتخاذ الحيطة عند إعداد الطعام. ومعظم الوجبات العربية تتضمن طعامًا مطهيًا يمكن أن يتناوله فى مأمن أصحاب الأجهزة الهضمية السليمة. كما تتضمن الوجبات عادة فواكه طازجة يمكن تناولها باطمئنان إذا كان من الممكن تقشيرها. ومعظم الوافدين يعانون من سوء الهضم عند بدء وصولهم، لكن يزول ذلك عند تأقلمهم . وقد تم القضاء على الملاريا فى البحرين قضاءً، ونتيجة لنقص المياه. فإن انتشارها قليل إلا فى المناطق المزروعة من أراضى دول الساحل المتصالح شرقًا ومسقط. وليس من الضرورى أن تكون الناموسيات بين أمتعة الزائر. أما الجروح فيجب معالجتها بعناية لاسيما إذا كان سببها الشعاب المرجانية.

وينتشر السل وأمراض العيون والأمراض التناسلية بين الأهالي، ويبدو أن المشايخ لهم استعداد للإصابة بمرض السكر.

ويحتاج الجو إلى ارتداء الملابس الإنجليزية الصيفية أثناء شهور الشتاء الثلاثة فى الإمارات، مع ارتداء معطف ثقيل فى الأمسيات. أما بقية العام فيتم ارتداء الملابس الملائمة للجو الاستوائى. فالرداء المألوف للرجال فى الجو الحار - ماعدا المناسبات الرسمية - قميص مفتوح الرقبة، وبنطال خفيف أو قصير. ولتجنب الحرارة التى تسبب ظهور البثور، لاسيما فى الشهور التى ترتفع فيها نسبة الرطوبة، يكون من المرغوب فيه أن يغير الإنسان قميصه مرتين أو ثلاث مرات فى اليوم. ومن منتصف مايو حتى نهاية أكتوبر يرتدى الرجال عادة فى الحفلات المسائية "رداء الخليج الفارسى"، ويحتوى هذا الرداء على قميص أبيض بلا ربطة عنق، وبنطال أبيض وحزام أسود. وقلما تستعمل القبعات الآن إلا فى المناسبات الرسمية، ولو أن رأيى أنه من المستحب وضع قبعة مصنوعة من اللباد إذا كان الإنسان سيخرج ويتعرض للشمس فى وسط النهار صيفًا، أو يضع ولو قبعة قديمة الطراز إذا كان الإنسان يتوقع أن يقضى يومًا صيفيا كاملاً فى الهواء الطلق فى الصحراء. وفى مسقط يمكن ارتداء الملابس الصيفية ذات الطراز الإنجليزى بارتياح لمدة أيام قلائل فقط، ويمكن - فى حالة الضرورة - الاستغناء عنها.

وتتنوع الحيوانات البحرية فى الخليج الفارسى وخليج عمان تنوعًا كبيرًا جداً. وقد وصف بعض هذه الأسماك الدكتور بليجڤاد Blegvad ، وهو دانمركى استخدمته الحكومة الإيرانية قبل الحرب العالمية الثانية لمسح أسماك الخليج الفارسى واستغلالها، لكن الموضوع يتيح مجالاً لمزيد من الدراسات. ولا تكفى كميات السمك الموجودة فى النصف الغربى من الخليج الفارسى لمواجهة المتطلبات المحلية، لكن البحر يعج بالسمك شرقًا وفى خليج عمان. وأسماك القرش كثيرة، لكن نادرا ما تهاجم الإنسان. ويخشى الغواصون أكثر من سمك المنشار. ويمكن العثور على سمك الكنعد «ماكريل» وأشكال متعددة من التونة والهامور وأنواع أخرى كثيرة فى الأماكن الصحيحة والأوقات المناسبة من العام. والصيد بالسنارة من قارب بخارى صغير من المتع الجميلة التى يتيحها الخليج. ومن حين لآخر تشاهد الحيتان، ويبدو أنهم أخطأوا مرة أو مرتين أثناء الحرب العالمية الماضية فحسبوها غواصات. وقد أشرنا إلى صناعة اللؤلؤ فى مكان

آخر. ومحار اللؤلؤ لا تغطيه بكل أسف تلك المادة الصلبة الناعمة القزحية اللون التى تستخدم فى صنع الأزرار والحلى، ولا حتى النوع الكبير منه، ولكن يوجد محار صغير مغطى بتلك الطبقة على صخور بعض جزر الخليج الفارسى وعلى مسافة من ساحل عمان لاسيما حول ميناء مسقط. وهناك عدد كبير من الأنواع الأخرى من المحار، تكسو أصدافها الشاطئ بما فى ذلك جراد البحر الرقيق أو الشارخة، كما توجد فى البحرين أنواع أصغر ذات رأس ثلاثى وبلا شوارب. أما الروبيان أو (الجمبرى) فيوجد بكثرة فى كل مكان تقريبًا. وتستدفئ ثعابين البحر المخططة بالأصفر بأشعة الشمس فوق سطح الماء. وتذكر المصادر أن سمها ثمانية أضعاف أى ثعبان برى، لكن يبدو أن الصيادين يستطيعون التعامل معها دون أن يصيبهم أذى عندما تدخل شباكهم، وقد يكون السبب بطأها فى العض، لكن ليس من الحكمة الدخول فى تجربة معها. وفى أوقات معينة من السنة تكون مياه الخليج مغطاة بمادة صفراء تفوح منها رائحة كريهة جداً، ويقال إن هذا بيض بعض أنواع السمك. وكثيرًا ما يكون البحر ملآن بقناديل البحر، ولابد من الحذر عند الاستحمام. وهناك نوع صغير سمه شديد يعرف باسم "المحارب البرتقالى".

والحيوانات البرية ليست كثيرة الانتشار. وقد كانت الغزلان موجودة بكثرة فى الصحراء. لكنها الآن تصاد من السيارات، وهى تنقرض سريعًا. ويحتفظ حاكم البحرين بقطيع فى إحدى جزره كان قد استورده من الهند، وهو خليط من الغزلان والوعول السوداء. ويوجد الطهر فى تلال عمان، وهو نوع من الماعز الوحشى، ومن المعتقد أنه يتطابق مع الأنواع الموجودة فقط فى الهملايا على بعد مئات الأميال. وتزدحم بساتين النخيل فى البحرين بالنموس. والقوارض الصغيرة منتشرة بما فى ذلك الجربوع، كما أن السحالى من المشاهد المألوفة، وأبرزها الورل الأصفر الكبير. والثعابين نادرة، فلم أر إلا ثعبانين أو ثلاثة فى سبع سنوات ولم تكن من النوع السام، لكن جزيرة تامب Tamb فى الطرف الشرقى من الخليج مشهورة بها، وقد تم تحديد الأنواع التى بها، لكن يقال إنها صغيرة وسلوكها ليلى.

وليست هناك أنواع كثيرة من الطيور فى المنطقة غير طيور البحر. وفى البحرين لا يكاد يوجد غير العصافير والبلابل والقنابر الصحراوية. وفى عمان يوجد أكثر

من نوع من أنواع الطيور، لاسيما في البساتين على طول ساحل الباطنة، وتوجد كثير من الطيور المهاجرة بما في ذلك طائر الحبارى والبط والأوز والطيهوج [١] والجهلول [٢]، لكن الصيد الآن كثير، ولن يجد هاوى الصيد إلا القليل. وكثيراً ما يقصد الشيوخ المملكة العربية السعودية بهدف الرياضة وصيد كميات ضخمة من طائر الحبارى، ويتم معظم هذا الصيد عن طريق الصقور، وبعض هذه الصقور يتم صيده بالشباك من جزر الساحل المتصالح، لكن معظمها يتم استيراده من إيران. وهناك طيور بحر لا يحصى عددها، ويمكن رؤية طائر الغاقة [٣] Cormorants في بعض الأحيان وهو يطير بالآلاف في تشكيل عبر السماء. وبيضه يوجد في بعض الجزر ومذاقه طيب، رغم أن لحم الطائر ليس سائغاً. وتتردد أسراب الفلامنجو أو طائر البشروش الوردى اللون على الجزر المهجورة والخلجان الصغيرة. وقد وصف الكولونيل أر. سى. مينيرتزهاجن معظم طيور دول الخليج في كتابه "طيور الجزيرة العربية" [٤].

أما الحياة النباتية فهي قليلة في معظم فصول السنة خارج نطاق بساتين النخيل. وعلى أية حال، ففي الربيع عندما يكون الجو مطيراً، تبزغ جميع أنواع النباتات في الصحراء بما في ذلك الأزهار الجميلة رغم صغرها عادة. وهذا ينطبق بوجه خاص على الكويت حيث تكتسي الأرض ببساط من الزهور والنباتات عندما يكون العام مطيراً. وتوجد أشجار السمر المبعثرة عند سفوح الجبال في عمان، لكن الأشجار لا تنمو في غير تلك الأماكن إلا حيث تكون هناك وسائل للرى أو في أماكن قليلة على طول الساحل حيث يوجد الماء بالقرب من سطح الأرض. ويستثنى من ذلك ظفار. وتوجد أشجار المنجروف [٥] المعوقة في بعض الخلجان الصغيرة. وقد نشرت السيدة ديكسون التي عاشت في الكويت - بمساعدة الأستاذ جود Good بجامعة هَلْ - كتابا تصف فيه نباتات الكويت والبحرين [٦].

(١) طائر من رتبة الدجاج.

(٢) طائر طويل المنقار.

(٣) طائر مائي ضخم نهم تحت منقاره جراب يضع فيه ما يصيده من الأسماك. (المترجم)

(٤) Birds of Arabia by R. Meinerzhagen. Oliver Boyd. 1954.

(٥) شجر استوائي تنبثق من أغصانه جذور جديدة.

(٦) The wild flowers of Kuwait and Bahrain by Violet Dickson. George Allen & Unwin 1955.

وجبال عمان ذات جلال ومهابة، لكن الإمارات المنخفضة على الخليج الفارسى ليس لديها الكثير مما تفخر به من مناظر، بل إنها فى بعض الأماكن قبيحة ومنفرة، وهى على أية حال ذات سحر رائع بالنسبة لمعظم الذين يعرفونها - بالرغم من حرارتها وكآبتها. وأنا أعتقد أن هذا راجع إلى الألوان المتغيرة أبداً للبحار الضحلة التى تحيط بها. وفى كل مكان تقريبا فإن القوم الذين يعملون فى المكاتب وحقول النفط سيشهدون - فى فترة من فترات النهار، إن لم يكن طوال النهار - تحولات الألوان الزرقاء والخضراء والرمادية والصفراء للبحر الذى لا يستقر على حال أبدا، وستنتعش عيونهم المرهقة بمنظر مركب شراعى يندفع بكل سرعته فوق السطح المتوهج.

الفصل الثانى

الخلفية التاريخية

قام الراحل سير أرنولد ولسون بتأليف كتاب عنوانه "الخطوط العامة لتاريخ الخليج الفارسى منذ أقدم العصور حتى بداية القرن العشرين [١] ". لكن أحداً لم يحاول بعد أن يكتب تاريخ المنطقة حتى يومنا هذا [٢]. ولن أشرع فى ملء هذه الثغرة فى كتابى الحالى، لكنى أرى أنه من المرغوب فيه أن أوضح كيفية تكون هذا الخليط السياسى العجيب الموجود فى الخليج اليوم. فما بين رحلة نيرخوس **Nearchus** ما بين عامى ٣٢٦ - ٣٢٥ قبل الميلاد ومجىء البرتغاليين فى القرن السادس عشر، فإن تاريخ المنطقة عبارة عن ظهور إمارات وزوالها، نمو موانئ وتلاشيها، وتبادل السيطرة العربية والفارسية. ولم يحدث أن سيطرت قوة على منطقة الخليج فترة معقولة من الزمن. وقد احتفظ البرتغاليون بتفوقهم السياسى والتجارى حوالى قرن من الزمان، ثم أجلاهم الفرس بمساعدة بريطانية عن هرمز عام ١٦٢٢، بينما أخرجهم العرب المحليون من مسقط عام ١٦٥٠، بعد ذلك قامت منافسة تجارية بين البريطانيين والهولنديين فى منتصف القرن الثامن عشر، ثم توارى الهولنديون من الصورة تاركين الميدان للبريطانيين.

وفى عام ١٧٦٣ أقامت شركة الهند الشرقية مقراً لمندوبها فى بوشهر، وكان هذا المقر تجارياً بحتًا فى بداية إنشائه، لكن الظروف أجبرته على أن يتخذ طابعاً سياسياً.

(١) The Persian Gulf. By Sir Arnold Wilson. Oxford University Press. 1928. Reprinted by Allen & Unwin, 1954.

(٢) كان تأليف هذا الكتاب عام ١٩٥٩ .

وقد اعتمد سكان الساحل العربى للخليج الفارسى فى معيشتهم منذ زمن سحيق على القرصنة إلى حد بعيد. وفى نهاية القرن التاسع عشر مد الوهابيون - الذين ظهروا فى أواسط الجزيرة العربية - نفوذهم إلى الساحل العربى للخليج. وكما لاحظ سير أرنولد ولسون، فإنه طبقًا لعقيدتهم فإن "حق غزو الكفرة ، ونشر العقيدة بالنار والسلاح، وحق التخلص من الأسرى والاستيلاء على غنائمهم" لم يصبح فقط "أمرًا مباحًا بل واجبًا مفروضًا" (١) . وبما أن القرصنة أصبحت بذلك أمرًا إجباريًا إلى جانب ما تدرّه من أرباح، فإنها قد تضاعفت بسرعة فائقة، وشنت هجمات كثيرة جدًا على السفن التجارية لشركة الهند الشرقية وحراسها المسلحين بحيث أصبح اتخاذ إجراء ما (لمواجهة الهجمات) أمرًا لا مفر منه. وفى عام ١٨٠٩ تم إرسال حملة ضد رأس الخيمة حيث رئاسة القراصنة فيما يعرف الآن بالساحل المتصالح، وتم إحراق المدينة وكل السفن التى كانت بالميناء، ولم يتم التوصل إلى اتفاقية مع الشيوخ المحليين. وبعد عام ١٨١٩ تم إرسال حملة أقوى ضد رأس الخيمة حققت نجاحًا تامًا ولم تنسحب إلا بعد أن تم توقيع معاهدة سلام عامة فى يناير سنة ١٨٢٠ بين الحكومة البريطانية وشيوخ الساحل المتصالح وكذلك شيوخ البحرين الذين كانوا قد تورطوا أيضًا فى أعمال القرصنة. وقد تضمنت هذه المعاهدة تعهدًا من الشيوخ بالامتناع عن النهب والقرصنة برًا وبحرًا إلا فى حالة إعلان الحرب. لكن المعاهدة لم تثبت كفايتها، لأن أعمال القرصنة ارتكبت تحت ستار الحرب. وطبقًا لذلك فإن شيوخ الساحل المتصالح تم إقناعهم بعقد هدنة بحرية عام ١٨٣٥ تنص على عدم مهاجمة بعضهم البعض. ومن هذه الهدنة استمد الساحل اسمه. وفى أول الأمر تحددت من حين لآخر هذه الاتفاقية التى كانت مؤقتة، لكن فى عام ١٨٣٥ وقع الشيوخ معاهدة الصلح البحرية الدائمة. وقد تضمنت هذه المعاهدة فقرة جاء فيها أن الحكومة البريطانية ستقوم بالرقابة على تحقيق السلام فى المنطقة، وأنها ستتخذ الخطوات الكفيلة بتأمين هذه الرقابة. وبذلك أصبحت بريطانيا مسئولة رسميًا عن وضع سياسية مياه الخليج، وهو واجب كانت تقوم به فعلاً منذ عام ١٨٢٠ .

وفى الوقت نفسه فإن واجبات المقيم فى بوشهر أصبحت سياسية فى طبيعتها أكثر مما هى تجارية. ويبدو أن لفظ سياسى قد أضيف أولاً إلى اللقب عام ١٨٦٢،

(١) The Persian Gulf, p. 197.

لكن منذ أوائل القرن التاسع عشر لم يعد للمقيم علاقة مباشرة بالتجارة. وبالنسبة لإيران كان المقيم قنصلاً عاما لولايات فارس وخوزستان ولورستان وسواحل الخليج الفارسي وجزره الخاضعة لإيران، أما بالنسبة للأجزاء الأخرى من الخليج الفارسى فقد كان مقيمًا سياسيًا. وقد ظل يطلق عليه كل من العرب والفرس لقب الباليوز، وهو اللقب الذى كان يطلقه الأتراك منذ قرون مضت على ممثل جمهورية البندقية لدى البلاط السطانى، وهو لقب مرتبط من ناحية الاشتقاق اللغوى بالكلمة الإنجليزية بيلِف Bailiff (١) ، وهو لفظ قلما يُستخدم الآن. وكان هذا المقيم يتلقى الأوامر من حكومة بومباى حتى عام ١٨٧٣، ثم صار يتلقاها بعد ذلك من حكومة الهند. وكان يمثله على الساحل المتصالح منذ عام ١٨٢٩ وكيل عربى له، ومنذ عام ١٨٦١ كان الممثل البريطانى فى مسقط تابعًا له. ولم يُعين أى ممثل بريطانى فى أية دولة خليجية أخرى إلا فى أوائل القرن العشرين.

* * *

ومسقط هى العاصمة الحالية لعُمان، ويطلق اسم عُمان على الركن الجنوبى الشرقى للجزيرة العربية، وسكانها - الذين ينتمون إلى فرقة إسلامية يطلق عليهم الأباضية - قد احتفظوا باستقلالهم بصلابة، رغم أن بلادهم تعرضت للغزو من حين لآخر، واحتل الأجانب أجزاء منها - مثل البرتغال والفرس والوهابيين. إلا أنهم جميعًا طُردوا منها. وأسرة البوسعيد الحاكمة الحالية يرجع تاريخها إلى طرد الفرس عام ١٧٤٢ . وحوالى عام ١٧٧٤ نقلت الأسرة عاصمتها من الداخل إلى مسقط على الساحل. ومنذ عام ١٨٦١ أصبح اللقب الرسمى للحاكم "سلطان" مسقط، لكن القبائل المحلية لم تستخدم إلا لقب "السيد". وفى النصف الأول من القرن التاسع عشر قام السيد سعيد، الأمير الحاكم فى ذلك الوقت، باحتلال زنجبار على ساحل إفريقيا الشرقى. وعند وفاته عام ١٨٥٦ خلفه أحد أبنائه فى مسقط وابن آخر فى زنجبار. ولا يزال يحكم هذين البلدين فرعان منفصلان من الأسرة نفسها (٢) . وقد ارتبطت

(١) أى مساعد مأمور التنفيذ أو الشريف . (المترجم)

(٢) فى أوائل عام ١٩٦٤ قامت ثورة من زنوج زنجبار أطاحت بالحكم العربى ، ثم اتحدت الجزيرة مع تنجانيقا فيما يعرف اليوم بدولة تنزانيا . (المترجم)

بريطانيا أولاً بمعاهدات مع مسقط عام ١٧٩٨، وبعد سنتين أو ثلاث سنوات عينت ممثلا لها. وقد عاونت مسقط بريطانيا فى الحروب ضد القراصنة ومنذ ذلك الوقت تعاونت مع البريطانيين فى مناسبات كثيرة لكنها كانت دائمًا صاحبة الشأن فى علاقاتها الخارجية. ورغم تقبلها عادة نصيحة الحكومة البريطانية إلا أنها لم تكن قط تابعة لها بأى معنى من المعانى.

* * *

أما الإمارات على الساحل العربى من الخليج الفارسى فقد أنشأها فى أزمنة مختلفة مجموعات من رجال القبائل الذين نزحوا من أواسط الجزيرة العربية نحو الساحل وأنشأوا موانئهم الخاصة أو احتلوا موانئ كانت موجودة من قبل. فالكويت أسستها جماعة من قبيلة العتبى Utbi عام ١٧١٦، وبعد خمسين عامًا غادر الكويت بعض من سلالة هؤلاء العرب واستقروا فى قطر، ومن هناك استولوا على البحرين من الفرس وجعلوا منها مركزهم الرئيسى. وقد احتل الأتراك قطر عام ١٨٧١ وسرعان ما عينوا أكبر الشيوخ المحليين - الذى كانت تجارة اللؤلؤ أكبر اهتماماته - قائمقاما لهم أو نائب الحاكم. والحاكم الحالى من نسل هذا الرجل. وقد استقرت الأسر الحاكمة على الساحل المتصالح منذ أجيال عديدة، لكن قبل عام ١٨٥٣ كانت هناك حروب دائمة بينهم، وكانوا يتبادلون الاستيلاء على الأماكن المتنازع عليها. وإقامة السلام البريطانى كان له تأثيره على تجميد الوضع على ما كان عليه وقتئذ. وخلفاء الشيوخ الخمسة الذين وقعوا معاهدة الصلح البحرى الدائمة ما يزالون حكامًا مستقلين بالرغم من أن اثنين منهم لا يحكمان إلا ما يعادل قرية. وقد انقسمت إمارة من أكبر الإمارات إلى ثلاث مما جعل الدول المتصالحة الآن سبعًا.

* * *

وبعد الانتهاء من قضية القرصنة ركزت الحكومة البريطانية اهتمامها على تجارة الرقيق. فمنذ زمن سحيق كان من عادة ساحل الخليج الفارسى ومسقط أن يستوردوا العبيد بالسفن من شرقى إفريقيا لبيعهم فى شبه الجزيرة العربية وغيرها من الأماكن. وفيما بين عامى ١٨٢٢ أو ١٨٧٣ عقد سلطان مسقط وشيوخ الساحل المتصالح

والبحرين اتفاقيات تحرم استيراد العبيد لدولهم وتمنح الجنود البريطانين حق تفتيش سفنهم ومصادرة أية سفينة منها إذا كان كانت تحمل عبيداً بقصد بيعهم. وكان الجنود البريطانيون يفوضون من حين لآخر للقيام بأعمال البحث عن العبيد، وكانوا يأسرون عددا من السفن المتورطة فى تلك التجارة ويصادرونها، بينما يتم تحرير العبيد الذين يكونون على ظهرها.

وأهم المعاهدات التى تم عقدها مع دول الخليج الفارسى والتى يستند إليها الوضع البريطانى حاليا هى تلك التى تعرف بالمعاهدات الجامعة المانعة. ولما كان من حسن طالع بريطانيا - إن قليلاً أو كثيراً - أن اكتسبت نفوذاً متفوقًا فى الخليج، فإنها أصبحت حريصة على الاحتفاظ بهذا النفوذ لحماية مواصلاتها مع الهند بصفة رئيسية. ولم يكن يعرف فى ذلك الوقت شيء عن ثورة النفط الهائلة التى تكمن تحت الرمال الجرداء لتلك الدول، والأهمية الوحيدة للخليج بالنسبة لبريطانيا العظمى كانت فى موقعه المطل على هذه المواصلات. وفى العقد الأخير من القرن التاسع عشر حصلت بريطانيا على معاهدات من البحرين والكويت والدول المتصالحة تعهد فيها الحكام بألا يكون لهم علاقات مباشرة مع أية دولة أجنبية. وبهذا أصبحت بريطانيا مسئولة عن تولى العلاقات الخارجية لهذه الدول، وترتب على ذلك مسئولية حمايتها من العدوان الخارجى. وقد أبدى الحكام استعدادهم لعقد هذه المعاهدات لأنهم أدركوا أنه لا يمكن ضمان استمرار استقلالهم إلا بالحماية البريطانية. لكن سلطان مسقط لم يكن مقيداً بمثل هذه المعاهدة، وكان مسئولاً عن تولى علاقاته الخارجية.

وخلال معظم القرن التاسع عشر كانت هناك سيطرة غامضة على الكويت من جانب السلطات التركية فى البصرة. وفى عام ١٨٩٨ اتجه الشيخ مبارك أمير الكويت إلى بريطانيا تجنباً لأى امتداد لهذه السيطرة، ووقع معاهدة شاملة مع بريطانيا والدول المتصالحة. وقد استمر الأتراك فى ممارسة سيادة اسمية على الكويت حتى دخلوا الحرب العالمية الأولى إلى جانب الألمان عام ١٩١٤ .

وعندما احتل الأتراك ولاية الأحساء عام ١٨٧١ مدوا سيطرتهم على شبه جزيرة قطر، واستمروا فى احتلالهم حتى عام ١٩١٤، وبعد انسحابهم اعترف البريطانيون

بالشيخ – الذى كان نائبهم المحلى– حاكمًا على قطر. وفى عام ١٩١٦ وقّعوا معاهدة معه تشمل جميع المواد المتضمنة فى معاهداتهم مع دول الخليج الأخرى.

وقد أوضح اكتشاف النفط فى جنوب غربى إيران فى العقد الأول من القرن العشرين أن النفط قد يكون موجودًا كذلك فى دول الخليج. وقد أقنعت بريطانيا العظمى الحكام بعقد معاهدات تنص على عدم منح أى امتياز للنفط دون موافقتها وذلك منعًا من تعرضها للاستغلال من قبل المغامرين وضمانًا لعدالة الصفقات. ولم تستغل ذلك الوضع لمنع الشركات غير البريطانية ذات السمعة الحسنة من المنافسة فى سبيل الحصول على مثل هذه الامتيازات.

لقد حاولت أن أصف باختصار كيف خرجت دول الخليج الفارسى إلى الوجود، وكيف نشأ الوضع البريطانى الحالى بالنسبة لها. وهناك اتفاقيات أخرى كثيرة بشأن البريد والبرق والطيران المدنى وغيرها سنشير إلى بعضها فيما بعد. ولم تُعلن الحماية إطلاقًا، لكن الإمارات العشر توصف عادة بأنها "دول محمية"، وهى تحظى باستقلال داخلى، لكن بريطانيا العظمى تولت مسئولية علاقاتها الخارجية وحمايتها فجنبتها مخاطر الحربين العالميتين – رغم وقوع غارة إيطالية على مصفاة البحرين فى الحرب الأخيرة لم تسبب خسارة – كما أنها أتاحت لها التزود بضرورات الحياة. وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى لم تكن قد نشأت قضية حماية حدودها البرية، وكان وجود عدد قليل من رجال الجيش فى الخليج كافيًا للقيام بالأعباء البريطانية. وفى عشرينيات هذا القرن (العشرين) أدى الاهتمام المتزايد باحتمالات النفط فى تلك الدول إلى تغير الصورة، ووجدت بريطانيا نفسها ملزمة بحمايتها من العدوان برًا.

وقبل اختتام هذا الفصل نرى أنه من الأفضل أن نذكر بضع كلمات عن الدول التى تقع على أطراف الخليج الفارسى وهى: المملكة العربية السعودية، والعراق، وإيران. فولاية الأحساء تمتد حوالى ٢٥٠ ميلاً على الساحل العربى للخليج بين الكويت وقطر، واحتلها الأتراك من عام ١٨٧١ حتى عام ١٩١٣ عندما قام بطردهم الملك الراحل عبد العزيز، والمعروف على نطاق أوسع باسم : ابن سعود. وقد كان أسلافه زعماء الوهابيين الذين سيطروا على معظم شبه الجزيرة العربية فى النصف الثانى من القرن

الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر. وترتب على ذلك تغير ثرواتهم. وفى بداية هذا القرن (العشرين) كان ابن سعود وأبوه منفيين فى الكويت. وفى عام ١٩٠٢ نجح ابن سعود فى توطيد دعائمه فى عاصمته المركزية الرياض. وازدادت قوته بسرعة. ففى عام ١٩١٣ طرد الأتراك من الأحساء، كما سبقت الإشارة إلى ذلك. وبعد الحرب العالمية الأولى تخلص من منافسه ابن رشيد، وبين عامى ١٩٢٤ و ١٩٢٦ ضم الحجاز وأسس ما يعرف اليوم المملكة العربية السعودية، وتضم كل شبه الجزيرة العربية ماعدا الطرف الجنوبى الذى فيه اليمن، ومستعمرة ومحمية عدن، وسلطنة مسقط وعُمان، والجزء الساحلى الخلفى للخليج الفارسى الذى تقع فيه الإمارات تحت الحماية البريطانية. وكان البريطانيون يقدمون العون المالى لابن سعود أثناء الحرب العالمية الأولى وبعدها لبعض الوقت، لكن توقف ذلك عام ١٩٢٤ . ومنذ الثلاثينيات فى هذا القرن، عندما حصلت إحدى الشركات الأمريكية على امتياز نفطى منه، أصبح للولايات المتحدة الأمريكية النفوذ الغربى الأول فى المملكة العربية السعودية.

وقبل الحرب العالمية الأولى كان ما يعرف بالعراق اليوم جزءًا من الإمبراطورية التركية، وطالبوا بحق السيادة على الكويت. وبعد الحرب تكونت المملكة العراقية (الجمهورية العراقية الآن). والعراق تمس الخليج الفارسى فقط عند مصب شط العرب، لكن ميناء البصرة الواقع على بعد أميال من النهر لعب على مدى أجيال دورًا هامًا فى تجارة الخليج واقتصاده ككل. وقد ظل العراق تحت الانتداب البريطانى حتى عام ١٩٣٢ حين حصل على استقلاله التام.

وتحتل إيران الجانب الشرقى كله من الخليج العربى وخليج عمان. وفى القرن الثامن عشر وطدت دعائمها فى البحرين ومسقط، وما تزال تطالب بالبحرين كجزء مكمل لأراضيها. وفى القرن التاسع عشر تضاءلت قوة إيران وأصبحت سلطتها ضعيفة حتى على ما يخصها من ساحل الخليج. واحتل سلطان مسقط، والعرب من الساحل المتصالح أجزاء من ساحلها وجزرها لبعض الوقت. وكان نفوذ المقيم البريطانى فى بوشهر عظيمًا إن لم يكن أعظم من الحاكم الإيرانى هناك، وأصبحت إحدى الجزر الإيرانية قاعدة للأسطول البريطانى. وقد استمر تدخل المقيم السياسى البريطانى فى الشئون الداخلية حتى دعم رضا شاه سلطته بعد الحرب العالمية الأولى.

وبعد ذلك أصبحت وظيفة المقيم على الأرض الإيرانية عملاً قنصليًا فقط. وفى عام ١٩٣٥ انتقل الأسطول البريطانى إلى البحرين.

وبانكماش سلطة المقيم السياسى فى إيران تضاعفت أهمية إمارات الخليج بسبب اكتشاف النفط وإقامة المطارات بها. ووجد المقيم أنه مشغول - عمليًا - كل الوقت بشئون الإمارات، وعهد إلى ضابط أقل رتبة ليتولى شئون العلاقات مع السلطات المحلية. وفى مثل هذه الظروف كان من غير المناسب ، بل من غير السليم أن يواصل عمله من إيران. لذلك تقرر - قبل الحرب العالمية الثانية - نقل مقره إلى البحرين. لكن النقل تأخر بسبب الحرب، ولم يتم حتى عام ١٩٤٦، وتم تسليم مقر المقيم فى بوشهر إلى الإيرانيين لاستخدامه كمصحة. وقد احتفظت بريطانيا العظمى بنائب قنصل فى المدينة لسنوات قلائل، لكن هذا المكتب اختفى عندما أُرغم البريطانيون على إغلاق عملياتهم القنصلية فى إيران عام ١٩٥١، ولم تفتح مرة أخرى منذ ذلك الوقت.

ورغم أن مقر المقيم ومكاتبه الفرعية ظلت فى عام ١٩٤٦ مليئة بالموظفين وتديرها الحكومة البريطانية فى الهند، إلا أنها كانت تتلقى أوامرها مباشرة من الحكومة البريطانية فى لندن فيما يتعلق بالأمور السياسية المهمة. ويجب أن نلاحظ أن كل المعاهدات والارتباطات التى يعقدها مختلف الحكام - بمن فيهم سلطان مسقط- كانت تتم مع الحكومة البريطانية المركزية، رغم أن حكومة الهند كان يرد ذكرها فى بعض الأحيان. وعندما قرر البريطانيون أن يسلموا السلطة فى الهند، كان من الواضح أنه من غير المناسب أن يعهدوا بمسئولية التعامل مع عرب الخليج إلى الهنود والباكستانيين. لهذا فقد تولت الحكومة البريطانية فى لندن شئون مقر المقيم ومكاتبه الفرعية.

الفصل الثالث

مقر المقيم

يخضع المقيم السياسى - ومقره البحرين - لوزير الخارجية فى لندن. وهو فى درجة سفير، تحيته ١٥ طلقة مدفع. ويساعده مجموعة من السكرتاريين والدبلوماسيين والموظفين، وهو مسئول عن الإشراف على الوكالات السياسية فى البحرين والكويت ودبى والدوحة والقنصلية العامة فى مسقط. وعندما أذكر فيما يلى كلمة "الإمارات" وليس "الدول" فإنما أعنى بذلك استبعاد مسقط.

و يتولى المقيم توجيه العلاقات مع الدول على أساس المعاهدات والاتفاقيات التى جاء ذكرها فى *الفصل السابق*. وبالإضافة إلى ذلك فإن الممثلين البريطانيين فى جميع الدول يمارسون درجة من السلطة القضائية تختلف من مكان إلى آخر وذلك طبقاً لاتفاقيات غير رسمية مع الحكام. وفى الإمارات المتصالحة يخضع جميع الأجانب لهذه السلطة، وفى الإمارات الأخرى فإنها تنطبق - بوجه عام - على جميع الأجانب من غير رعايا الدول الإسلامية التى ليست أعضاء فى الكومونولث البريطانى، أما فى مسقط فإنها تنطبق فقط على مواطنى المملكة المتحدة ومستعمراتها، مع سلطة قضائية محدودة على مواطنى بعض دول الكومونولث الأخرى فى الحالات التى لا يكون رعايا مسقط طرفًا فيها.

وسأصف فى الفصل التالى النظام السياسى للإمارات، لكن أود أن أؤكد هنا استقلال هذه الإمارات عن بعضها البعض، وعن أية سلطة خارجية طالما أن الأمر يتعلق بشئونها الداخلية. ولا تمارس الحكومة البريطانية إشرافها إلا على الأمور التى تتطلب مفاوضات أو احتمال الدخول فى تعقيدات مع دول أجنبية أخرى، مثل الطيران

المدنى والبريد والبرق، كما تقدم الحكومة البريطانية نصيحتها المستمرة وتشجيعها لمختلف الحكام فيما يتصل بتحسين إداراتهم وتطوير مصادرهم، وذلك بطريقة غير رسمية فى معظم الأحيان. ويقوم بذلك الوكلاء السياسيون التابعون لمقر المقيم والذين يحتفظون بعلاقات شخصية وثيقة مع الحكام وكبار المسئولين الحكوميين فى وكالاتهم. ولا يتدخل المقيم السياسى عادة إلا فى الأمور الهامة، ولو أنه فى حالة قيامه بإحدى الجولات يناقش عادة الأمور الجارية المألوفة مع الحاكم الذى يزوره. وحتى فى البحرين فإن الوكيل السياسى المحلى هو الذى يقوم عادة بتصريف كل الأمور مع الحاكم وموظفيه .

ومن المعالم المميزة للوضع البريطانى فى الخليج الفارسى الاحتفاظ بذلك الاتصال الشخصى الوثيق بين الوكلاء السياسيين والحكام. فهم يتقابلون بصفة مستمرة، وهى مقابلات معظمها اجتماعى أكثر مما هى لإجراء محادثات رسمية. وغالبًا ما تكون المقابلات الاجتماعية أكثر أهمية من المقابلات الرسمية، فتلميح يلقى أثناء حديث عرضى كثيراً ما يكون أفضل تأثيراً من نصيحة رسمية. والحكام - باعتبارهم عربًا - سرعان ما يستاءون من محاولة تلقينهم ما يفعلون. وعادة ما تكون العلاقات بين الحاكم ووكيله السياسى علاقة صداقة شخصية كما تبدو فى ظاهرها على أية حال، لكنه لا يرحب بأية علاقة مماثلة بين الوكيل السياسى وأى فرد من رعاياه. وأذكر أن المرحوم الشيخ أحمد شيخ الكويت قال لى مرة إن أفضل وكيل سياسى عرفه كان وكيلاً ليست لديه أية علاقة بأحد غيره. وبتلك المناسبة فإنه امتدح هذا الوكيل ؛ لأنه علمه الدقة فى المواعيد، وذلك عندما ذهب هذا الوكيل لإجراء مقابلة معه ووجد أنه قد وصل مبكراً دقيقتين فانتظر حتى حان الموعد المحدد رغم أنه رأى الحاكم منتظراً استعداداً لاستقباله.

ومن أهم أعمال المقيم السياسى إدارة العدل بمقتضى السلطة القضائية التى تنازل عنها مختلف الحكام للحكومة البريطانية. وتحكم هذا النوع من الأنشطة تعليمات *المجلس الاستشارى (أو مجلس شورى الملكة) التى تصدر لكل وكالة فى قانون ينظم* وضع المواطنين البريطانيين. وبمقتضى هذه التعليمات توجد محكمة ذات ولاية عامة ومحكمة رئيسية ومحكمة درجة أولى فى كل منطقة لإجراء التحقيقات والتحريات

وتسجيل الأشخاص والشركات الخاضعين للقضاء البريطاني. والمقيم السياسي هو قاضي المحكمة الرئيسية، والوكلاء السياسيون والقنصل العام في مسقط هم قضاة محكمة أول درجة في مناطقهم، ولمساعديهم الرئيسيين الصلاحيات نفسها. وعندما كانت السلطة في يد الحكومة الهندية، كان كل المواطنين السياسيين لديهم خبرة قضائية. لكن ذلك أمر نادر الحدوث بالنسبة لموظفي وزارة الخارجية الذين يعينون الآن في وظائف بالخليج الفارسي. ولسد هذا النقص فإنهم يتلقون برنامجًا تدريبيًا في القضاء قبل أن يؤدوا مهامهم. وفي البحرين والكويت تم تعيين محامين كمسجلين، ومُنحوا سلطة قضاة محاكم الدرجة الأولى، وذلك بهدف التخفيف عن الوكلاء السياسيين من كثير من عملهم القضائي، ولديهم صلاحية تقديم استشاراتهم عندما يطلبها الوكلاء السياسيون الآخرون، كما أن لهم سلطة نظر القضايا في المحاكم إذا تطلب الأمر ذلك.

والقانون الذي كانت تطبقه تعليمات المجلس الاستشاري كان أغلبه موضوعًا للهند البريطانية أولاً قبل انتقال السلطة فيها. وقد أُدخل حديثًا قانون خاص للعقوبات قائم على أساس القانون البريطاني القديم في فلسطين، كما أُدخلت قوانين أكثر بساطة في الإجراءات الجنائية، وسيحل قريبًا قانون أفضل يتلاءم مع الظروف المحلية مكان قانون الإجراءات المدنية. والجرائم الخطيرة نادرة، والقضايا المدنية ليست كثيرة، وعدد المحامين قليل، وكلهم أجانب يمارسون عملهم في البحرين والكويت ولا وجود لهم في أي مكان آخر. وللمقيم السياسي سلطة وضع القوانين التي تسمى قوانين الملكة، والتي يجب أن تحصل على موافقة وزير الخارجية، وذلك بهدف تغطية مجموعة من الأمور ليس منصوصًا عليها في تعليمات المجلس الاستشاري أو في التشريعات المطبقة منها، وكذلك لإلغاء أو تعديل مثل هذه التشريعات. كما تستخدم هذه القوانين في تنفيذ أو تطبيق القوانين المحلية التي تصدرها دول الخليج لتنظيم أمور مثل الجمارك والرسوم والواردات والصادرات وتملك المشروبات الروحية وتعاطيها، وتجارة الأدوية، والطيران المدني، وامتلاك الأراضي، وذلك على الأشخاص الخاضعين للقضاء البريطاني. كما يتم تطبيق قوانين فرعية مشابهة للبلديات. ويقوم بفحص كل هذه القوانين خبراء قانونيون في وزارة الخارجية في لندن، كما يتم إقناع تلك الدول - كلما أمكن ذلك - بعرض

مشروعات قوانينها لفحص مماثل قبل إصدارها وذلك حتى يتسنى تطبيقها على الأشخاص الخاضعين للقضاء البريطانى دون إدخال تعديلات عليها. وكل هذا العمل القانونى يأخذ من وقت المقيم السياسى أكثر مما يأخذه منه نظره فى القضايا. وباعتباره قاضى المحكمة الرئيسية، فإنه لا يختص عادة إلا بقضايا الاستئناف، وهى ليست قضايا كثيرة، ويقدم معظمها قاض ذو خبرة من المملكة المتحدة يقوم بثلاث زيارات أو أربع للخليج الفارسى تستغرق أسابيع قليلة كل عام. وكل من المقيم السياسى وهذا القاضى قضاة أيضًا فى المحكمة ذات الولاية العامة التى يمكن أن يعين فيها قضاة آخرون أو محامون فى المحاكم العليا من خارج الخليج طبقًا لما يتطلبه الوضع. وهذه المحاكم لا تنظر إلا فى القضايا التى تستأنفها المحكمة الرئيسية. ومحكمة الاستئناف العليا هى المجلس الاستشارى. ويجب أن يصدق وزير الخارجية على أحكام الإعدام. وفى القضايا المدنية تبذل المحاكم قصارى جهدها للصلح بين الأطراف المتنازعة، وهناك توجيهات بذلك فى تعليمات المجلس الاستشارى. ويتم الرجوع إلى القاضى الشرعى أو إحدى المحاكم المحلية على التوالى فى القضايا المدنية التى تتضمن جوانب تتصل بالشريعة الإسلامية والعرف المحلى.

والمحاكم المحلية ذات مرتبة أدنى، وسأعرض لهذه المحاكم بالتفصيل فى فصل آخر. وتُبذل أقصى المجهودات لإقناع الحكام بتحسين هذه المحاكم حتى تصبح على درجة من الكفاءة فى الوقت المناسب لتتولى بعض أو كل الأمور القضائية التى يتولاها الممثلون البريطانيون حاليًا. وقد تم تحقيق تقدم طفيف فى هذا الاتجاه. وتتضمن تعليمات المجلس الاستشارى فقرات تتعلق بالمحاكم المشتركة حيث يجلس أحد القضاة المحليين مع قاضى إحدى المحاكم التابعة للوكيل السياسى للنظر فى القضايا المشتركة كأن يكون المتقاضون أشخاصًا خاضعين للقضاء البريطانى وآخرين خاضعين للقضاء المحلى، وتُستثنى كل من الكويت ومسقط من ذلك. وللمقيم السياسى السلطة فى أن يقرر التشاور مع الحاكم المحلى لتحديد أى القضايا التى تحال إلى مثل هذه المحاكم. وكقاعدة عامة فإن القضايا المدنية هى التى تحال فقط إلى هذه المحاكم. ويولى المسئولون أهمية عظمى لهذه المحاكم باعتبارها وسيلة لتعليم القضاة المحليين إدارة القضاء على أسس حديثة. وقد عينت حكومة البحرين مستشارًا قانونيًا بريطانيًا لتقديم

النصيحة للقضاة المحليين وللمساعدة فى وضع مسودات التشريعات وتقديم النصيحة فيما يتصل بالموضوعات القانونية بوجه عام، لكنه لا يمارس العمل القضائى بنفسه. وكثيراً ما تنشد السلطات الكويتية النصيحة من مسجل الحكومة البريطانية وهو عربى فلسطينى.

وتوجد مطارات فى كل من البحرين والكويت والدوحة وقطر والشارقة على الساحل المتصالح، وفى مسقط، بالإضافة إلى عدد من المطارات أو الممرات الجوية التى أقامتها شركات النفط لاستعمالها الخاص. والمقيم السياسى مسئول عن إجراء المفاوضات لعقد اتفاقيات الطيران مع مختلف الحكام وإدخال التعديلات الضرورية من حين لآخر بسبب ما يجد على الطيران المدنى من تطورات. وعليه أن يتأكد من أن قوانين الطيران تُنفذ تنفيذاً سليماً. وهو يجد صعوبة فى بعض الأحيان فى إقناع الحكام بأن ينفذوا الالتزامات الملقاة على عاتقهم من حكومة صاحبة الجلالة فى الاتفاقيات الدولية والثنائية. وموظفو وزارة الطيران المدنى الموجودون فى البحرين والكويت يعفونه من مسئولية الأمور الفنية والروتينية. كذلك فإنه مسئول مسئولية تامة عن مكاتب البريد التى يرأسها بريطانى وعن الاتصالات البرقية التى تديرها شركة البرق واللاسلكى طبقًا لاتفاقيات مع الحكام باستثناء الكويت حيث تتولى الحكومة إدارة مكاتب كل من البريد والبرق. ويبذل المقيم البريطانى أقصى جهده لضمان رقابة الشيوخ على الاتفاقيات الدولية الخاصة بالصحة والعقاقير ذات الخطورة.

وبما أن دول الخليج الفارسى تدخل فى نطاق الإسترلينى، فعلى المقيم السياسى أن يحافظ على مصالح الإسترلينى بوجه عام. فهو يسيطر على عمليات الصفقات المتبادَلة التى تتم عن طريق البنوك، ولو أنه من غير الممكن أن تكون هناك سيطرة فى المجتمع المفتوح اقتصادياً. وهو يبذل قصارى جهده لإقناع حكام الإمارات المنتجة للنفط ألا ينفقوا دخولهم الضخمة بطريقة تعرِّض مصالح الإسترلينى للخطر. وعليه أن يشجع التجارة البريطانية دون أن يستخدم مركزه الخاص فى استبعاد الدول الأخرى. ويساعده فى هذه المهمة مستشار اقتصادى مركزه فى الكويت، وسكرتير أول تجارى ملحق بمركز رياسته فى البحرين.

وثمة مهمة أخرى للمقيم البريطانى لها أهميتها، هى العمل على تطوير التعليم على أسس سليمة. ويعاونه فى هذه المهمة موظف من المجلس البريطانى، مركز رياسته فى الكويت، ويقوم بزيارات مستمرة للدول الخليجية الأخرى. وعلى أية حال فالحكومات المحلية هى المسئولة مسئولية تامة عن التعليم، والمقيم السياسى يستطيع فقط أن يقدم النصيحة أو المساعدة فى توفير المدرسين والمعدات. ويوجد مكتب استعلامات بمقر المقيم فى البحرين مسئول عن إذاعة المعلومات ونشر الثقافة، وتقوم الإذاعات العربية فى اتحاد الإذاعة البريطانية بدور فى ذلك.

ومن الطبيعى أن يكون لشركات النفط نصيب كبير من اهتمام المقيم السياسى، فعليه أن يراقب عن كثب كل المفاوضات الخاصة بالاتفاقيات الجديدة أو التعديلات التى يتم إدخالها على الاتفاقيات الموجودة، وأن يتأكد من عدم تقرير شىء من شأنه أن يؤثر تأثيراً خطيراً على مركز الحكام أو الحكومة البريطانية. وبالرغم من أنه لا يولى كبير اهتمام للنواحى الفنية والتجارية فى هذه الاتفاقيات إلا أن من واجبه أن يبذل كل جهده لتشجيع إقامة علاقات طيبة بين الشركات من جانب والحكام وشعوبهم من جانب آخر. فهو يهتم - بوجه خاص - بتشجيع الشركات على توظيف أكبر عدد من السكان المحليين، وإعطائهم أجراً معقولاً وسكناً وعلاجاً، وبما أن معظمهم أميون فعلى هذه الشركات أن توفر لهم تعليماً أكاديمياً وفنياً. فالسياسة العامة تتجه نحو جعل السكان المحليين أكفاء بحيث يمكن إحلالهم مكان العناصر الأجنبية التى تشغل الآن المراكز الأكثر مسئولية، كما تتجه نحو مزيد من ربطهم بمشروعات هذه الشركات.

وتُعْنَى بريطانيا أيضاً بمصلحة الإنارة فى الخليج الفارسى، وعلى المقيم السياسى أن يوليها رعايته. فبعد أن قضت بريطانيا العظمى على القرصنة فى الخليج قررت أن من واجبها حماية الملاحة مما تتعرض له من أخطار أخرى. وقد بدأت هذه الخدمة شركة الهند البريطانية للملاحة البخارية لصالحها الخاص، لكن حكومة الهند تولت هذا العمل حوالى عام ١٩١٠، وخصصت اعتماداً تدعمه الرسوم التى تتم جبايتها من البواخر عابرة المحيطات، والتى تمر فى الخليج. وأقيمت الفنارات فى الجزر وألسنة الأرض الداخلة فى البحر، كما وُضعت العوامات لإرشاد السفن فى الموانئ والمياه الضحلة ومجارى المياه. ولمدة أكثر من ثلاثين عاماً فى النصف الأول من قرننا الحالى

ظلت السفينة نيرخوس Nearchus - وهي سفينة إنارة حمولتها ٨٠٠ طن - تقوم بدورية شهرية في الصيف الحار والشتاء العاصف لإجراء صيانة منظمة للفنارات والعوامات ضماناً لسلامة الملاحة. وقد حلت محلها في عام ١٩٥١ سفينة من طراز أحدث تُسمى "ريليوم" . وبعد انتقال السلطة إلى الهند، تأسست في لندن شركة لا تستهدف الربح لإدارة هذه الخدمة، وانتقلت رياستها التنفيذية المحلية من البصرة إلى البحرين برياسة مدير بريطاني. ويعاون مجلس إدارة الشركة في لندن مجلس استشاري محلي يجتمع في البحرين أو في أي مكان آخر من حين لآخر. ويتم تحصيل رسوم الإنارة - كما كان سابقًا - من السفن عابرة المحيطات التي ترسو في موانئ الخليج، لكن المراكب المحلية تستفيد مجانًا من هذه الخدمة. وهناك عدد من المشروعات الجديدة في سبيلها للتنفيذ أو التفكير فيها. ورغم أن المقيم السياسي لم يعد وثيق الصلة بمصلحة الإنارة كما كان سابقًا إلا أن له من يمثله في مجلس الإدارة المحلي، كما أنه يستشار عندما تكون هناك اعتبارات سياسية.

يتضح مما سبق أن واجبات المقيم السياسي متعددة، وبالإضافة إلى ذلك فبما أنه يتعامل مع إحدى عشرة دولة فإنه لا يكاد يخلو باستمرار من أزمة في مكان ما، وهي أزمات - رغم أنها ليست ملحوظة على مستوى العالم الكبير - إلا أنها تسبب قلقًا كبيراً على المستوى المحلي، وتتطلب إرسال كثير من البرقيات إلى وزارة الخارجية في لندن. ويتحمل الموظف المحلي أولاً عبء هذه الأزمات وعبء العمل اليومي. وكما سبق أن ذكرت فإن هناك وكالات سياسية في البحرين والكويت ودبي على الساحل المتصالح والدوحة في قطر، كما أن هناك قنصلية عامة في مسقط. وفي «أبو ظبي» على الساحل المتصالح يوجد موظف سياسي تابع للوكيل السياسي في دبي. ولكي أزيل سوء فهم ترامى إلى سمعي فمن المستحسن أن أوضح أن لفظ "الوكيل السياسي" لا يتضمن أي ارتباط بعمل المخابرات أو بحزب سياسي في المملكة المتحدة، وقد كان هذا اللفظ يُستخدم في الهند للدلالة على نائب مندوب الحكومة أو محصل الضرائب الذي يعمل في الهند أو دول الخليج الفارسي والمناطق القبلية على الحدود الشمالية الغربية. ويختص رئيس المكتب بالعمل السياسي الخالص، بينما يختص من يليه في الدوحة بالعمل القنصلي والروتيني، وهو عمل مزدحم في دول الخليج حيث شركات النفط تواصل

إنتـاجـهـا. وكل الوظائف المذكورة فى هذه الفـقـرة يشـغلهـا الآن مـوظفـون فى وزارة الخـارجيـة البـريطانيـة. وقـد أحيل إلى التـقـاعـد فى عـام ١٩٥٨ آخـر موظفى الخدمـة السيـاسيـة فى الهنـد التى كانت تتـولى هذه المهمـة لمدة طويلة فى الخليج الفارسى، والتى أرست الوضع البريطانى الحالى فى جو حار ملوث بالغبار لا تتوفر فيه وسائل الراحة الحديثة.

ويجب ألا تفوتنى الإشارة إلى الدور الذى لعبته قوات الدفاع البريطانى لاسيما الأسطول الملكى. فلمدة أكثر من قرن كان الأسطول الملكى هو الأداة الوحيدة لاستتباب السلام فى الخليج، وذلك بمساعدة البحرية الهندية الملكية أو – كما أصبحت فيما بعد – الأسطول الهندى الملكى. وقد قـام رجاله بعمليات متعددة صغيرة لكنها خطرة على ساحل غير آمن وفى أردأ الأحوال الجوية وذلك للقضـاء على القرصنة وتجارة الرقيق وإقرار القانون والنظام بوجه عام. وفى هذه الأيام – التى يُعتبر فيها أى شىء يُشْتَمُّ منه رائحة الاستعمار خطيئة مميتة – فإن القوة أصبحت أقل استخداماً، واستعمالها ليس ضروريا فى الواقع فى الظروف الحديثة، لكن ما يزال يحدث أن تُستدعى سفينة من سفن الأسطـول الملكى لتكـون على أهبـة الاستعداد لحمايـة الأنفس أو الممتلكات أو للتوسط عندما يكون أحد الحكام فى مشكلة مع رعاياه أو القبائل المجاورة. وتوجد فى الخليج ثلاث فرقاطات بريطانية تحت إمرة قائد يسمى "قائد البحر العربى والخليج الفارسى". ورئاسته فى القاعدة البحرية فى جوفير بالجزيرة الرئيسية فى البحرين، وهى ملاصقة تماماً لمقر المقيم. وهذا التنظيم الذى تتجاور فيه السلطتان السياسية والحربية البرية يوفر أوثق التعاون وأكبر الفوائد للطرفين.

وقد أدى تطور صناعة النفط والطيران المدنى خلال الحربين العالميتين إلى ارتباط بريطانيا بالتزامات فى البر والبحر، وجعل من تقديم المعونة الجوية أمراً لا مفر منه. وتتمركز الآن كتائب صغيرة من سلاح الجو الملكى فى مطارات البحرين والشارقة، وكذلك فى صلالة وظفار وجزيرة مصيرة بموافقة سلطان مسقط. ويقيم فى البحرين ضابط كبير من ضباط سلاح الجو الملكى بالخليج الفارسى. وبإنشاء القوات المجندة على الساحل المتصالح عالم ١٩٥١، برز الجيش فى الصورة، وتم تعيين أحد ضباط الجيش الكبار فى البحرين، وسأذكر المزيد عن هذه القوات فى فصل لاحق. وتتمركز

الآن فرقة مدفعية بريطانية فى البحرين تتبعها كتيبة فى الشارقة. كما توجد لجنة للدفاع تضم كبار ضباط الأسلحة الثلاثة برياسة المقيم السياسى المسئول عن توجيه العمليات فى دول الخليج، وهذه اللجنة مسئولة عن توجيه العمليات فى دول الخليج بإشراف رياسة القوات البريطانية لشبه الجزيرة العربية التى أقيمت مؤخراً فى عدن.

لقد أوضحت فى الفصل السابق كيف تراكمت على بريطانيا مسئولياتها نحو الإمارات، وفى هذا الفصل حاولت أن أبين كيف مارست بريطانيا هذه المسئوليات. ولا تحصل بريطانيا على أى عائد من أى نوع من الإمارات، كما أنها لم تدفع أية إعانة لأى منها فيما عدا إيجار المطارات. وقد عادت هذه الشركة بين دول الخليج وبريطانيا بالفوائد على الطرفين، لكن دول الخليج كانت أكثر استفادة، فهى لم تحتفظ باستقلالها فقط بل إنها حصلت على الثروة عن طريق تنمية مصادرها النفطية، وهو ما أمكن تحقيقه فى ظل "السلام البريطانى". ويرى البعض أن فى بقاء هذه الإمارات الصغيرة على قيد الحياة وتراخى قبضة بريطانيا العظمى عليها مفارقة تاريخية، لكن – على قدر علمى – فبالرغم من وجود دعاية مضادة لبريطانيا وللشيوخ، فإنه ليست هناك الآن حركة منظمة فى أية إمارة من الإمارات لها القدرة على إحداث أى تغيير فى النظام الحالى. ومجرد كون بريطانيا ظلت موجودة لمدة تزيد على قرن هو فى حد ذاته برهان قوى على استمرارها. ولكن من الطبيعى أن هذا الوجود لن يدوم إلى الأبد، وتقوم توجهات السياسة البريطانية على أساس تشجيع الدول على تحسين نظمها الإدارية حتى يتسنى لها أن تصبح أكثر قدرة على إدارة شئونها بنفسها.

الفصل الرابع

الشيوخ وإداراتهم

كلمة "شيخ" تعنى عادة "كبير السن"، وهو اللقب المستخدم حاليا لحكام الإمارات، رغم أنهم كثيراً ما يلقبون فى أنحاء أخرى من الشرق الأوسط بلقب أمير. واللقب المستخدم رسمياً هو الشيخ فلان حاكم المكان الفلانى. وقد يلحق به لقب شرفى حين يكون ذلك مناسباً. وبما أن هناك آخرين وكثيرين جداً يلقبون أنفسهم بالشيوخ فإنه غالباً ما يشار إلى الشيوخ، سواء كتابة أم شفاهة، بالحكام. وكل الذكور فى الأسر الحاكمة يلقبون بالشيوخ. وإذا تحدثت مثلاً عن "الشيوخ" فى البحرين والكويت فإنه يُفهم منك عادة أنك تعنى بذلك الأعضاء البارزين فى الأسرة الحاكمة، وليس الحكام. وبالإضافة إلى ذلك فإن رؤساء قبائل البدو وأقرباءهم الذكور يسمون الشيوخ، وهناك أسر قليلة من طبقة التجار يُلقبون أيضاً باللقب نفسه.

وينحدر الحكام جميعهم من بدو الصحراء، ورغم أن شاغل بعضهم تطوير دولهم على أسس حديثة فإن أسلوبهم فى الحكم ما يزال قَبَلياً فى جوهره. والعرب ديمقراطيون بطبيعتهم طالما كان الأمر يتعلق بعلاقاتهم ببعضهم البعض، فكل الذين هم من أصل عربى خالص متساوون، ومن عداهم فى مرتبة أدنى بكثير، لكنهم لم يتأقلموا بعد على المؤسسات الديمقراطية طبقاً للأساليب الغربية، والمجهودات التى بُذلت لإقامة هذه المؤسسات فى إمارات الخليج لم تنجح كثيراً. فشيخ القبلية يُعتبر على رأس هؤلاء الذين يتساوون فيما بينهم، وتتم مناقشة شئون القبيلة عادة واتخاذ القرارات بشأنها فى اجتماعات رجال القبيلة فى خيمته. ودول الخليج تتبع أسلوباً مماثلاً. ففى الكويت مثلاً يعقد الحاكم جلسة عامة يومياً فيما عدا أيام العطلات، ويستطيع الجميع

بلا استثناء أن يعبِّروا له عن وجهات نظرهم. والرأى الأخير يرجع إلى الحاكم، فكلمته قانون لكن الرأى العام يوجهه فى معظم الأحيان. ويمكن القول بلا تردد إن معظم الحكام يحاولون مخلصين أن يبذلوا كل جهدهم لصالح شعبهم، وإن الاستبداد أمر نادر. فالحكم يقوم على أساس أنه أبوى أو بطريركى وأن يعم الخير الجميع، وليس هناك كبير دلالة على وجود اتجاه نحو مزيد من الشكل الديموقراطى للحكم باستثناء البحرين، وبدرجة أقل الكويت.

وقد أقيمت لجان المجالس البلدية فى بعض المدن والقرى الكبيرة، وتُجرى البحرين انتخابات للمجالس البلدية، لكن فى الدول الأخرى يتم ذلك بالتعيين. ومعظم إمارات الخليج عبارة عن دولة فى مدينة ذات خليط بشرى يحكمهم العرب الذين يمتلكون معظم الأراضى، بينما الأجناس الأخرى تقوم بالعمل والتجارة. وليس هناك تآلف بين مختلف الدول على الساحل المتصالح إلا فى حدود ضيقة، وهم فى الأغلب يغيرون من بعضهم البعض غيرة شديدة، وهكذا يتغلب ضيق الأفق على المشاعر الوطنية رغم أن العرب فى الأماكن الأكثر تقدمًا يُظهرون قدرًا كبيرًا من التعاطف مع إخوانهم فى أنحاء أخرى من العالم العربى، ويرفعون صور جمال عبد الناصر فى بعض الأسواق. كذلك تساهم الرفاهية المستمدة من أنشطة شركات النفط مساهمة كبيرة فى فقدان الإثارة ضد الشكل الحالى للحكم. بوجه عام فإن المشغولية الشديدة والبطون الملآنة تصرفان الناس عن الزج بأنفسهم فى السياسة.

وطبقًا لتقاليد العرب القبلية فإن خلافة الحكم لا تعتمد على من هو الأكبر سنا. فعند وفاة أحد الحكام يجتمع عادة سرًا أعضاء الأسرة المالكة البارزون ويختارون خليفته. وميزة هذا النظام استبعاد القصَّر وضعاف الشخصية، لكنه أدى كذلك فى الماضى إلى القضاء على الشخصيات المحتمل تقلدها الحكم عن طريق القتل. وهناك الآن اتجاه متزايد إلى أن تكون خلافة الحكم من الأب إلى الابن الذى يراه أكثر ملاءمة لخلافته. ووفاة الحكام ما تزال تتلوها فترة من الترقب تسبب قلقًا ضخمًا لمقر المقيم، وربما تتأهب إحدى السفن الحربية إلى أن يتقلد خليفته زمام الحكم بتأييد الأسرة الحاكمة. وعندما تستتب الأمور يبلغ المقيم السياسى عادة اعتراف الحكومة البريطانية للحاكم الجديد فى حفل رسمى يقام بعاصمته. وليست هناك فترة حداد طويلة على

الحاكم المتوفى. وقد يتوقف العمل يومين أو ثلاثة، لكن الحياة ما تلبث أن تعود بعد ذلك إلى طبيعتها.

ورغم أن الحاكم قد لا تكون لديه مشاكل كثيرة مع شعبه، فإنه عادة ما تكون علاقاته شوكة فى جسده. قد يكون هناك عدد قليل ممن يعاونونه حقًا، لكن البقية ينقسمون إلى فئتين، هؤلاء الذين يطمحون إلى السلطة والمال، وهؤلاء الذين يريدون المال فقط. ويمكن مقارنة الفئة الأولى ببارونات العصور الوسطى، ويشجع نظام الخلافة الحالى نشاط هذه الفئة الأولى. أما الفئة الثانية فهى أكثر عدداً. وهناك عدد كبير من الشيوخ الذين يرفضون القيام بأى عمل بينما ينغمس بعضهم فى الملذات الحسية. وهم يصرخون دائمًا مطالبين بزيادة مخصصاتهم، ويفسدون على الحاكم حياته. وهو يجد أنه من المتعذر عليه الوقوف فى وجه مطالبهم. وعندما يرضخ لهم فإنه يواجه عادة الاحتجاج من المقيم السياسى لتبديده عائدات الدولة على كسالى لا نفع فيهم. وأحد أسباب هذا الوضع المضطرب هو فشل كثير من الشيوخ – بمن فيهم بعض الحكام أنفسهم- فى تعليم أبنائهم تعليما جيداً. فهؤلاء الأبناء يشبون مدللين دون أن يتعلموا أى شىء مفيد ويحيون حياة الترف على حساب الدولة حتى نهاية حياتهم. وللأسف فإن هؤلاء الشيوخ لا ينجحون عادة إلا فى إنجاب أمثالهم، مما يؤدى إلى زيادة عددهم زيادة مستمرة، وما لم يُصلحوا من مسلكهم فإن إسرافهم وتبديدهم لأموال الدولة سيصبحان بلا شك سبباً فى إثارة شعبية.

وتنقسم الإدارة فى الإمارات المنتجة للنفط – وهى البحرين والكويت وقطر – إلى دوائر. ويوجد فى البحرين مجلس إدارى. وفى الكويت مجلس أعلى يضم الشيوخ البارزين. وفى بعض الحالات يتولى رياسة هذه الدوائر أفراد من كبار الأسرة الحاكمة، وفى حالات أخرى يتولاها خبراء بريطانيون. ففى قطر يشرف مستشار بريطانى على الإدارة بوجه عام، وفى البحرين يوجد سكرتير بريطانى فى الحكومة. وفى كلتا الدولتين، وكذلك فى الكويت، هناك خبراء بريطانيون فى دوائر الصحة والأشغال العامة. وتدفع الدولة أجور هؤلاء الموظفين البريطانيين جميعاً، ويتم تعيينهم طبقًا لعقود مع الحكام، ويتلقون الأوامر من الحكام وليس من المقيم السياسى. وفى البحرين تعيِّن شركة النفط مدرسى اللغة الإنجليزية للدائرة التعليمية، لكن فيما عدا ذلك ليس هناك خبراء

بريطانيون يُستخدمون لأغراض تعليمية. فالإمارات المنتجة للنفط تحرص كل الحرص على دوائرها التعليمية وهدفها هو ألا يعمل بها إلا موظفوها. وبما أنه لا يتوفر حاليًا العدد الكافى المتعلم والمستعد للعمل فى مدارسهم فإنهم يجلبون عدداً كبيراً من المدرسين من مصر ولبنان وغيرهما من دول الشرق الأوسط. ويدرك الحكام جيداً مخاطر هذه السياسة ويتخذون خطوات حاسمة مع أى مدرس يشجع الأنشطة الهدامة. ومن الأهداف المهمة للحكام ضمان تلقى أطفال شعوبهم خلفية ثقافية عربية إسلامية وليست غربية. وعندما يتم تلقى هذه الخلفية فإن عدداً محدداً من الطلبة يرسلونه إلى المملكة المتحدة وغيرها من دول الغرب لمزيد من الدراسة. وما يزال حكم الشيوخ فى إمارات الساحل المتصالح حكمًا شخصيًا تمامًا، ولا يكاد يوجد - أوْ لا يوجد - اتجاه نحو إقامة إدارة منظمة.

ويقوم الحكام بمعظم أعمالهم فى قصورهم حيث يوجدون عادة أثناء الصباح وبعد الظهر. وليس فيهم من يتحدث الإنجليزية، لكن عادة ما يوجد سكرتير يستطيع الترجمة كلما دعت الحاجة إلى ذلك. وفى الإمارات الكبيرة لكبار المسئولين مكاتب منفصلة. ويُعتبر يوم الجمعة يوم الإجازة (الأسبوعية) دائمًا.

وتصدر قوانين الدولة بمرسوم من الحاكم. وفى البحرين والكويت يتم نشرها فى الجريدة الرسمية، لكن فى غير هاتين الدولتين تُرسل بالبريد أو تُعلن عن طريق بيان عام. وفى بعض إمارات الساحل المتصالح قلما تُدون. وهناك اتجاه لصياغة قوانين لمواجهة مناسبة من المناسبات دون تفكير سابق جيد أو وضع مسودة لها. وليس من الممكن الحصول من أية دولة على خلاصة وافية للقوانين المحلية. وفيما عدا البحرين فإنه لا يوجد أى توصيف لإدارة العدل. وتُطبق الشريعة الإسلامية فى معظم الإمارات، وفى الحالات التى تثير الارتياب يتم الرجوع إلى القاضى الشرعى. لكن العقوبات القاسية التى تنص عليها الشريعة الإسلامية فى حالة ارتكاب الجرائم مثل قطع اليد فى حالة السرقة فإنه قلما يتم تطبيقها الآن. وتحال القضايا التجارية أحيانًا إلى محكمة مكونة من كبار التجار. وفى البحرين طبقت الحكومة قانونًا جديداً للعقوبات كان قد صدر مؤخراً لتطبيقه فى المحاكم البريطانية. لكن القضاة - وهم عادة الحكام أنفسهم أو أقرباؤهم - ليس لديهم بوجه عام قانون أو قواعد إجرائية يسترشدون بها

وذلك فى الحالات التى لا يحكم فيهـا القاضى الشرعى، وأحيـانًا يكون الفيصـل هو ما يسمى "عدالة شجرة النخيل". وقد كان هذا الوضع كافيًا لمواجهة الحاجات المحلية لجيل مضى، لكنه لم يعد ملائمًا للظروف المتغيرة الناتجة من عمليات شركات النفط. ويبذل القضاة قصارى جهدهم طبقًا لمدى فهمهم، لكن لا الشريعة الإسلامية ولا التقاليد القبلية تعينهم كثيراً على معالجة أمور مثل مخالفات المرور وحقوق المؤسسات التجارية والصناعية وواجباتها. والمذنبون فى دول الساحل المتصالح يُسجنون عادة فى زنازين فى قصور الحكام وذلك فيما عدا دبى حيث يوجد سجن جيد.

وقد وضعت بعض الإمارات قوانين خاصة بالجنسية، وتصدر كلها - فيما عدا عجمان وأم القيوين - جوازات سفر يُعترف بها دوليا. ورعايا الإمارات أشخاص تحت الحماية البريطانية. ويمكنهم الحصول على جوازات سفر بريطانية عند الضرورة أو إذا كان ذلك أمرًا مرغوبًا، وتعتمدها جميعًا مكاتب الممثلين البريطانيين فى الخارج. ويتخذ بعض الحكام خطوات للحد من حقوق الأجانب حتى يتسنى حفظ حقوق رعاياهم. من ذلك منعهم من تملك الأراضى، ورفض السماح للشركات الأجنبية بإقامة مشروعات تجارية أو صناعية جديدة إلا إذا كان ذلك مرتبطًا بالمصالح المحلية. وبوجه عام فإن الأجانب من جميع الجنسيات - فيما عدا اليهود - مسموح لهم بدخول الإمارات دون مقابل للقيام بزيارات لمدة محددة، ويلقون معاملة حسنة. والسلطات البريطانية هى التى تمنح تأشيرات الدخول لمثل هذه الزيارات باسم الحكام الذين تتشاور معهم عند الضرورة. ويستطيع رعايا إحدى الإمارات - الذين يقومون بزيارة إمارة أخرى - دخولها دون تأشيرة بشرط أن تكون معهم وثيقة سفر. ويُسمح لزائرى بعض الإمارات القادمين من الشرق الأوسط مثل لبنان وسوريا والعراق بالدخول دون تأشيرات.

وقبل اكتشاف النفط كانت الإمارات تعتمد فى عائداتها على الجمارك والرسوم والضرائب التى تؤخذ على بساتين النخيل وسفن صيد الأسماك واستخراج اللؤلؤ. وتؤخذ ضرائب البساتين والسمك، باعتبارها زكاة، وفى حدود علمى ليس هناك حاكم يفرض زكاة على اللؤلؤ (*)، إنما تؤخذ مبالغ محدودة علىّ كل سفينة استخراج لؤلؤ فى

(*) المؤلف يقصد ضريبة . (المترجم)

بداية الموسم السنوى. أما رسوم الجمارك فقد كانت دائمًا منخفضة، وفى بعض الأحيان يُحظر على الحكام - بمقتضى إحدى المعاهدات - أن يأخذوا أكثر من ٥٪ من الواردات، لكن أمكن التحرر من هذا الالتزام عندما اقتضت الظروف ذلك. وكانت هذه العائدات تعين الحكام بالكاد على تدبير أمورهم قبل ظهور شركات النفط على المسرح، ولم توفر هذه العائدات الكثير لتحسين الإدارة وتطوير الأنشطة المحلية الأخرى. وقد تغيرت الصورة الآن كليا. فالإمارات المنتجة للنفط عندها جميعًا ما يكفى حاجاتها وأكثر، بينما إمارات الساحل المتصالح - رغم فقرها - تتلقى مبالغ سنوية ضخمة من الشركات التى تبحث عن النفط فى أراضيها.

الفصل الخامس

الشعب

هناك فرق واضح في العالم العربي بين البدو وسكان المدن والقرى المستقرين. وهذه التفرقة موجودة في كل مكان بدول الخليج. والسكان في المدن الساحلية خليط بشري. وللعرب الأغلبية العددية والسيادة السياسية لكن هناك إيرانيين وهنودا وباكستانيين وبلوش قد استقروا استقراراً دائماً بينهم، بالإضافة إلى مواطنين عابرين من دول الشرق الأوسط الأخرى وأوروبيين (معظمهم بريطانيون) وأمريكان . وهناك الكثيرون من السكان المقيمين ممن تشي ملامحهم الزنجية بانحدارهم من سلالة العبيد.

ويقطن معظم القرى في البحرين فئة تفلح الأرض تسمى البحارنة. ويمكن تقسيم سكان المدن إلى أربع طبقات: الشيوخ، والتجار، وأصحاب المتاجر الأقل شأناً، والعمال في أدنى السلم، وأضم إليهم البحارة والغواصين وصيادي الأسماك. وهناك طبقة صغيرة لكنها آخذة في النمو من الكتبة والمدرسين ومن إليهم. لكن لا يوجد محامون ولا أطباء من المواطنين، اللهم إلا طبيباً واحداً في الكويت. وضآلة طبقة الأفندية، وهي الطبقة التي تتضخم تضخماً كبيراً في مدن الشرق الأوسط الأخرى، تستلزم قيام الإدارة المحلية بتوظيف عدد كبير من الأجانب ، مما يساهم مساهمة جوهرية في الاستقرار السياسي.

ولا وجود للبدو في دولة البحرين التي تقع في إحدى الجزر، ويتفاوت عددهم في الأماكن الأخرى. وهم ينتمون إلى عدد كبير من مختلف القبائل – فبعضهم يتركز داخل حدود إحدى الدول ، ويعتبرون رعايا حاكمها، بينما يفد البعض الآخر من البلاد

المجاورة التى يُعتبرون من رعاياها، وذلك عندما تكون هناك مراع جيدة. ورغم أنهم لا يستجيبون - بوجه عام - للنظام إلا أنهم لا يتسببون فى كثير من الإزعاج إذا لم يتدخل أحد فى شئونهم، كما أنه لا أهمية سياسية لهم. ويعتنق جميع السكان الأصليين فى دول الخليج العقيدة الإسلامية، والمشاعر الدينية فى كل مكان قوية جداً. والحكام يفرضون العقيدة الإسلامية بصرامة ولا يتسامحون فى سبيل التحديث، وهم أنفسهم فى منتهى الصرامة فى أداء واجباتهم الدينية. فهم يقطعون العمل لأداء الصلوات الخمس يومياً، ويلتزمون بالصوم من الفجر حتى غروب الشمس خلال شهر رمضان القمرى. وفى هذا الشهر لا يمكن إنجاز إلا القليل من الأعمال معهم. وكل المسلمين المحليين يلتزمون بهذا الصيام ولو ظاهرياً. وتعلن طلقات المدافع بدايته ونهايته، ولا يُسمح خلاله بالتدخين علناً فى المدن الكبيرة حتى لغير المسلمين. ومن السمات المميزة لدول الخليج فقدان النفوذ السياسى للزعماء الدينيين. فلا يوجد أئمة يثيرون الاضطرابات مثل هؤلاء الذين يثيرون القبائل على الحدود الشمالية الغربية للهند البريطانية القديمة. ويساهم القضاة الشرعيون فى تسوية الخلافات والدعاوى القضائية، لكنهم برغم ما يلقونه من احترام شديد، فإنهم يظلون فى مرتبة ثانوية. فالحكام هم عادة من يأخذون زمام المبادرة فى أى شأن من الشئون الدينية. ورغم أن أغلب السكان فى الإمارات سنيون، فإن حوالى نصف السكان فى البحرين من الشيعة، كما يوجد كثير من الشيعة فى الكويت أيضاً. لكن لا يوجد شيعة بين البدو من رجال القبائل المحليين. وهناك مناوشات من حين لآخر بين السنة والشيعة فى البحرين، لكن مثل هذه المناوشات لا توجد فى دول الخليج الأخرى؛ لأن الشيعة ليسوا من القوة بحيث ينازعون السنة سيادتهم. وسلطان مسقط وحوالى نصف رعاياه إباضيون.

وبالرغم من قوة المشاعر الإسلامية فى دول الخليج ؛ فإن الأجانب - من غير اليهود - يُسمح بدخولهم بحُرية ويعاملون معاملة حسنة إلا فى بعض الأجزاء المغلقة على نفسها فى سلطنة عمان ومسقط. وقد أبدى حكام البحرين والكويت درجة ملحوظة من التسامح الدينى و وفروا أرضاً لإقامة الكنائس. فهناك كنائس كاثوليكية وأخرى تابعة لكنيسة إنجلترا فى المنامة عاصمة البحرين ، وفى ميناء الأحمدى المركز الرئيسى لشركة النفط الكويتية. وتوجد معابد هندية فى بعض الموانئ وكنيس يهودى فى البحرين.

وللكويت أسقفها الكاثوليكى، بينما تدخل الدول الأخرى فى نطاق أبرشية الأسقف الكاثوليكى فى عدن. وكل الكنائس الإنجليكانية (التابعة لكنسية إنجلترا) تحت سلطة الأسقف الإنجليكانى فى القدس. وتوجد مدرسة كاثوليكية فى البحرين تابعة لإرسالية أخوات فيرونا. وللكنسية الهولندية الإصلاحية بأمريكا إرساليات فى البحرين والكويت ومسقط ، لها أماكن عبادتها الخاصة بها ومستشفياتها ومدارسها. وقد قامت بإنجازات طبية قيمة، ولمستشفياتها شعبية كبيرة. أما فى مجال تغيير العقيدة فإنهم لم يحققوا إلا القليل، وقد أبلغنى أحد المراسلين أن عدد الذين غيروا عقيدتهم خلال أربعين عامًا يمكن عدهم على أصابع اليدين، ولو أنهم كانوا أكثر نجاحًا فمن المرجح أنه ما كان يُسمح بوجودهم. وقد أقيمت مؤخرًا إرسالية طبية للكنيسة المشيخية الأمريكية فى الشارقة على الساحل المتصالح. وتتكون الجالية المسيحية من أوربيين وأمريكيين وهنود وإنجليز ومن جُوَا(*)، بالإضافة إلى عدد قليل من العراقيين واللبنانيين. وقد استقرت جالية يهودية صغيرة فى البحرين منذ زمن بعيد. وقد قامت أعمال شغب ضد اليهود عام ١٩٤٦ عندما أثارت القضية الفلسطينية مشاعر قوية فى كل العالم العربى، ومنذ ذلك التاريخ هاجر عدد من الأسر اليهودية، والذين بقوا منهم يعاملون معاملة طيبة، ولو أن العناصر المخربة تقوم بالتحريض ضدهم من حين لآخر.

ولغة الحديث العربية فى دول الخليج قريبة من تلك المستخدمة فى المملكة العربية السعودية والعراق، وتختلف جوهريًا فى النطق والاستخدام عن لغة الحديث المستخدمة فى مصر ودول المغرب. وهناك كذلك اختلافات محلية كثيرة معظمها فى النطق. ولبعض القبائل التى تقطن فى منطقة مسقط لهجاتها الخاصة بها. وفى البحرين دخلت اللغة بعض الكلمات الفارسية والإنجليزية، وأحيانًا يكون من المتعذر إدراك الألفاظ الإنجليزية بعد إخضاعها للتصريف العربى. ويواصل الفرس والبلوش والهنود والجنسيات الأخرى التى استقرت فى دول الخليج استخدام لغاتهم، لكن معظمهم يكونون على شىء من الدراية باللغة العربية باعتبارها لغة التفاهم المشتركة. وفى الدول

(*) ميناء على ساحل الهند الغربى احتله البرتغاليون عام ١٥١٠م احتفلت الهند باسترداده عام ١٩٦٢ وبذلك يكون أول استعمار أوروبى للهند وآخر جلاء عنها . (المترجم)

المنتجة للنفط يستخدم كثير من الشباب ألفاظًا إنجليزية مما يستخدم فى لغة الحديث ، يصطبغ الكثير منها بصبغة أمريكية. ومستوى التعليم منخفض فى غير المدن، لكن كثيرين ممن يوقعون بالعربية أسماءهم بصعوبة يتذوقون الاستماع إلى الإذاعة باللغة الفصحى. والذين يقرأون الإنجليزية قليلون جدا، وتُدرس هذه اللغة فى المدارس الموجودة، لكن معظم من يقومون بتدريسها من العرب. ورغم وجود عدد كبير من المدارس الآن فى البحرين والكويت وأن هناك حاجة إلى التعليم الابتدائى فإن الحضور يتناقص فى الفصول الأعلى ؛ فحالما يكتسب الصبى المعرفة الأولية باللغة الإنجليزية فإنه يترك المدرسة للحصول على عمل مربح بإحدى شركات النفط أو لمعاونة والده فى المكتب أو المتجر فى المدينة. ولا توجد جامعة محلية، ويرسَل عدد قيل من الأولاد إلى الجامعة الأمريكية فى بيروت أو إلى المملكة المتحدة ليتلقوا تعليمهم العالى، كما يرسَل البعض أيضًا إلى الدول الأخرى بالشرق الأوسط أو المملكة المتحدة للدراسة الثانوية. ومعظم التعليم الفنى موكل أمره حتى الآن إلى شركات النفط. وعلى أية حال فهناك الآن إدراك متزايد بضرورة توفير التعليم الفنى والتجارى بالإضافة إلى التعليم الأكاديمى. وغنى عن القول إن هناك تركيزًا شديداً على التعليم الدينى، وفى بعض أنحاء الخليج تكون المدارس الوحيدة الموجودة هى مدارس تعليم القرآن الكريم.

وفى الوقت الحالى فإن النساء اللاتى من أصل عربى خالص قلما يظهرن فى الأماكن العامة سافرات سواء فى المدن أو القرى. وعند سفرهن إلى الخارج فإنهن يرتدين عباءة كثيفة سوداء وحجابًا أو برقعًا يخفى معالمهن. وهن قلما يغادرن بيوتهن مما يرجح انتشار السل لهذا السبب. وحتى عندما تتلقى زوجة أحد الحكام دعوة من سيدة أوروبية فإنها تلبى الدعوة وهى تضع خمارها.

وقد حدث مؤخراً فى البحرين أن سيدة أو سيدتين من أسر طيبة – لكن ليس من أصل عربى– كن يقمن بزيارة السيدات الأوروبيات وهن سافرات. وقد أبلغنى بعض المثقفين هناك أن كثيراً من السيدات العربيات يرغبن فى تعديل الوضع الحالى، ويبدو أنه سيتغير خلال سنوات قلائل. وعندما اشتركت ابنتى لأول مرة فى سباق للخيل بالبحرين، فإن جمهور النساء المحليات اللاتى كن يرقبنها من بُعد فى حشد من كتلة سوداء، قد سررن كثيراً لما فى ذلك من دلالة على حرية المرأة. وأنا نفسى أشك

فيما إذا كان هناك أى تغيير جذرى للوضع الحالى يمكن أن يحدث فى المستقبل المنظور. ولا يجب الظن بأن عزلة المرأة يجعلها بمنأى عن تأثيرها فى مجريات الأمور. فالنظام الأموى أو نفوذ الأم موجود كما هو الشأن فى أى مكان آخر فى العالم، وهناك قصص تروى عن نفوذ المرأة فى أكثر من قصر من القصور. فالنساء من خلف الستار عامل غير محسوب من المستحيل أن يتعامل معه مكتب سياسى. وهناك توسع فى التعليم النسائى فى البحرين والكويت، لكن الفتيات يتركن المدرسة عند وصولهن إلى سن الزواج. ويقال إن لهؤلاء فرصة أفضل فى سوق الزواج عن أخواتهن غير المتعلمات. ولست أنوى الإطالة فى موضوع عادات الزواج، وعلى القانونى الذى يهمه هذا الموضوع الرجوع إلى كتاب ديكسون المشار إليه فى الصفحات التالية .. وكل ما أود التنبيه إليه هو أن الفتيات يتزوجن بمجرد وصولهن سن البلوغ، ولا يزوج العربى الأصيل ابنته لشخص غير عربىَ أو لو اختلط أسلافه بدم غير عربى.

وفى المدن يأتى التجار البارزون فى المرتبة التالية فى السلم الاجتماعى بعد الشيوخ. وهناك حوالى اثنتى عشرة أسرة بارزة فى البحرين، وأكثر من هذا العدد فى الكويت، وقلة فى الأماكن الأخرى. ومعظمهم ينحدرون من أصول سعودية أو إيرانية. وهم أثرياء جداً ولهم معاملات تجارية مع جميع أنحاء العالم. وهم موضع ثقة – بوجه عام – فى معاملاتهم مع الأجانب، وميالون إلى تفضيل استثمار أموالهم فى التجارة أكثر ممّا هى فى البنوك. وهم – بوجه عام – حريصون جدا، لكنهم أحياناً ما يعانون من خسائر بالغة نتيجة لتكدس البضائع. وعادة ما يستشيرهم الحكام فى المسائل التجارية كما أن لهم نفوذاً سياسياً كبيراً فى بعض الدول الصغيرة.

كذلك يوجد تجار هنود لهم مكانتهم، لكنهم ينصرفون إلى أعمالهم وليس لهم وزن سياسى. وأصحاب المتاجر من أجناس متعددة لكن الإيرانيين هم العنصر الغالب. وهم يوجدون حيث يوجد أى نوع من أنواع الأسواق إلا فى الأراضى التابعة لمسقط. ويعتنى البحارنة بالبساتين كما سبق أن ذكرت. وحيث تكون هناك زراعة فى الأماكن الأخرى فإن رجال القبائل المحليين هم الذين يتولونها. ومعظم صيادى الأسماك وغواصى اللؤلؤ من رجال القبائل العرب أو من سلالة العبيد. وتمتص شركات النفط معظم العمالة المحليـة التى تشمل القرويين ورجال القبائل وخليطاً من العناصر من المدن، ولا تترك

إلا عدداً قليلاً من العمانيين والإيرانيين والبلوش لمواجهة مطالب الأعمال الطارئة. ويوجد فى كل دول الخليج طبقة لها أهميتها من خدم المنازل والعبيد.

وموضوع الرق موضوع شائك حيث إن كثيرين جداً فى الغرب يعتبرونه نظاماً بشعاً. وعلى أية حال فإن الشريعة الإسلامية تسمح به. كما أن الكتاب المقدس - فى حدود علمى - لم يستنكره (*). ولم تثر فى العالم المسيحى المشاعر القوية ضد الرق إلا مؤخراً نسبيا. ولا يمكن الدفاع عن أسوأ صور الرق، لكن يمكن الدفاع عن صورته المعتدلة كخدمة منزلية ما تزال موجودة فى دول الخليج - وإن كان أمراً يؤسف له - عندما يوضع فى الاعتبار الوضع السائد فى المجتمع. وبفضل تعهدات الحكام وجهود الأسطول البريطانى توقف استيراد العبيد من أفريقيا منذ زمن بعيد. وفى السنوات الأخيرة وقعت بعض حالات خطف بالقوة من الساحل المتصالح - ومعظمهم من الفتيات - للبيع كرقيق فى المملكة العربية السعودية. ولمواجهة هذه المشكلة تم وضع قوة عسكرية على الساحل المتصالح عام ١٩٥١ . وقد حرَّم حاكم قطر الرق رسميا فى إمارته ودفع تعويضات لملاك العبيد. والرق غير معترف به فى البحرين كنظام اجتماعى قانونى، ولا يسمح برفع قضية أساسها ملكية إنسان لآخر. والوضع فى الكويت مماثل لذلك، ولو أنه أقل وضوحاً. وقد أعلن حكام الساحل المتصالح الأكثر بدائية أن الرق قد انتهى، رغم أنه يجب تقبل هذا الإعلان بتحفظ، وأن كل عبد له حرية الحركة كما يشاء. ولم ترد أنباء عن عملية بيع رقيق أو شرائه من هذه الدول منذ بضع سنوات. وفى كل الإمارات ليس على العبد إلا أن يتقدم إلى المقيم السياسى للحصول على شهادة بعتقه، لكن قلما يتقدم أحد بمثل هذا الطلب. ومعظم العبيد الموجودين حاليًا، والذين أغلبهم من أصل أفريقى، قد أصبحوا بشكل ما أعضاء فى الأسر التى ينتمون إليها. فهم وأسلافهم قد عاشوا مع هذه الأسر أجيالاً عديدة، وتم توفير السكن والملبس والطعام لهم، وكذلك إجراءات زواجهم. وأحيانًا ما يرتقون ليحتلوا مناصب فى السلطة. ففى إحدى الإمارات المتصالحة تولى أحد العبيد رياسة ديوان الحاكم، ولا يُنظر إليهم

(*) انظر أقوال بولس الرسول فى رسائله إلى أهل أخسس إصحاح ٦ عدد ٥ ، وأهل كولوسى إصحاح ٢ عدد ٢٢ ، والرسالة الأولى إلى تيموثاوس إصحاح ٦ أعداد ١ ، ٢ .

باحتقار. فهم فى واقع الأمر من سلالة رقيق قديم، ويرتبطون عادة بروابط وجدانية بالأسر التى يقومون بالخدمة فيها. صحيح أنهم يتقاضون أجراً عينياً وليس نقدياً، لكن قلما تساء معاملتهم. وطبقاً للنظام الحالى للمجتمع فليس هناك من يرغب فى تغيير وضعه إلا القليلون. وإناث الرقيق عادة ما يكن سَرَارِيَ لأسيادهن، وأى ابن يأتى نتيجة هذه العلاقة يتلقى المعاملة نفسها التى يتلقاها شقيقه المولود من امرأة حرة، فيما عدا ابن العبدة فإنه لا يحق له فى بعض الأحيان خلافة الحكم.

* * *

وفى كل دول الخليج يحرَّم تملك الخمور وتعاطيها على كل مواطنى هذه الدول، رغم أنه لم يصدر بيان رسمى بذلك - فى حدود علمي - من أى حاكم من حكام الساحل المتصالح. وتعاطى الخمور محرم بنص القرآن. والحكام يلتزمون - بصرامة - بالامتناع عن تعاطى الخمور، ولا يودون أن يجلبوا لأنفسهم تهمة أنهم مسلمون غير صالحين بالسماح لرعاياهم بشرب الخمر. وبالرغم من ذلك فإن كثيرين من هؤلاء الرعايا يحتسون الخمر. وبعض الشيوخ الذين يتولون مناصب أقل مسئولية من أسوأ المدمنين، وهم يحصلون على الخمر بوسائل ملتوية من بينها تسربها إليهم من المخازن أو من الأجانب الذين لهم حق الحصول عليها، الأمر الذى يسبب حرجاً بالغاً للسلطات السياسية. وفى البحرين يتعرض أى شخص يخضع للقضاء التابع للحاكم إلى الحبس لمدة ستة أشهر. واستيراد الخمور ممنوع فى جميع دول الخليج إلا عن طريق وكلاء خاصين بتوزيعها فقط على الأجانب الذين لديهم تراخيص بذلك من الوكلاء السياسيين ، وقد صدرت تعليمات الملكة لتنظيم استيراد وامتلاك الخمور من قبل أشخاص خاضعين لتعليمات المجلس الاستشارى والمعاقبة على بيعها أو إهدائها، حتى ولو تعاطاها على سبيل الترفيه فى إحدى الحفلات شخص خاضع للقضاء المحلى. وثمن الخمور مرتفع جداً فى السوق السوداء مما يشجع على تهريبها. فعلى سبيل المثال قد يطلب سائق سيارة أجره زجاجة بيرة بدلاً من أجره البالغ عشر روبيات (أى جنيهين إسترلينيين) وتأخذ البحرين وقطر أعلى رسوم جمركية على الخمور المستوردة لاستخدام الأجانب وهى ١٥٪، أما الكويت فلا تحصل شيئاً لتجنب الاعتراف بشرعية استيراد الخمور.

ومعظم سكان دول الخليج لا يشاركون الوهابيين فى المملكة العربية السعودية رأيهم فى معارضة التدخين، وليس هناك تحريم له إلا التدخين علنًا فى مدينة مكة، وفى بعض الأماكن الأخرى فى أثناء النهار خلال شهر رمضان. وبعض الحكام، لاسيما سلطان مسقط، لا يحبون التدخين. ومن يزر حاكمًا فعليه أن يمتنع عن التدخين إلا إذا دُعى إلى ذلك. وشديدو التدين من القبائل الإباضية فى عمان ضد التدخين، لكن غيرهم من العمانيين يزرعون الطباق. وبعض الحكام يدخنون هم أنفسهم إما السجائر وإما - على الساحل المتصالح - فى غلايين صغيرة لا يتسع الواحد منها لأكثر من كمية من الطباق تكفى نَفسًا واحدًا طويلاً.

* * *

والعادات المحلية أساسها عادات القبائل العربية، وأنا لا أشير إلا إلى تلك العادات التى قد يواجهها زائر غربى إلى دول الخليج. ويمكن الحصول على المعلومات الوافية عن هذه العادات من كتاب كولونيل ديكسون "عرب الصحراء" (*). والسنة القمرية معترف بها فى كل دول الخليج، وهى أقصر من السنة الشمسية أحد عشر يومًا، وتواريخها تتراجع إلى الخلف بالنسبة لتواريخ السنة الشمسية. ويتم الاعتماد على النجوم للأغراض الزراعية وما شابهها. وتُقسم على فترات كل منها ثلاثة عشر أو أربعة عشر يومًا تُطلق عليها أسماء النجوم أو مجموعاتها التى تظهر فى بداية كل منها. وتسمع فى المحادثات عربيًا يقول "تلك هى فترة النجم الفلانى، وسيكون الجو على هذا النحو أو ذاك"، وعادة ما يكون على صواب. وهناك عيدان دينيان كبيران فقط ، هما عيد الإفطار فى نهاية شهر رمضان وعيد الأضحى بعد حوالى شهرين ونصف الشهر من العيد الأول. وعيد الأضحى هو إحياء لذكرى محاولة إبراهيم تضحيته بابنه إسماعيل (وليس إسحاق) . ولكل عيد إجازة ثلاثة أيام تقريبًا يتم فيها تبادل الزيارات.

كما تقام صلاة جماعية فى بداية كل عيد وفى ظهيرة كل يوم جمعة. وقد سبق لى التحدث عن صوم رمضان الذى يسبب مشقة كبيرة حين يكون الجو حارا. وعند كتابة هذه الكلمات كان شهر رمضان فى فصل الربيع وهو يتراجع تدريجيا إلى جو أكثر

(*) The Arabs of the Desert, by H. R. P. Dickson. George Allen & Unwin, 1 td. 1949.

برودة. وتبدأ السنة الهجرية بشهر محرم، وأول عام ١٣٧٨ هجرية يقابله ١٨ يوليو عام ١٩٥٨ ميلادية. ويبدأ الشهر العربي باليوم الذى يُرى فيه قمر جديد (*) أو كان يمكن رؤيته لولا الغيوم التى تحجبه. ويؤدى هذا النظام إلى بعض المتاعب، فلا يُعرف عادة متى يتم الاحتفال بالعيد فى نهاية شهر رمضان ، وذلك حتى الليلة السابقة على العيد. ويبدأ اليوم وينتهى بغروب الشمس، وبذلك يختلف طول كل يوم عن الآخر بضع دقائق. ويُقسم اليوم إلى فترتين كل منهما اثنتا عشرة ساعة. فإذا حدد أحد الحكام موعداً لمقابلته الساعة العاشرة مثلاً فى يوم ما، فمعنى هذا - عادة - أن الموعد قبل الغروب بساعتين. وعند تحديد أى موعد مع أى مواطن محلى فمن المستحسن دائماً التأكد ما إذا كان الموعد طبقاً للتوقيت العربى أو توقيتنا. وليس هناك احتفال برأس السنة فى أول شهر المحرم، لكن الأيام العشرة الأولى منه يعتبرها الشيعة فترة حداد مرير على استشهاد الحسين حفيد الرسول فى كربلاء. وفى المنامة عاصمة البحرين تجوب المواكب الشوارع بنعوش تحمل شباباً أو صبياناً تمثل أجساداً مضرجة بالدماء. ويكون بعض الرجال فى تلك المواكب عراة حتى الوسط، وهم إما يقرعون صدورهم بأيديهم أو يجلدون ظهورهم بالسلاسل مع إنشاد أغان جنائزية. ويرتدى البعض عباءات يلوثونها بالدم نتيجة ضربات بالسيف يطعنون بها رؤوسهم الحليقة. وليس هناك شك فى إخلاص مشاعرهم. وتؤدى هذه المناسبة إلى اشتباكات - من حين لآخر - مع السنة المحليين. وفى أماكن أخرى، حيث الشيعة أقلية واضحة تكون الاحتفالات أقل شعبية.

وفى الأعياد ومناسبات التهنئة والعزاء يقوم المهنئون والمعزون بزيارة الحكام. كما تتم الزيارات فى أوقات أخرى لأغراض اجتماعية أو تتعلق بالعمل. ويحتفظ حاكم البحرين بدفتر للزيارات فى مكتبه بالمدينة، لكنه يجب أن يقابل بنفسه أكبر عدد من الزوار. ووقت الزيارة المألوف إما أن يكون قبل الظهر أو بعد الظهر فى أثناء الساعتين الأخيرتين قبل غروب الشمس. وفى شهر رمضان لا تتم إلا الزيارات الضرورية، وتكون إما بعد غروب الشمس أو فى الصباح الباكر، لكن يجب تجنبها خلال هذا الشهر باستثناء الكويت حيث جرت العادة زيارة الحاكم وكبار الشخصيات الأخرى بعد

(*) هلال الشهر . (المترجم)

الغروب مباشرة. ويُستقبل الزائر عادة فى المجلس أو حجرة الضيافة حيث قد يكون هناك كثير من الزوار الآخرين. وهو يحيى مضيفه بقوله "السلام عليكم" فيرد عليه المضيف التحية بمثلها فى معظم الأحوال، رغم أن كثيراً من المسلمين يرون أن هذه التحية لا يجب توجيهها إلا للمؤمنين حقا. ثم يسأل الزائر مضيفه كيف حالك ؟ فيجيبه "الحمد لله"، ويتكرر السؤال عن الصحة من كل طرف مرتين أو ثلاث مرات بصيغ مختلفة. بعد ذلك يقدم له مقعداً بينما يصيح المضيف على خدمه فى الخارج مطالبًا بإحضار القهوة. عندئذ يُقدّم للزائر قليل من القهوة المرة بدون لبن ولا سكر فى فنجان صغير لا يد له. وعندما يشرب الزائر ما فى الفنجان يعيد الخادم ملئه حتى يعيده الزائر وهو يهزه دلالة على أنه لا يطلب المزيد. وليس من اللياقة ارتشاف أكثر من ثلاثة فناجين فى المرة الواحدة. وإذا طالت الزيارة أو دخل زائرون آخرون، فإن القهوة قد تُقدم أكثر من مرة. وكثيراً ما يقدم الشاى باللبن أو بدونه ولكن بالسكر دائماً. وأحيانًا ما يقدم اللبن الساخن أو النعناع أو الليمون الجاف. وحين يكون الجو حارا يقدم عصير الفواكه أو أية مرطبات. وفى الأعياد، وفى مناسبات أخرى أحيانًا، توضع الحلوى والفاكهة على منضدة صغيرة أمام الزائر، وبعد أن يتناول بعضها يصب الماء على يده ليسقط فى وعاء. ويجب تناول الفنجان وكذلك الطعام باليد اليمنى. ومعظم العرب لديهم استعداد للحديث، وبذلك يرفعون الحرج بينهم وبين زائريهم. وعند انتهاء المهمة أو الحديث يستأذن الزائر للخروج. عندئذ يصيح المضيف قائلاً "البخور"، ويحضر الخدم مرشًا به ماء ورد ومبخرة ملأى بالفحم المتوهج. ويضع المضيف قطعة صغيرة من خشب الصندل على الفحم، ثم يقوم أحد الخدم برش ماء الورد على يدى الزائر ويقرب المبخرة أمام وجهه بينما يدفع الزائر الدخان بيديه ليتخلل لحيته أو إلى حيث يجب أن يتجه إذا لم يكن ملتحيًا. عندئذ ينهض الزائر بعد أن يستأذن مرة أخرى للمغادرة، ويصافح مضيفه قائلاً "مع السلامة". ويرد عليه الضيف رداً مماثلاً مضيفًا "الله يسلمك، اشوفك فيما بعد، إن شاء الله" أو كلام من هذا القبيل. وما سبق وصفه هو ما يحدث - بوجه عام - فى مثل هذه الزيارات. لكن هناك اختلافات محلية كثيرة. ففى الساحل المتصالح كثيراً ما يقدم ماء الورد والبخور عند وصول الزائر، ويرش ماء الورد أحيانًا على رأسه بدلاً من يديه مما يسبب للزائر حرجًا كبيراً إذا كان أصلع. وفى مسقط

لا تقدم أية تحيات حتى نهاية الزيارة، عندئذ تقدم الحلوى إما فى علب صغيرة من الصفيح أو فى وعاء كبير مدلى بقطعة قماش. وبعد غسل الأصابع تقدم القهوة (*). ولا يُستخدم البخور إلا فى المناسبات الرسمية جدا. وكل غرف الضيافة مزودة بمقاعد، لكن إذا جلس الزائر على الأرض فيجب أن يجلس القرفصاء حتى يتجنب وضع باطن قدميه فى وجه أى شخص آخر مما يكون دلالة على عدم الذوق. وقد تقوم السيدات الأوروبيات أحيانًا بزيارة زوجة الحاكم أو سيدات عربيات أخريات، وتُتبع الطقوس نفسها فى جناح الحريم تمامًا كما هى فى غرف ضيافة الرجال.

وعرب الخليج – شأنهم شأن كل العرب – فى غاية الكرم، ويسعدون بدعوة أصدقائهم وزوارهم إلى تناول الطعام. والإفطار هو وجبة اليوم الأولى، ويتكون من أنواع مختلفة من الخبز والشعرية وفطائر صغيرة بالعسل، وبيض مقلى، وفاكهة، ومكسرات، وحلوى، وأحيانًا دجاج أو خروف محشو. ولا تُعتبر تلك الوجبة وجبة رئيسية، وهى تُقدم عادة إلى زائر أمضى الليل أو يقوم بزيارة الشيخ فى الريف ولا يستطيع الانتظار إلى وجبة الظهيرة، أما الوجبتان الرئيسيتان فتكونان فى منتصف النهار وحوالى ساعة بعد الغروب، ولا اختلاف بينهما. ويتكون الطبق الرئيسى فى هذه الوجبة من كميات هائلة من الأرز بداخلها قطع من الضأن، وكثيرًا ما يعلوها خروف كامل محشو مبعثر حولها عدد كبير من أطباق بها يخنى (طعام مطهو بالغلى البطىء) ، ودجاجات كاملة وكباب وكاستارد وچيلى وفواكه طازجة ومعلبة. وطائر الحبارى أو دجاج ونبات الكمأة وهى طعام الصحراء الشهى. ويلح المضيف عليك لتناولها عندما يكون ذلك موسمها. ويتفاوت طبعًا بذخ الوجبة طبقًا لثروة المضيف، لكن العربى يفضل الاستدانة على اتهامه بالبخل. يُطهى الطعام فى جناح الحريم، ويقدَّم والبخار ما يزال يتصاعد منه. وفى المناسبات العادية يُستدعى الزائر لارتشاف القهوة وللتحدث لمدة نصف ساعة قبل تناول الطعام ؛ لأن الأكل مهمة جادة لا تدع إلا فسحة ضئيلة من الوقت للتحدث. وحين يتم إعداد كل شىء يذهب الزائر إلى الغرفة التى أُعد فيها الطعام، وعند الباب يقف خادم ومعه إبريق وطست. وعندئذ يصب قليلاً من الماء على

(*) بدلاً من السكر يُقدم التمر مع القهوة . (المترجم)

اليد اليمنى. وتوضع أطباق الطعام على الأرض إما فوق صينية مستديرة أو موزعة فى شكل مستطيل على مفرش. ولا يستخدمون السكاكين أو الشوك، ولكن قد تكون هناك بضع ملاعق. وطريقة الجلوس لتناول الطعام تكون بالركوع على الركبة اليسرى ورفع الركبة اليمنى إلى أعلى، وهذا يدع لليد اليمنى حرية الحركة، وهى اليد الوحيدة التى تُستعمل لتناول الطعام، بينما يمكن وضع اليسرى فى الأرض ليستند عليها، وقد يفضل الضيف أن يجلس القرفصاء أو يستند على جنبه الأيسر وساقاه مثنيتان. ويدرك العرب أن أطراف الرجل الغربى ليست مرنة مثل أطرافهم، وعادة ما يقدمون له وسادة لتسنده. وسبب عدم تناول الطعام باليد اليسرى أن العرب ومعظم الشرقيين يستخدمونها فى أغراض غير نظيفة. وعلى أية حال فإنه من المسموح به الإمساك بكوب ماء بهذه اليد عند الشرب، ويحدث هذا عادة أثناء تناول الطعام حيث إن اليد اليمنى تكون ملوثة بالدهن. كذلك فإن الفاكهة ذات القشر الذى لا يؤكل مثل البرتقال والموز يمكن إمساكها باليد اليسرى أثناء تقشيرها. وعندما يجلس الضيف القرفصاء يقول المضيف "باسم الله" ثم يجلس بدوره. فإذا كان المضيف بجوار ضيفه فإنه عادة ما يغرس الطبق فى كومة الأرز ويعطى ضيفه كمية هائلة ثم يهبر هو – أو أحد خدمه – هبرة كبيرة من لحم الضأن، ويضعها فوق الأرز. وبعد ذلك يترك للضيف حرية أخذ ما يريد من الأصناف الأقل أهمية. وتعتبر عيون الضأن (الجوهرة) من الأطعمة الشهية، لكنهم لا يلحون الآن فى الخليج على تقديمها للغربيين، وأعتقد أن العرب المحليين قد أدركوا أن الغربيين ينظرون إلى هذه العادة بمزيج من الرعب والطرافة. ويقدم الخدم للضيوف الماء – وأحياناً اللبن الرائب – فى كوب زجاجى وذلك فى أثناء تناول الطعام.

وطبقًا للعادات العربية فإنه يمكن للضيف أن يقوم من على المائدة عندما يشبع دون انتظار أحد آخر، ويهمهم بدعاء لله ليزيد من نعمته على مضيفه، ثم يغسل يديه حيث يصب له أحد الخدم الماء ويقدم له الصابون والمنشفة. وليس من الضرورى على الضيف أن يأتى على كل ما فى طبقه، وعادة ما يكون ذلك مستحيلاً ؛ لأنه إذا نجح فى تناوله كله، فقد يظن المضيف أنه ما يزال هناك متسع للمزيد فيضع أمامه كومة أخرى من الطعام . وكميات الطعام الهائلة المتبقية سرعان ما يلتهمها أهل البيت الأصغر سنا بعد ذهاب الزوار إلى غرفة الضيوف، كما يلتهمها حشد من الخدم بما فى ذلك سائق

المضيف أو أى شخص آخر يصحبه. وعادة ما يجلس الضيف حوالى نصف الساعة بعد انتهائه من تناول الطعام ليتيح فسحة من الوقت لمن يأكلون بعده، وفى أثناء ذلك تُقدم القهوة. وأخيراً يطلب المضيف إحضار البخور دلالة على انتهاء الجلسة، ولو أن المضيف قد ينتظر حتى يستأذن منه ضيفه فى المغادرة إذا كان شخصية مهمة. وعند العرب مثل مسجوع "بعد العود (أى البخور) ما فى قعود". ومن المؤسف أن الغرب ليس عنده مثل هذا العرف.. وحكام البحرين والكويت وبعض كبار الشيوخ والتجار تتوفر الآن عندهم موائد للطعام ومقاعد للولائم التى يدعون إليها الغربيين، كما تتوفر السكاكين والشوك التى قد تُستعمل وقد لا تستعمل طبقًا لرغبة المضيف، بالإضافة إلى مفارش المائدة.

والأحاديث التى تدور خلال الزيارات والحفلات عادة ما تكون أحاديث تافهة، فالحديث عن الجو والرياضة حديث مأمون الجانب، ويسعد المضيف أن يسمع عن عمل مضيفه والأماكن التى زارها وانطباعاته عن البلد بشرط ألا تكون انطباعات سيئة جداً. وبعض الموضوعات من المحرم طرقها. فعلى الرجل ألا يشير إشارة خاصة إلى حريم الرجل العربى، ولو أنه لا ضرر من السؤال عن صحة الأسرة. كذلك يجب عدم ذكر الخنازير، ومن المستحسن عدم الحديث عن الكلاب إلا إذا أثار المضيف الموضوع. ونفور العرب من الكلاب أحيانا ما يكون مبالَغًا فيه. فهم كثيراً ما يستأنسون كلاب صيدهم، ويعتبرونها طبقة مميزة من الكلاب. وذات مرة أمسك أحد الحكام فخذة ضأن من عظمها بينما كان كلبى من نوع اللابرادور يقضم لحمها. وعلى أية حال لا يجب اصطحاب كلب فى أثناء إحدى الزيارات لعربى من الخليج إلا إذا كان من المعروف أن هناك ترحيبًا بوجوده. وإذا قدم عربى أطفاله لأحد الزوار، فعلى الزائر أن يكون حذراً ويتجنب إطراء جمالهم أو ذكائهم ؛ لأنه إذا أصابهم سوء بعد ذلك فإنه سينحو باللائمة على ضيفه ؛ لأنه تسبب فى إصابتهم بعين الحسد الشريرة. كذلك عليه أن يتجنب إبداء إعجابه بأى شىء تقع عليه عيناه ؛ لأنه سيقدمه له هدية فى الحال، وسيكون مضطرا عندئذ إلى أن يرد الهدية بأخرى مماثلة فى قيمتها.

وموضوع الهدايا من أكثر الموضوعات إثارة للحرج. فالحكام الأثرياء قد يصرون على أن يتقبل زوارهم منهم عقداً من اللؤلؤ أو شيئًا من هذا القبيل حتى ولو لم يكن الزائر قد أبدى إعجابه به، وما لم يكن الزائر موظفًا فى الحكومة البريطانية يستطيع

أن يعلن أن تصرفاته تخضع لقواعد معينة، فإنه سيجد أنه فى المتعذر عليه رفض الهدية. وحتى الموظف الحكومى قد يرى نفسه مضطرا إلى تقبل مثل هذه الهدية ثم يجد الوسيلة لإعادتها دون إيذاء للمشاعر. وإذا استمتع زائر بكرم أحد العرب لفترة ما فإنه يجب أن يقدم هدية عينيَّة صغيرة له أو لأحد أطفاله عندما يغادره، كما يجب أن يقدم هبات نقدية للخدم الذين كانوا يعتنون به، ومن المألوف فى بعض الأنحاء بالساحل المتصالح أن ينفح الزائر هبة صغيرة لحارس البوابة عند مغادرته القصر بعد انتهاء الزيارة. وعند تقديم هدية لأحد الحكام أو كبار الشيوخ فليست هناك أية إساءة للمشاعر إذا أعطاها فوراً إلى أحد رجال حاشيته باعتبار أن ذلك أمر مألوف. وإذا حان موعد الصلاة بينما يكون الزائر فى حجرة الضيوف فإن مضيفه يذهب لأداء فرائضه. وما لم يرغب الزائر فى الذهاب بهذه المناسبة فإنه يستطيع أن يمكث جالساً ويقضى الوقت مع أى زائر آخر غير مسلم يكون موجوداً إلى أن يعود مضيفه.

وإذا رد عربى خليجى زيارة لآخر غربى، فعلى الغربى أن يرد على تحياته واستفساراته بالطريقة التى سبق وصفها . وأن يقدم له القهوة العربية إذا كان من الممكن إعدادها، وإلا فإنه يقدم له القهوة العادية أو الشاى مع المرطبات والبسكويت والحلوى. وبعض صغار الشيوخ والتجار قد يحرجون المضيف الغربى حين يطلبون منه وسكى فى شىء من عدم اللياقة، لكن على المضيف الغربى أن يرفض مثل هذا الطلب بكل أدب ممكن ؛ لأنه لو استجاب له فإنه يعرِّض نفسه للمحاكمة. ولا يجب اصطحاب الكلاب عند زيارة أحد العرب. ومعظم الشيوخ والتجار الذين لهم معاملات اجتماعية مع الغربيين يستطيعون أن يأكلوا بالطريقة الغربية ، وأن يرحبوا بدعوتهم إلى الطعام، وفى هذه الحال يجب إخفاء كل المشروبات الكحولية، وأن تخلو الوليمة من لحم الخنزير، وفيما عدا ذلك يمكن تقديم الأطباق الغربية العادية، ولو أنه من المستحسن أن تتضمن قائمة الطعام طبقًا من أطباق الأرز مثل البيلاف (*) أو الأرز بالكارى. والمرجح أن يستأذن الضيف للمغادرة بعد نصف ساعة من انتهاء الطعام. ويجب إرسال الطعام إلى الخدم الذين فى صحبته. والمقيمون الغربيون فى الخليج يستقبلون عادة عدداً من الزوار فى عيد الميلاد، لكن الحكام وغيرهم يقومون بزيارات رسمية للسلطات السياسية

(*) طعام شرقى من أرز ولحم وتوابل ولعله يقصد ما يطلق عليه «الكبسة» . (المترجم)

البريطانية للتهنئة برأس السنة الميلادية، كما يقومون بزيارات مماثلة يوم عيد الملكة الذى يقام فى موعده الحقيقى فى شهر أبريل ؛ نظرًا لظروف الجو بدلاً من يونيو.

ويضع العرب على رؤوسهم العقال المستمد شكله واسمه من الحبل الذى يُشد به البعير. كما يرتدون عباءة أو دشداشة طويلة تصل إلى الأقدام وعليها بُشت عند الخروج أو استقبال الضيوف. ويختلف نوع القماش باختلاف فصول السنة. ولباس بعض الحكام والشيوخ مطرز تطريزًا رائعًا، ويضعون فى وسطهم خناجر فى غمد من ذهب. والبعض الآخر يرتدون ملابس فى منتهى البساطة. والخنجر العربى القصير ذو الغمد المعقوف – والمطلى كله أو بعضه بالفضة – يستخدمه معظم العرب فى قطر والإمارات ومسقط أيًّا كانت طبقتهم. وقلما ينزع العربى غطاء رأسه أمام الغرباء، لكنه إذا كان ينتعل صندلاً فإنه ينزعه من قدميه قبل دخوله إحدى الغرف. والغربى فى دول الخليج ليس ملزمًا على الإطلاق أن يرتدى أى لون من ألوان الزى العربى، وعليه أن ينزع قبعته عند دخوله أحد البيوت. ولا يجب أن يرتدى بنطالاً قصيرًا عندما يزور قومًا محترمين. ورغم أنه يمكن رؤية الصيادين على طول الشاطئ وأجسامهم – كلها أو معظمها – عارية، إلا أن الكشف عن الركبة أمام الناس يُعتبر أمرًا مخجلاً. وفى مسقط لا يسمح السلطان لأفراد أسرته ورعاياه – بصفة عامة – بارتداء البنطالات القصيرة إلا عندما يمارسون فعلاً لعبة من الألعاب، وعليهم تغطية الركبة عند مرورهم فى الطرقات عند ذهابهم إلى النادى وعودتهم منه. وعلى السيدات الغربيات أن يسترن أجسادهن بالكامل عند زيارتهن العرب بل وفى كل المناسبات العامة، لكن ليس من الضرورى أن يرتدين قبعاتهن. ويرتدى الجيل الأصغر من الإيرانيين فى البحرين الزى الأوروبى، لكن الجيل الأكبر سنا –وكذلك معظم المقيمين منهم فى دبى – ما يزالون يرتدون العباءات الفضفاضة وغطاء الرأس المطرز بالذهب، وهو رداء ما قبل التجديد الذى أدخله الشاه رضا على الزى. أما المواطنون فى دول الشرق الأوسط الأخرى – ما عدا المملكة العربية السعودية والهند وباكستان – فيرتدون الزى الأوروبى أحيانًا مع ارتداء الرأس الخاص بهم. والرياضة المفضلة لدى عرب الخليج هى صيد طيور الحبارى بمساعدة الصقور. ولهذا الغرض تزور مجموعات كبيرة من الشيوخ مع أتباعهم المملكة العربية السعودية فى موسم الصيد الذى يستمر من نوفمبر حتى فبراير. ويمكن رؤية الصقور وهى مغطاة الرأس فى مرابضها فى أفنية قصور الحكام.

والصقور المدربة مرتفعة الثمن. وباستخدام السيارات توقف العربى فى دول الخليج عن استخدام الحصان، وقلما يمتطيه إلا عدد قليل جدا من الشيوخ. إنهم يحتفظون بالخيل ويربونها، وإذا لم يكن الزائر حذراً فقد يجد نفسه مضطرا إلى تقبل فرس عشراء كهدية. والاحتفاظ بالخيل باهظ النفقات فى دول الخليج لعدم توفر العلف المحلى، وأبهظ منه نقلها إلى المملكة المتحدة أو الولايات المتحدة الأمريكية. وكانت حلبات السباق تقام عادة مرتين كل عام فى البحرين، لكن توقف ذلك مؤخراً. والعربى وُلد ليكون مقامراً (*)، لكن الحكام لا يسمحون بالقمار فى صورته البدائية ، وسرعان ما يحظرونه. ولا يمارس الشيوخ أية تمرينات رياضية إلا عندما يشاركون عَرضاً فى الرقصات القبلية، لهذا فهم أميل إلى السمنة الشديدة. وكرة القدم عند الجيل الأصغر لها الآن شعبية كبيرة جدا فى البحرين والكويت، وكذلك الهوكى فى مسقط.

وعربى الخليج يتملك كل خصائص جنسه. فهو نو كبرياء لكنه سريع الاستثارة، ولا يعتاد بسهولة العمل الروتينى الشاق، رغم أنه يهب للإنقاذ فى المواقف الحرجة. وهو لا يكذب عن عمد، وإذا كذب فإنه عادة ما يفتضح أمره، لكنه ميال إلى المبالغة. وهو صريح وقلبه مفتوح ويتمتع بروح فكاهة عالية. ورغم أنه مضياف وكريم - إلى حد ما - فى معاملاته مع الضيوف. إلا أنه من المتعذر - إن لم يكن من المستحيل - فى حالات أخرى إرضاء تكالبه على المال. وفيما يتصل بسلوكه فهو رجل مهذب بطبيعته، ونادراً ما يكون عديم الذوق عن عمد. وهو يغض الطرف عن الانحرافات الجنسية، فضلاً عن الزنَى بشرط ألا يفتضح الأمر. والبغايا موجودات فى المدن، ويحاول الحكام طردهن من حين لآخر، لكنهن يتسللن عادة مرة أخرى. ونادراً ما تقع جرائم خطيرة، لكن السرقات الصغيرة أمر مألوف. والعربى الفقير خبير فى التقاط الأشياء التى ليس لها قيمة كبيرة، وكل ما يخص هيئات غير شخصية مثل شركات النفط يعتبر حلالاً. وهناك قليل من لصوص المتاجر والمنازل. وبتدفق عدد كبير من الأوروبيين والأمريكان نتيجة استغلال النفط شاع الحديث عن "تأثير الغرب الهدام" لكن من المشكوك فيه جداً أن يكون عربى الخليج أقل تدينا أو أضعف أخلاقًا مما كان عليه من قبل. كل الخلاف أن

(*) فى التعميم هنا مبالغة ، مثل التهم التى يكيلها للعربى بعد سطور . (المترجم)

هؤلاء الذين يريدون الخروج على تعاليم القرآن فيما يختص بالخمر يستطيعون الآن أن يحصلوا على الوسكى والبيرة بدلاً من المشروبات المخمرة محليًا، كما أصبح الأثرياء والفاسدون فى الإمارات المنتجة للنفط فى وضع أيسر يتيح لهم إشباع نزواتهم.

والعربى قلما يصلح للعمل خادمًا فى البيوت، والأوروبيون والأمريكان الذين لم يتخذوا إجراءات خاصة للحصول على خدم من الهند أو باكستان يستخدمون عادة إيرانيين محليين. وطالما كان الخمر فى مكان مغلق عليه، فإنهم لن يمدوا أيديهم إلى أكثر مما يعتبرونه حقهم من السجائر والشاى والسكر.. إلخ، وإذا كانوا تحت رقابة مستمرة فإن أداءهم سيكون مرضيا.

وطالما كان نظام الحجاب ومنع الخمور عن المواطنين سائدين فى دول الخليج فسيظل من المتعذر - إن لم يكن من المستحيل - إقامة علاقة حميمة صادقة بين الشرق والغرب. وتوجد النوادى المختلطة فى مسقط حيث لا يرتادها إلا بضعة غربيين، لكن فى كل مكان آخر فإن الحاجزين اللذين سبق أن أشرت إليهما يمنعان الطرفين من تجاوز مرحلة النقاش. ولهذا فقد كان من الأفضل - على الأرجح ومن حسن الحظ- أن تقيم معظم شركات النفط معسكراتها على مسافة من مراكز التجمع السكانى الرئيسية. وفى الوقت الحاضر يقوم كل من الغربى والشرقى بزيارة منزل الآخر ، ويعامل كل منهما الآخر باحترام وصداقة حقيقية. وقد يتسبب مزيد من الألفة فى حوادث مؤسفة وتدهور فى العلاقات.

وختامًا فإنى أود أن أؤكد أهمية معاملة عربى الخليج على قدم المساواة. إنه يعتقد أنه أفضل من الغربى مولدًا ودينًا، ويرفض بشدة أى مسلك ينم عن التعالى أو الوقاحة.

الفصل السادس

الاقتصاد العام والمواصلات

لقد غير النفط اقتصاد الخليج، وهو ما سأفرد له فصلاً : فقبل اكتشاف النفط كان صيد اللؤلؤ هو الصناعة الرئيسية. ففى بداية القرن العشرين كان هناك حوالى ٤٥٠٠ قارب و٧٤ ألف رجل يعملون بهذه الصناعة، وكانت قيمة المستخرج السنوى تقدر بحوالى مليون ونصف مليون جنيه. ولهذا قيل إنه فى حالة انقطاع إمدادات اللؤلؤ فستصاب تجارة الكويت بشلل خطير. وتنكمش تجارة البحرين إلى الخُمس، وستزول من الوجود موانئ شبه جزيرة قطر والساحل المتصالح. ولم تنقطع إمدادات اللؤلؤ بعد، لكن الانكماش الاقتصادى الذى حدث فى بداية الثلاثينيات وظهور إنتاج مزارع اللؤلؤ اليابانية قصم ظهر صناعة اللؤلؤ فى الخليج، لولا أن ظهر النفط لينقذ الإمارات من مواجهة الإفلاس. والآن فإن معظم الطبقة التى كانت تعمل بالغوص تفضل العمل المستقر فى شركات النفط على مشقات ومخاطر حرفتهم القديمة، ولا تخرج للغوص بحثًا عن اللؤلؤ كل عام سوى بضع مئات من القوارب معظمها من الساحل المتصالح حيث لم تذهب شركات النفط بعد لاستخراجه. وتقع شواطئ اللؤلؤ الرئيسية على الجانب الساحلى من الخليج، وتمتد من أمام دبى على الساحل المتصالح حتى قرب جزيرة «بوعلى» على بعد مائة ميل من البحرين. وهى شواطئ مفتوحة لجميع سكان سواحل الخليج الفارسى، لكنها محرمة على غيرهم. كما أنه لا يسمح باستخدام شباك الصيد ولا معدات الغوص الحديثة. ويتم الغوص إلى عمق عشر قامات (*) ويمكث الغواصون عادة تحت الماء لمدة تتراوح بين دقيقة ودقيقتين، وقد رصدت التوقيت لغواص

(*) مقياس لعمق المياه يساوى ستة أقدام . (المترجم)

نحيل ذى شعر رمادى فوجدت أنه تجاوز ثلاث دقائق بالكاد تحت الماء. والموسم الرئيسى، حين يعمل أسطول الغوص بكامله، يظل من يونيو حتى سبتمبر، وهناك قلة تبكر عن موعد هذا الموسم، كما أن هناك فصلاً قصيراً يتلوه لمدة ثلاثة أسابيع تنتهى فى أكتوبر. ولا يستطيع الغواصون العمل فى الشواطئ العميقة عندما يكون الماء بارداً. وحصيلة يوم من المحار تظل متروكة على الشاطئ حتى الصباح، وعندئذ يتم فتحها وجمع اللآلئ. ويجول التجار فى قوارب صغيرة بين سفن أسطول الغوص ويشترون الحصيلة، وتقسم الأرباح بين ملاك السفن وربابنتها والغواصين والرجال الذين يجذبونهم إلى أعلى، وذلك طبقًا لأنصبة محددة متعارف عليها. وقبل الحرب الأخيرة [١] كان المشترون يأتون إلى الخليج الفارسى من أوروبا. وفى السنوات الأخيرة كان هناك أمريكى يقوم بزيارة الخليج فى نهاية موسم صيد اللؤلؤ لشراء نوع صغير من اللآلئ مطلوب لأغراض التطريز. لكن معظم الحصيلة ترسَل إلى بومباى لصقلها. ويمكن شراء اللآلئ بجميع أنواعها من البحرين سواء فى مرحلتها الخام أو فى شكل عقود وأدوات زينة أخرى. ويحتفظ الحكام بكميات من العقود لتقديمها لكبار الزوار. وتوجد لآلئ من جميع الأشكال والألوان، وكثير منها ذو شكل غير منظم ولهذا فهو رخيص الثمن، وهناك نوع يشبه الزراير يصلح لأن يكون أقراطا. وتشمل الألوان: الأبيض والوردى والأصفر والأزرق ونوع داكن اللون لم يصل إلى السواد تماما. ولدى العرب قصة طريفة عن هذه الألوان فهم يقولون إن اللآلئ تكوِّنها قطرات المطر الساقطة على البحر، وإن الضوء ساعة سقوط المطر هو الذى يتحكم فى لونها[٢] ، وأجمل اللآلئ ذات اللون الوردى تتكون عندما يسقط المطر حين يكون ضوء القمر ساطعاً.

وهناك صناعة أخرى ما تزال مزدهرة وإن كانت هناك بوادر تنبئ بانحسارها تلك هى صناعة السفن. ويتم بناء السفن من مختلف الأشكال والأحجام ولكل منها اسمها. وربما كانت أشهرها البوم الكويتية بمقدمتها المدببة ومؤخرتها الحادة. وبالمناسبة فإن

(١) العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥ . (المترجم)

(٢) ردد هذا الرأى أكثر من رحالة وجغرافى عربى، ويرى الدكتور حسين فوزى فى كتابه "حديث السندباد القديم" أنه تفسير شعرى جميل يوافق ما فى اللآلئ من سحر خلاب . (المترجم)

كلمة الداو dhow التى نطلقها بلا تمييز على كل السفن العربية الكبيرة لا يستخدمها العرب إطلاقًا وأصلها مجهول طبقًا لدائرة المعارف البريطانية. وهناك نوع آخر شائع جدا فى البحرين هو الجالبوت له مؤخرة مربعة الشكل. ولا أحد يعرف ما إذا كان هذا الاسم مستمداً من الاسم الذى نطلقه على الزوارق الملحقة بالسفن الشراعية "چولى بوت" Jolly boat أم العكس.

وما تزال السفن الأكبر تُستعمل على نطاق واسع لحمل البضائع من الموانئ الكبيرة إلى الموانئ الأصغر، ومن أحد جانبى الخليج إلى الجانب الآخر. وفى كل خريف يتحرك أسطول - يتضاءل حجمه الآن - من الكويت لتنضم إليه سفن أخرى وهو فى طريقه من الخليج ليبحر إلى ساحل أفريقيا الشرقى بشحنات من تمْر البصرة، ويعود فى الربيع بأعمدة شجر المنجروف [١] من نهر فيجى [٢] ولا توجد أخشاب فى الخليج. وتُستخدم هذه الأعمدة فى إقامة أسقف المنازل. ويُجلب معظم الخشب الذى تُصنع منه القوارب من ساحل الملابار بالهند.

ويحل الآن هدير المحركات مكان السفن الشراعية المنسابة، ويزداد استخدام اللنشات والزوارق الحديثة فى نقل التجارة المحلية. ويستخدم الصيادون - لاسيما على ساحل مسقط - أنواعًا صغيرة من السفن ذات تصميم غريب قديم، أحدها مصنوع بكامله من السعف يجلس فيه الصيادون وهم مغمورون لنصفهم فى المياه [٣] .

وصيد الأسماك مصدر رزق للكثيرين. وفى المياه الضحلة حول البحرين توجد من جميع الجوانب فخاخ على شكل رقم ٧ تندفع فيها الأسماك التى يتم جمعها عند انحسار المد. كما تُستخدم كذلك فخاخ كبيرة أشبه بالأقفاص توضع فى المياه الأعمق، وكذلك الشباك التى لها شكل المظلات. وفى الجزء الشمالى من الخليج يتزايد الطلب

(١) المنجروف شجر استوائى تنبثق من أغصانه جذور جديدة . (المترجم)

(٢) هناك وصف رائع لإحدى هذه الرحلات فى كتاب آلان فيلر: أبناء السندباد .

Alan Viller, sons of Sindibad, Hodder & Stoughton, 1940. (المترجم)

(٣) لعله يقصد بذلك ما يطلق عليه العمانيون "الشاشة" . (المترجم)

على السمك عن المعروض منه بسبب زيادة السكان الهائلة نتيجة لوجود شركات النفط. وبعيداً فى الجنوب - لاسيما فى خليج عمان - يتكاثر السمك. وتوجد تجارة تصدير ضخمة فى مسقط للسمك المجفف وغذاء السمك. ويصدَّر معظم السمك المجفف إلى الهند وسيلان [١] بينما يصدر النوع الثانى إلى أوروبا. ويُصنع غذاء السمك من سمك القاشع، وهو نوع من السردين يصطاد بكميات هائلة بشبكة من نوع السينة [٢] ويجفف السمك فى الشمس، ويفوح الشاطئ كله برائحته فى موسم التجفيف. وهناك مصنع لغذاء السمك فى مسقط يملكه تاجر محلى لكنه معطل منذ سنوات بسبب عدم وجود المهندس. كذلك تصاد أسماك القرش بأعداد كبيرة، ويأكل لحمها بعض العرب، ويُستخدم زيتها فى قلفطة السفن [٣] كما تُصدَّر زعانفها إلى سيلان. وترسل أحشاء السمك إلى أوروبا ليُصنع منها الغراء. كذلك نوقشت الخطط لنقل السمك من خليج عمان فى سفن ثلاجات لمواجهة احتياجات موانئ النفط فى الخليج الفارسى، لكن لم يُنفذ شىء من هذه المشروعات حتى الآن. ويبدو أن هناك مجالاً لتنمية الثروة السمكية لكن الناس محافظون ولا يميلون إلى التجديد.

والزراعة بالمعنى الحقيقى لا توجد إلا فى البحرين ودول الساحل المتصالح التى تقع شرقاً ومنطقة مسقط. ولا يسقط المطر بكميات كافية لإنتاج المحاصيل إلا بدرجة محدودة فى ظُفار، كما أنه لا توجد أنهار ولا مجارى مياه، ويتم الحصول على الماء من الينابيع الطبيعية والآبار والقنوات الجوفية. وكل مصادر المياه هذه لا توجد إلا داخل الجبال وعند سفوحها، ما عدا فى جزر البحرين. وحينما توجد مياه كافية تزدهر بساتين النخيل. ويُعتبر البلح أحد المصادر الغذائية للسكان المحليين. وهناك أنواع كثيرة جدا منه، ويمكن أن يؤكل طازجاً ومجففاً. فالبلح الطازج - وهو الرطب - لذيذ الطعم لكنه لا يصلح للتصدير. أما النوع الصالح للتصدير فهو البلح المجفف

(١) سيريلانكا حالياً . (المترجم)

(٢) شبكة ضخمة تدلى عموديا فى الماء. والقاشع صغار السردين ، ويسمى فى مصر "البساريا" والتى حرم فيها صيده . (المترجم)

(٣) أى سد شقوقها . (المترجم)

أو التمر ، وهناك نوع آخر يسمى البُسر (*) يصدر بكميات وفيرة من مسقط إلى الهند حيث يؤكل فى الأفراح والاحتفالات الأخرى، وهو يُجمع قبل تمام نضجه، ويُغلى ويجفف، ويكون الناتج فى النهاية صلبًا ومتغضنًا. وقبل الحرب العالمية (الثانية) كان هناك نوع اسمه الفَرْض يصدَّر من داخلية عمان إلى الولايات المتحدة الأمريكية. أما الأنواع الأخرى فلا يُصدر منها لعدم كفايتها للاستهلاك المحلى. ويبدو لغير الخبير أنه يمكن تحسن إنتاج التمور كمًا وكيفًا إذا كانت هناك عناية أكثر بزراعة النخيل وانتقاء أنواعه، لكنه من العسير أن تحمل العربى المحلى على تغيير أساليبه، وهو من خلال خبرته الطويلة أدرى بالأفضل. وكل جزء من أجزاء شجرة النخيل لها منافعها، فكثيرون من أفراد الطبقة الفقيرة يعيشون فى أكواخ من سعف النخيل. وينمو الليمون الحامض والحلو نموًا جيدًا فى منطقة مسقط والأجزاء المرتفعة من الساحل المتصالح، لكنى لم أسمع إلا عن قرية واحدة تنتج برتقالا. أما الفواكه الأخرى مثل الموز والمانجو والتين والخوخ والمشمش فهى ليست من النوع الجيد. ويُزرع الطباق للاستهلاك المحلى فى المناطق الواقعة عند سفوح الجبال. كما تُزرع الخضراوات فى معظم بساتين النخيل أو حولها. وكذلك كمية محدودة من القمح فى بعض أنحاء منطقة مسقط. وفى أحيان نادرة عندما يكون هناك مطر مبكر وغزير تُزرع بعض المحاصيل القليلة فى صحراء الكويت والبحرين. ومن الناحية الواقعية فإن كل احتياجات دول الخليج من القمح والأرز– وهو الطعام المفضل للسكان المحليين– يتم استيرادها. والواقع أن دول الخليج تستورد معظم حاجاتها الغذائية فيما عدا السمك و – فى بعض الأماكن – البلح . وكانوا قديمًا يدفعون ثمنها من عائدات القرصنة وتجارة الرقيق وصيد اللؤلؤ، أما الآن فإن اقتصادهم يعتمد اعتمادًا كبيرًا على الصناعة النفطية.

وقبل الحرب العالمية الثانية كانت الهند تمدهم بمعظم ما يحتاجون إليه من الحبوب والشاى والسكر والبضائع وما إلى ذلك. وأثناء الحرب توقف مصدر هذه الإمدادات فأسعفتهم بريطانيا. والآن فإن ما يصدِّره الغرب يتجاوز ما تصدِّره الهند، ويتلقى التجار مشترواتهم من أفضل الأسواق أيا كانت على نحو ما يتراءى لهم. وتحد قيود

(*) كتبها المؤلف خطأ Bishr . (المترجم)

التحويل من خياراتهم - إلى حد ما - لكن الدولارات والعملات الصعبة الأخرى متاحة دائمًا، والمحلات التجارية فى البحرين والكويت ملأى بالبضائع الأمريكية. والسيارات الأمريكية دليل واضح على ذلك.

ولقد كانت المملكة المتحدة فى عام ١٩٥٧ المصدر الرئيسى للاستيراد تتلوها فى ذلك الولايات المتحدة الأمريكية والتالى بعدهما الهند فاليابان، وتصل البضائع إلى الموانئ الرئيسية فى بواخر أجنبية، ثم يتم توزيعها على الموانئ الأصغر فى السفن المحلية. وتنقل السفن البريطانية معظم التجارة، لكن السفن الهولندية تزداد مساهمتها تنافسها فى ذلك السفن الأمريكية والألمانية واليابانية. وتستمتع بعض الموانئ بمركز تجارى مهم لتوزيع السلع نتيجة الجمارك ورسوم الترانزيت المنخفضة.

وما يزال الجمل هو الوسيلة الرئيسية للانتقال فى معظم منطقة مسقط والأجزاء النائية من الساحل المتصالح. وفى الأماكن الأخرى حلت السيارات والشاحنات مكان الجمال التى يتسارع تضاؤل أعدادها، وتتصدر لحومها وألبانها قائمة الغذاء المحلى. وأحيانًا ما يقدم الجمل الصغير أو القعود بكامله فى الولائم العربية، ولحمه غض ومذاقه أقرب ما يكون إلى مذاق الخروف أو الضأن، ولبنه خفيف غير دسم. وتربَّى الماشية حينما تكون هناك بساتين نخيل. وتُستخدم الثيران لرفع المياه عندما لا تكون هناك آبار ارتوازية [١] ولو أن المضخات التى تعمل محركاتها بالديزل أخذت تحل محلها. وأما الأبقار فيتم إخفاؤها فى حظائر مظللة بالدعن (أى الحصير) فى البساتين خوفًا من أن تصيبها العين الشريرة. وصراع الثيران [٢] لعبة شعبية فى بعض الأماكن فى منطقة مسقط. ويمكن الحصول على اللحم البقرى فى البحرين، والسكان المحليون يأكلونه لكنى لم أتذوقه قط فى إحدى الوجبات العربية، ومن المرجح أنه لا يعتبر جديرًا بالتقديم للضيوف. ولا توجد مزارع طبيعية للأغنام والماعز إلا فى تلال عمان، وهى لا توجد إلا فى مجموعات صغيرة. ولحم الغنم أو الضأن هو أكثر اللحوم شعبية، وفى الأماكن البعيدة عن التلال يستوردونه حيا من البلاد المجاورة. وتستورده البحرين فى المراكب

(١) آبار تحفر بمثقب فتخرج مياهها فوق الأرض . (المترجم)

(٢) بين بعضها البعض وليس بينها وبين الإنسان كما فى إسبانيا . (المترجم)

عن طريق البحر، وإذا ساءت الأحوال الجوية لمدة طويلة فإنه يحدث نقص خطير فى اللحوم، وقد أنشئت وحدة تبريد لمعالجة هذا الوضع.

وقد سبق أن أشرت إلى الخيل. ففى البحرين يحتفظ حاكم البحرين - وقليلون آخرون - بالخيل ويربونها على الطريقة العربية التقليدية، كما يُحتفظ بوحدة شرطة خيالة. ويوجد فى الكويت عدد قليل من الخيل، بينما لا وجود لها فى باقى دول الخليج. ويُستخدم الحمار فى كل مكان لحمل الأثقال. وتشتهر البحرين بسلالة بيضاء كبيرة العدد كانت هى وسيلة الانتقال لكبار السن من الأثرياء، وذلك قبل استخدام السيارات. والدجاج ضئيل الحجم ومنتشر فى كل مكان، وهو يعيش على أى شىء يمكن أن يلتقطه، وينتج بيضاً صغيراً لكنه مرتفع الثمن.

وقد أدى استخدام الطيران إلى جعل الخليج الفارسى مرة أخرى حلقة وصل مهمة بين الشرق والغرب كما كان شأنه قبل دوران السفن البرتغالية حول رأس الرجاء الصالح. ومعظم خطوط الطيران من غرب أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية إلى جنوب شرق آسيا والشرق الأقصى وأستراليا تمر فوقها وتهبط طائراتها فى البصرة والبحرين والظهران. وبين الحربين العالميتين أقيم خط لشركة الخطوط الجوية الإمبريالية على الساحل الفارسى، لكن هذا الطريق توقف استخدامه فى أوائل الثلاثينيات بسبب وجود خلافات مع الحكومة الإيرانية، وتم افتتاح خط جديد على الساحل العربى له ممرات هبوط فى البحرين والشارقة. وبعد الحرب العالمية الأخيرة (الثانية) كانت شركة الخطوط الجوية البريطانية تقوم بتشغيل طائرة مائية لعدة سنوات، وكانت الرحلة تستغرق وقتئذ ثلاثة أيام من لندن إلى البحرين .. والآن هناك ثلاث رحلات لطائرات تهبط على الأرض تكاد تكون يومية عبر البحرين التى يمكن الوصول إليها من لندن فى يوم. وتقوم شركة الخطوط الجوية البريطانية كذلك بتشغيل رحلة أسبوعيا إلى الكويت. وتقوم شركة طيران الخليج - ومركزها البحرين - بتشغيل عدد من الرحلات المحلية إلى الظهران فى المملكة العربية السعودية والدوحة فى قطر والشارقة وأبو ظبى على الساحل المتصالح ومسقط، بينما خطوط الطيران العراقية تقوم بتشغيل رحلة أسبوعيا من عدن إلى الشارقة والبحرين. والسفر الجوى الآن - لمن تسمح له مقدرته المالية بذلك - هو الوسيلة المألوفة للرحلات سواء داخل الخليج - حيثما كانت هناك مهابط للطائرات - أو بين الخليج والعالم الخارجى.

ويفضل البعض السفر بحراً ، وهو الطريقة المعتادة التى يستخدمها معظم الأهالى حيث يكون السفر برا أمراً مستحيلاً. فللوصول إلى معظم الجزر والموانئ الأصغر يكون السفر بحراً هو الوسيلة الوحيدة المتاحة فى غياب طائرات الهليكوبتر أو الطائرات المائية. وتقوم بواخر بريد شركة الهند البريطانية للملاحة التجارية برحلة منتظمة بين بومباى والبصرة، وتمر أسبوعيا على مسقط والبحرين والكويت، وعلى فترات أبعد على جوادر (*) والشارقة ودبى. ولهذه الرحلة شعبيتها الكبيرة بالنسبة للرحلات المحلية حيث تتكدس البواخر عادة بالمسافرين على ظهرها. والرحلة الوحيدة المباشرة بين الخليج الفارسى والمملكة المتحدة توفرها شركة "السادة ستريك سكوت **Messrs. Srick Scott and Co.**". وتبحر بواخرها بطريقة غير منظمة، ولا تأخذ إلا عدداً محدوداً من المسافرين، وبما أن مهمتها الأولى الشحن فقد تتأخر فى الموانئ فى أثناء رحلتها. والبديل بالنسبة للزوار القادمين من الغرب هو السفر على خط من الخطوط المنظمة الذاهبة إلى بومباى أو كراتشى واللحاق من هناك بباخرة شركة بريد الهند البريطانية. وتتحرك اللنشات داخل الخليج بين ميناء وآخر – ولمعظمها قوارب تم تركيب محركات لها – لكن ليست هناك رحلات منظمة، وهى غير مزودة – فى معظم الحالات – بوسائل الراحة للمسافرين. وإذا كان هناك مسافر ذو مكانة فإنهم يمدون له بساطاً على مؤخرة اللنش كما يوفرون له مقعداً. ويمكن التمتع بالسفر بهذه الطريقة لوقت قصير لاسيما إذا كان فى الخريف والربيع عندما لا يكون الجو شديد الحرارة ومن غير المحتمل هبوب العواصف العاتية. وعادة ما تكون مثل هذه اللنشات غاصة بالمسافرين ومعهم متعلقاتهم المنزلية، بما فى ذلك أحياناً الماعز والدجاج وكل أنواع السلع.

ويملك الشيوخ سيارات أمريكية فارهة، بينما يستخدم عامة الناس الشاحنات كوسيلة للمواصلات. وفى البحرين يملك القرويون عدداً من حافلاتهم الخاصة بهم. وبالبحرين عدد من الطرق المفروشة بالحصباء. وفى الكويت وقطر توجد طرق جيدة تربط معسكرات النفط وشركاته ببعضها وبالعواصم، كما تقوم الحكومات المحلية بشق طرق أخرى. وفى كثير من أنحاء الصحراء – حيث لا يوجد رمل كثيف – يمكن

(*) ميناء بساحل باكستان المطل على خليج عُمان . (المترجم)

للسيارات أن تسير سواء أكان هناك طريق أو لم يكن. وهناك طرق ممهدة بين الكويت والعراق والمملكة العربية السعودية، وبين قطر والمملكة العربية السعودية، ويستخدم الأهالى هذه الطرق كثيراً. ومن المرجح أنه كان من الممكن أن يكون الأجانب أكثر استخداماً لهذه الطرق لولا الصعوبات الناشئة عن نظم الجوازات والتأشيرات. وتوجد طرق ممهدة على طول الساحل المتصالح يمكن للسيارات المرور فيها إلاّ فى حالة سقوط مطر غزير، كما أن هناك طرقًا ممهدة بين الساحل المتصالح والمملكة العربية السعودية. ويكاد يكون السفر المباشر مستحيلاً من الساحل المتصالح إلى قطر. وهناك طريق واحد ممهد يمكن للسيارات السير فيه من الساحل المتصالح متجهًا شرقًا مخترقًا التلال إلى منطقة مسقط. ويمر هذا الطريق على طول مجرى مائى أو بجواره يُعرف باسم وادى الخور. ويوجد وراء التلال طريق ممهد يسير بمحاذاة الساحل عبر مجار مائية وقنوات رى مؤدياً إلى مسقط، وقد مد السلطان مؤخراً طريقًا ممهداً للسيارات من مسقط إلى ظفار. والواقع أنه لا توجد طرق سيارات أخرى فى مسقط فيما عدا بعض الطرق التى أنشأها السلطان فى ولاية ظفار النائية، ولو أن السيارات تشق طريقها أحيانًا فى التلال أعلى مجارى المياه.

وتوجد مكاتب للبريد يقوم بإدارتها مكتب البريد البريطانى العام فى البحرين والدوحة ودبى ومسقط، كما تديره فى الكويت الحكومة الكويتية ، وتستخدم طوابع البريد البريطانية مطبوع عليها قيمتها بالروبية. وفى البحرين والكويت وقطر فقط مطبوع عليها اسم الدولة. وتوجد فى البحرين طوابع تحمل صورة وجه الحاكم للاستخدام المحلى. وفى الدول ذات المطارات تصل عادة الخطابات المرسلة بالبريد الجوى إلى المملكة المتحدة خلال ثلاثة أو أربعة أيام من تاريخ إرسالها. أما الخطابات المرسلة بالبريد العادى فتستغرق شهراً. وتدير مكاتب البرق العامة شركة الكوابل واللاسلكى المحدودة فى البحرين والدوحة ومسقط، وشركة إيراديو العالمية المحدودة فى الشارقة، والحكومة الكويتية فى الكويت. ويمكن الاتصال هاتفيا بلندن ونيويورك من البحرين والكويت والدوحة ومسقط عن طريق الاتصال اللاسلكى.

وللبنك الشرقى فروع فى البحرين والدوحة والشارقة، وللبنك البريطانى للشرق الأوسط فروع فى البحرين والكويت والدوحة والشارقة ومسقط، وهذا البنك على وشك

افتتاح فرع له فى «أبو ظبى». وللكويت والبحرين أيضاً بنوكها الوطنية الخاصة بهما. وكل دول الخليج تقع فى نطاق الكتلة الإسترلينية كما سبق أن ذكرنا. ولا توجد قوانين محلية بشأن العملة الرسمية لكن العملة المستخدمة والتى تتعامل بها البنوك هى الروبية الهندية. وفى معظم منطقة مسقط يرفض رجال القبائل التعامل إلا بدولار مارياتيريزا . وهو عملة فضية عليها رأس الإمبراطورة ومؤرخة بعام ١٧٨٠، وهى تُسك على نطاق تجارى كلما دعت الحاجة إلى ذلك. وسعرها متغير فى مقابل الروبية الهندية، وتبلغ قيمتها مؤخراً حوالى ثلاث روبيات ونصف الروبية. كذلك هناك عملة معدنية من النيكل فى مسقط تسمى البيسة، كان السلطان قد سك عدداً منها منذ بضع سنوات. وسعر هذه العملة متغير أيضاً لكن من الناحية الاسمية كل مائتى بيسة تساوى دولاراً من دولارات مارياتيريزا. ويقال إن السلطان فى سبيله إلى إصدار ريال جديد.

الفصل السابع

النفط

باكتشاف النفط، تحول الخليج الفارسى من حالة ركود تثير الاهتمام إلى منطقة اقتصاد ضخم لها أهميتها الإستراتيجية. وأصبحت الموانئ البدائية التى تقع على الشواطئ الصحراوية فى خلال سنوات قلائل مدنًا حديثة ذات مبان جميلة ومحال تجارية حافلة بالسلع. وحلت السيارات محل الجمال. والشيوخ الذين لم يكن لديهم إلا القليل ليقدموه لضيوفهم أصبحوا الآن يملكون قصورًا يفخرون بفخامتها. وغواص اللؤلؤ أو صياد السمك المتواضع الذى كان دائمًا مدينًا يتقاضى الآن أجرًا منظمًا ويمتلك دراجة وساعة فى معصمه.

وقد اكتشفت النفط فى جنوب إيران شركة بورما للنفط وذلك قبل الحرب العالمية الأولى (*)، وقامت بتطويره شركة النفط الإنجليزية الإيرانية (الآن شركة النفط البريطانية). وكان من الطبيعى أن يثير هذا الاكتشاف الاهتمام باحتمالات وجود النفط فى الإمارات. فأجريت مسوحات أولية، لكن عدة سنوات مضت قبل أن تدرك أية شركة أن توقعات العثور على النفط تستلزم حصولهم على امتياز التنقيب عنه وإنفاق الأموال فى سبيل ذلك. وفى عام ١٩٢٥ حصل الميجور فرانك هولمز على ترخيص بالاستكشاف من حاكم البحرين، حيث إنه كان مقتنعًا بأنه سيعثر على النفط، وحاول إقناع إحدى الشركات البريطانية بأن تقوم بهذه المهمة، لكن أحدًا لم يقتنع بأن هناك ما يدعو إلى المخاطرة. عندئذ قام بمحاولاته فى الولايات المتحدة الأمريكية، وأخيرًا وافقت شركة

(*) (١٩١٤ - ١٩١٨). (المترجم)

ستاندارد أويل أُفْ كاليفورنيا على القيام بالمغامرة. وبدأ العمل فى عام ١٩٣١، وتم اكتشاف النفط عام ١٩٣٢ وتم إنتاجه عام ١٩٣٤ . وقد أدى اكتشاف النفط فى البحرين إلى منافسة حادة للحصول على حقوق التنقيب والتعدين فى الدول الأخرى. وباندلاع الحرب العالمية الثانية (*) كان كل الحكام، بما فيهم سلطان مسقط، قد منحوا امتيازات البحث عن النفط. وقد تم اكتشاف النفط فى كل من الكويت وقطر قبيل بداية الحرب لكن لم يتم إنتاج شىء منه إلا بعد انتهاء الحرب. ولم يتم العثور على النفط بكميات تجارية فى الساحل المتصالح برغم حفر الآبار هناك. وفى منطقة مسقط تم حفر بعض الآبار دون نجاح حتى الآن وذلك غرب سلسلة جبال عمان الوسطى، وفى ظفار تم اكتشاف نفط قليل القيمة منها. والمنطقة الوحيدة على الساحل المتصالح التى منحت حق امتياز التنقيب فيها قبل الحرب العالمية الثانية كانت منطقة لا أهمية لها تمثل نصيب الكويت المشترك مع المملكة العربية السعودية فى المنطقة المحايدة بينهما. وقد منح جلالة الملك الراحل عبد العزيز آل سعود حق امتياز نصيبه فى هذه المنطقة لشركة أمريكية أخرى. وتم اكتشاف النفط فى هذه المنطقة عام ١٩٥٣ ويتم الآن إنتاج كمية كبيرة منه.

وبعد أن تم توزيع هذه المنطقة لم يعد هناك مزيد للمنافسة برا. لكن فى عام ١٩٤٩ بدا مجال جديد للتسابق فى الحصول على حق الامتياز فيه. فحكام الدول التى تطل على الخليج الفارسى (وليس على خليج عمان) اقتفوا أثر المثل الذى ضربه الرئيس ترومان عام ١٩٤٥ وأصدروا بيانات تعلن أن قاع البحر والأرض التى تحت أعالى البحار فى الخليج الفارسى والملاصقة لمياههم الإقليمية تتبع دولهم وتخضع لسلطتهم المطلقة وقوانينهم. أما عن حدود هذه المناطق فإن أحداً لم يتحدث عنها. وقد توصل حاكم البحرين وملك المملكة العربية السعودية إلى اتفاق حول تلك المناطق التى تقع بين دولتيهما عام ١٩٥٨، لكن حدود المناطق الأخرى ما تزال تنتظر تحديدها، وستكون بلا شك موضع نزاع كبير. ولما كان الخليج الفارسى، لا سيما من جانبه العربى، ضحلاً فإن هذه البيانات أو التصريحات فتحت باباً جديداً واسعًا للبحث عن النفط.

(*) (١٩٣٩ - ١٩٤٥م). (المترجم)

ويلاحظ أن خليج عمان عميق. وأن شواطئه تنحدر بشدة بحيث إن الحفر خارج حدود المياه الإقليمية صعب إن لم يكن مستحيلاً. وقد منحت قطر وأبو ظبى فى وقت واحد امتياز التنقيب عن نفطها البعيد عن الشاطئ لشركة أمريكية لم تقم بعمليات سابقة فى المنطقة. والشركات التى كانت قد حصلت على حقوق امتياز فى دول الخليج أعلنت أن هذه الحقوق تغطى بصفة آلية المنطقة البعيدة عن الشاطئ أو الحافة القارية كما تسمى أحيانًا. وقد أحيل الموضوع إلى التحكيم، وتقرر أن الامتيازات الممنوحة سابقًا لا يتجاوز نطاقها المياه الإقليمية وأن للحكام الحرية فى منح حقوق امتياز منفصلة للمناطق الواقعة خارج المياه الإقليمية والتى تدخل فى نطاقهم طبقًا لبياناتهم. وقد أصبح هذا المبدأ معمولاً به - بوجه عام - إلا فى البحرين حيث اعتبر أنه المنطقة البحرية البعيدة عن شاطئها تشملها الاتفاقية المعقودة بين حاكم البحرين وشركة النفط البريطانية قبل صدور هذه البيانات. ويتعذر على بعض الحكام إدراك أن هذه البيانات لا تعطيهم الحق لا فى أعالى البحار ولا فيما تحت قاع البحر. وفيما عدا الكويت فإن كل المناطق المغمورة بالمياه فى كل مشيخات الخليج الفارسىّ مُنحت حقوق امتيازها بما فى ذلك المنطقة المحايدة بين الكويت والمملكة العربية السعودية. وقد تم البدء فى الحفر وأمكن الوصول إلى النفط بالقرب من جزيرة داس فى «أبو ظبى» فى المنطقة الواقعة بعيداً عن الشاطئ.

ورغم أن المملكة العربية السعودية لا تدخل فى موضوعنا، فإن مما له به صلة أن نشير إلى أن امتياز النفط فى الجزء الأكبر من المملكة يملكه اتحاد من أربع شركات يُعرف باسم: شركة النفط العربية الأمريكية واختصارها آرامكو. وقد اكتشفت هذه الشركات كميات هائلة من النفط معظمها قرب ساحل الخليج، وإنتاجها يقارب إنتاج شركة نفط الكويت، ومركزها اتحاد هذه الشركات فى الظهران على بعد عشرين ميلاً فقط من المنامة فى البحرين برا وبحراً. وقد أدت تنمية الموانئ عن طريق هذه الشركات أو عن طريق المملكة العربية السعودية بما تحقق لها من ثروة إلى سلب البحرين من كثير مما تتمتع به كمركز تجارى. وتغطى حقوق امتياز هذه الشركات النفط الموجود فى المياه البعيدة عن الشاطئ، وقد اكتشفت النفط فعلاً تحت البحر لكن فى المياه الإقليمية وليس فى المنطقة الواقعة أبعد من ذلك .

وكانت جميع حقوق الامتياز الممنوحة فى دول الخليج قبل عام ١٩٤٨ فى مقابل مبلغ كان يُدفع للحاكم حتى تم إنتاج النفط بكميات تجارية، بعدها أصبح يُدفع حق ملكية فقط ٣ روبيات (٤ شلنات و ٦ بنسات) لكل طن، وفى بعض الحالات أكثر من ذلك قليلاً. وفى نهاية عام ١٩٥٠ عقدت شركة أرامكو اتفاقية مع الملك الراحل عبد العزيز آل سعود يكون بمقتضاها نصف الأرباح من نصيبه. وبعد ذلك بوقت قصير أى فى عام ١٩٥١ تم تأميم صناعة النفط فى إيران، ووجدت شركة النفط الإنجليزية البريطانية نفسها مضطرة إلى ترك حقول نفطها ومصفاتها فى عَبَدان. وكان من الطبيعى أن تشجع هذه الأحداث حكام الخليج لطلب المزيد، وفى الوقت نفسه جعلت شركات النفط ترى أنه من الحكمة الاستجابة لهذه المطالب . ونتيجة لذلك ، فقد تم توقيع اتفاقيات جديدة للمشاركة فى الأرباح مع حكام الإمارات المنتجة للنفط بكل من البحرين والكويت وقطر ، وذلك فى عامى ١٩٥١ و١٩٥٢ وهى اتفاقيات مطابقة لاتفاقية عام ١٩٥٠ التى عُقدت بين أرامكو والمملكة العربية السعودية.

ولم يحدث تغيير فى حقوق الامتيازات الممنوحة من حكام دول الخليج حيث لم يتم إنتاج النفط بكميات تجارية. لكن حق الامتياز الممنوح من حاكم الكويت عام ١٩٤٨ فيما يتصل بنصيبه فى المنطقة المحايدة، وبعض الامتيازات التى مُنحت وقتئذ للنفط الموجود بعيداً عن الشاطئ تنص على أجر للملكية أكثر سخاء مما هو فى حقوق الامتيازات السابقة. وفى عام ١٩٥٧ كان إنتاج البحرين حوالى مليون طن ونصف المليون من النفط، وإنتاج الكويت أكثر من ٥٦ مليون طن، والمنطقة المحايدة أكثر من ثلاثة ملايين، وقطر خمسة ملايين طن ونصف المليون. وكان دخل حكام الإمارات الثلاث الذى حصلوا عليه من هذا النفط جنيهين إسترلينيين عن كل طن. ومن المرجح أن تزداد أرباح الكويت وقطر، أما بالنسبة للبحرين فالمرجح أن تظل ثابتة أو تتراجع ما لم يحدث اكتشاف جديد. وفى عام ١٩٤٧ كان ٦٥٪ من النفط المستخدم فى الجزر البريطانية وأوروبا الغربية يأتى من الشرق الأوسط، وكان نصفه على الأرجح مستخرج من الكويت. وقد أقيمت مصاف كبيرة للنفط فى البحرين عام ١٩٣٧ والكويت عام ١٩٥٨ . أما قطر فلا تُصدر إلا النفط الخام. وقد قامت الشركات المنتجة الثلاث بتطوير موانئها حيث يُضخ فى ناقلات النفط أو يُنقل فى براميل. وهناك طابور مستمر من ناقلات النفط

تمر فى مضيق هرمز، تطفو عائمة فوق الماء عند دخولها الخليج، وتكون مثقلة بالنفط فى طريق عودتها . وللناقلات شكل واحد وإن اختلفت أحجامها وألوانها ونظافتها وأعلامها التى ترفعها. وهى تقف عدة ساعات فى أحد موانئ النفط تعب من حمولتها الثمينة، وحالما تمتلئ فإنها تغادر الميناء دون إبطاء متجهة إلى جميع أرجاء الدنيا.. وبعض هذه الناقلات تملكه شركات مرتبطة بشركات النفط وبعضها مستقل. ومن بين هذه الناقلات المستقلة يعرف العالم اسمى : أوناسيس وفارخوس صاحبى أسطولين من أكبر أساطيل ناقلات النفط. وحقول النفط المنتجة فى الإمارات تقع جميعها فى الصحراء على مسافة من المراكز السكانية الرئيسية. والآبار فى البحرين وقطر تقع بين تلال منخفضة، بينما تقع فى الكويت فى سهل متموِّج. والحقول من أكثر الأماكن الموحشة التى يمكن تصورها.

وليس هناك ما يمكن رؤيته من الآبار إلا أغطيتها الخرسانية فوقها وبضع صمامات. وتربط هذه الآبار بصهاريج التخزين أنابيب متعرجة ذات ثنيات تسمح بتمدد وانكماش المعدن تبعًا لتغير درجة الحرارة. ويكسر من رتابة منظر الصحراء صوت حفار أو حفارين وإن لم يضف إليه جمالاً. وتنتشر هنا وهناك محطات ضخ صغيرة أو مجموعات من الأسطوانات الهائلة التى تُستخدم لفصل الغاز عن النفط . ومحطات تكرير النفط عبارة عن خليط منفر من صهاريج التخزين والأسطوانات والأنابيب والمداخن ومختلف أشكال المبانى، مما لا يثير اهتمام إلا الذين على بعض الدراية بتعقيداتها. والشىء الوحيد الذى لا يقع نظر الزائر أبدًا عليه هو النفط رغم أنه كثيراً ما تترامى إليه رائحته. ويُستخدم الآن بعض الغاز بعد فصله عن النفط فى البحرين لإنتاج الكهرباء وفى الكويت لإنارة المدينة. والباقى يُحرق، ولهيبه جميل المنظر لاسيما عند رؤيته من الجو ليلاً. والغاز فى حالته الطبيعية عديم الرائحة، وإذا تسرب فيجب أن تُعزل المنطقة لمنع اقتراب الإنسان أو الحيوان. لهذا فإنه قبل استعماله للأغراض المنزلية أو الصناعية يعالج بمادة تجعل له رائحة. ومن المناظر الجديرة بالرؤية لكنها نادرة الحدوث هو حرق بئر جديدة. فالدفعة الأولى للنفط قد تحوى شوائب مما استُخدم فى عملية الحفر، وهذه الشوائب يُسمح بتسربها ثم تُشعل فيها النيران. عندئذ تتصاعد موجات هائلة من الدخان الأسود عبر الصحراء لتثير الفرحة فى قلب الحكام. وكل

النفط الذى فى الخليج يقع تحت ضغط هائل وقد يتفجر مرتفعًا مئات الأقدام ما لم تتم السيطرة عليه بإحكام. وإذا اشتعلت النيران فى أحد الآبار - وهو أمر نادر الحدوث لحسن الحظ - فإنه يكون مصدر إزعاج شديد. فقد حدث فى قطر منذ عدة سنوات مضت عندما اشتعل أحد الآبار أن تم استدعاء خبير على وجه السرعة بالطائرة من أمريكا. فارتدى بدلة من الإسبستوس وخاطر بحياته عندما نجح فى تفجير شحنة من الديناميت فى فوهة البئر فأحكم بذلك إغلاقها. ويقع النفط فى البحرين على بعد ألفى قدم تحت سطح الأرض، وفى الكويت على بعد أربعة آلاف قدم، وفى قطر على بعد ستة آلاف قدم. وكمية النفط التى يمكن استخراجها غير محددة بدقة لكن الخبراء يعتقدون أن هناك احتياطيا فى الكويت يبقى أجيالاً عدة إذا استمر مستوى الإنتاج الحالى نفسه. وهناك دائما احتمال اكتشاف حقول جديدة فى البر أو تحت البحر. والقارئ المهتم بالحصول على مزيد من المعلومات عن النفط فى دول الخليج والشرق الأقصى - بوجه عام - يمكن له الرجوع إلى كتاب البريجادير لونجريج الذى يعالج الموضوع بسلاسة فائقه (*) .

وتقع المناطق السكنية والصناعية للشركات المنتجة للنفط بمحاذاة آبار النفط. وقد بُذِلَ قصارى الجهد لاستخدام وسائل الترفيه حتى يمكن مواجهة وحشة المكان وقسوة الجو وجعل الحياة محتملة، بالنسبة للعاملين. ولهذا فإن مناطقهم السكنية تشبه مدنًا أمريكية وبريطانية صغيرة غائصة فى الصحراء. وقد حدث أن وافدًا جديدًا استقدمته شركة نفط البحرين من المملكة المتحدة وعند وصوله قدم استقالته قائلاً إنه قيل له إنه قادم إلى جزيرة صحراوية لكن المكان لم يكن كما يتوقعه. فالأحياء السكنية للعاملين الأجانب مؤثثة تأثيثًا كاملاً ومكيفة ومزودة بالتيار الكهربائى والمياه الجارية، ويتناول العزاب طعامهم على مائدة مشتركة، وتستطيع ربات البيوت الحصول على جميع المواد التموينية التى يحتجن إليها وسلع أخرى أيضًا من محلات تغص بالمؤن، وتوجد دور للسينما ونوادٍ حيث تعقد بانتظام حلبات للرقص، كما توجد حمامات سباحة وملاعب تنس وملاعب مخصصة لألعاب الكريكيت وكرة القدم والهوكى والجولف وما إلى ذلك.

(*) S.H Longrigg. Oil in the Middle East, Oxford University Press, 1954.

وهناك مدارس لأطفال الموظفين الأجانب ومستشفيات مزودة تزويداً جيداً بالمعدات لعلاج جميع فئات الموظفين. والأجور مرتفعة والإجازات تُمنح بسخاء ، والأمر السلبى الوحيد فى الحياة فى معسكرات النفط بالخليج الفارسى - بالإضافة إلى الجو - هو أن هناك درجة من درجات النظام الصارم الذى لا مفر منه فى مثل هذه الوحدات المنعزلة المكتفية بذاتها . وأغلب كبار الموظفين من الأمريكان والبريطانيين بينما الكتبة والعمال من الهنود والباكستانيين، وفى قطر بعض الفلسطينيين واللبنانيين. وفى دول الخليج التى لم يتم العثور فيها على النفط تقام معسكرات مؤمنة مريحة بقدر ما تسمح به الظروف. فالشركات التى لها حق امتياز التنقيب بعيداً عن الشاطئ فى قطر و«أبو ظبى» أقامت معسكرات فى الدوحة «وأبو ظبى» كقواعد لعملياتها، كما أقامت شركة «أبو ظبى» مؤخراً معسكراً فى جزيرة داس.

وطبقًا لحق الامتياز تلتزم الشركات كلها باستخدام رعايا الدولة التى تقوم بعملياتها فيها، وذلك إلى أقصى حد ممكن. وفى الوقت الحالى، فإنه نتيجة لتخلف التعليم فإن السكان المحليين يعملون فى معظم الأحوال فى الوظائف التى لا تحتاج إلى مهارة أو تحتاج إلى نصف مهارة. وهناك ضغط على الشركات لتقليل عدد الهنود والأجانب الآخرين الذين يعملون ككتبة وعمال وإحلال العرب المحليين مكانهم عندما يكون هناك من هو مؤهَّل منهم لشغل هذه الوظائف. وتتخذ عمليتا التقليل والإحلال مساراً تدريجيا لإنجازها . ولا شك فى أنه سيكون على الشركات أن تذهب إلى أبعد من ذلك فى الوقت المناسب وتقوم بتوظيف العرب فى أعمال كبار الموظفين وأن تفسح لهم مكانًا فى الإدارة إذا أرادت تجنب المطالبة بالتأميم. وفى الوقت نفسه فإن هذه الشركات تبذل قصارى جهدها لرفع مستوى التعليم المحلى، فهى تدير المدارس فى معسكراتها لتعليم موظفيها من المواطنين المحليين كما تدربهم تدريبًا فنيًا، وتوفر المنح لتمكن طلبة المدارس الحكومية من الدارسة بالخارج، كما تساعد - فى بعض الأحيان - السلطات التعليمية المحلية عن طريق إقامة المدارس لها أو إعارتها المدرسين. وتعامل عمالها معاملة جيدة، وتحرص على أن تكون أجورهم متكافئة مع أية زيادة فى مستوى المعيشة. وفى بعض الأحيان يتم توفير وسيلة انتقال بالسيارات لنقل العمال المحليين من وإلى منازلهم. وفى حالات أخرى يسكنون فى المعسكرات أو بالقرب منها . وكانت

وسائل الراحة المتوفرة بدائية فى أول أمرها لكنها ارتفعت بسرعة إلى المستوى العصرى. والإضرابات غير مألوفة، ولا توجد اتحادات عمالية، ولو أن هذا تطور يجب توقعه. وقد أذيع مؤخراً قانون فى البحرين يبيح إنشاءها. وفى الوقت الحالى فإن الشركات تحتفظ بموظفين مختصين لرعاية مصالح عمالها، وأية شكوى تقدم يتم التحقيق فيها فوراً. وعادة ما تكون هناك لجنة ترفيهية يمثل العمال فيها.

وبالإضافة إلى اتفاقيات حقوق الامتياز التى توقعها الشركات مع الحكام فإنها ملزمة جميعًا باتفاقيات سياسية مع الحكومة البريطانية. وأحد أهداف هذه الاتفاقيات هو ضمان أن تتم صلة الشركة بالحكام فيما يتعلق بالأمور الهامة عن طريق أو بمعرفة الموظفين السياسيين البريطانيين. ولا يعنى هذا تدخل هؤلاء الموظفين فى المفاوضات التجارية، فالواقع أنهم يقفون على الحياد تماماً عند إجراء مساومة ما، لكنهم يتدخلون للمعاونة فى إبداء الرأى عندما يبرز أمر ذو أهمية سياسية على نحو غير متوقع. مثال ذلك أن يقدم أحد الحكام أو إحدى الشركات على القيام بعمليات فى منطقة ملكيتها موضع شك. وطبقًا للاتفاقيات السياسية فإن كل شركة تعين ممثلاً محليا يكون عادة المدير العام فى موقع النزاع، وهو المسئول رسميا عن التعامل مع الموظف الحكومى البريطانى، وعن التعامل مع الحكام من خلال هذا الموظف البريطانى. ولا يمنع هذا كبار موظفى الشركات أن تكون لهم علاقات مباشرة مع الحكام لمناقشة أمور العمل بشرط أن يحيطوا الموظف السياسى علماً بأية تطورات مهمة وأن يسمحوا له بالحضور إذا رغب فى ذلك. والعلاقات بين إدارات الشركات والحكام علاقات طيبة - بوجه عام - رغم أن الحكام يشكون من حين لآخر أنهم لا يحصلون على تعويضات كافية. وتسرب الخمور سبب لإثارة المشاكل. والعلاقات مع الجمهور أيضًا علاقات جيدة، وكثيراً ما يلتقى موظفو الشركات الغربيون بالشيوخ والتجار المحليين فى مناسبات اجتماعية. وهناك موظفون يحيطون شركاتهم علمًا بمجريات الأمور وبالرأى العام، لكنهم حريصون على عدم التدخل فى السياسة المحلية طالما لم يكن هذا من شأن عملهم. وتنحصر الصحافة المحلية فى صحيفة يومية واحدة فى البحرين وبضع دوريات دائرة انتشارها ضيقة، بحيث أن فرصة تداول الأخبار ضئيلة. وتنشر بعض الشركات نشرة مصورة سنوية باللغتين الإنجليزية والعربية تسرد فيها إنجازاتها خلال العام الماضى.

وهناك تعاون وثيق بين الشركات وحكومات الإمارات فيما يتصل بمسائل الأمن. فبعض الشركات تستخدم حراسها الذين تعينهم بمعرفتها، بينما يعتمد البعض الآخر اعتماداً كليا على الشرطة المحلية. وهناك بالضرورة سرقات صغيرة لكن اللصوص الذين يُقبض عليهم تحكم عليهم محاكم الدولة أحكاماً مُرْضية، ونادراً ما تقع انتهاكات خطيرة للقانون والنظام.

ولم يتح بعد الوقت لتأثير الصناعة النفطية والثروة التى أوجدتها فى إحداث تغييرات جذرية فى أخلاق الشعب وسلوكه وعاداته، لكن حدثت ثورة فى اقتصاد الدول المنتجة للنفط، فقد أثرى الشيوخ ثراء لم يكونوا يحلمون به منذ سنوات مضت. ولا يبدى الحكام أنفسهم ميلاً إلى التفاخر لكنهم يقدمون هدايا باذخة لزوارهم سواء أكانوا من الطبقات العليا أم الدنيا، وهذا أمر موضع فخر شديد عند العرب، وهم على أية حال لا يستطيعون أبداً إرضاء أقربائهم. وبعض هؤلاء الأقرباء – كما هو متوقع – ينغمسون فى حياة كلها إسراف ويحاولون بعث أمجاد ألف ليلة وليلة فى قالب عصرى. ويرددون فى الكويت أن مطفأة السجائر فى السيارات الأمريكية الضخمة التى تُستعمل على نطاق شائع هناك لا يتم تفريغها أبداً. وكانت الإجابة على التساؤل عن سبب ذلك هو أنه عند امتلاء المطفأة فإن السيارة تُلقى فى مقبرة السيارات ويتم شراء أخرى. وقد تسبب هذا كله – مع ارتباطه بوجود عدد كبير من الأوروبيين والأمريكان – فى رخاء كبير للتجار وأصحاب المحال التجارية. ففى الشوارع الرئيسية للأسواق تنتشر المحال التجارية الجميلة ذات الواجهات الزجاجية حيث تُعرض سلع الغرب الكمالية، بينما يعرض عدد ضخم من الأكشاك الصغيرة فى الأزقة الخلفية تحف الشرق الأثرية وسلعه المبهرجة وتوابله. ورغم أن التجار يعيشون فى بحبوحة. إلا أنهم يتجنبون الإسراف، فهم يفضلون تكديس ثرواتهم أو استخدامها فى مغامرات تجارية يصابون فيها بالخسارة أحياناً. ويسافر الشيوخ والتجار إلى الخارج أكثر مما كانوا يسافرون سابقًا، ولا يبدو أن هذا السفر قد غير تفكيرهم المحدود حتى الآن. فأحد الشيوخ ظن أن باريس تشبه كثيراً مدينته فى وطنه، وأن برج إيفل لا يذكِّره إلا بإحدى حفارات النفط فى الصحراء، وآخر غادر فندقًا شهيراً فى لندن ؛ لأن إدارته لم تستطع أن توفر له فحمًا لمجمرة مبخرته. وبالنسبة لرجل الشارع فإن أمامه أكثر من فرصة للعمل،

والأجور تضاعفت أربع مرات منذ الحرب، وهو ينفق دخله على كثير من الدراجات وساعات اليد وأجهزة الراديو ودخول السينما. ومن الأسس التى تحدد بمقتضاها شركات النفط الحد الأدنى للأجور هو عدد السعرات التى تراها ضرورية ليستهلكها رجل وأسرته، لكن من المشكوك فيه جدا إذا ما كان هناك أى تحسن جوهرى فيما تتناوله الأسرة من غذاء. ومن المرجح أن تكون النساء أقل استفادة من الرخاء السائد. وتختلف الأحوال بشدة فى الدول التى لم يتم فيها العثور على النفط بعد. فالمبالغ السنوية التى تدفعها شركات النفط تساعد الحكام على تحمل نفقاتهم اليومية، لكن ليس هناك فائض للإنفاق على أغراض التنمية. و لا يُستخدم السكان المحليون إلا بأعداد محدودة كعمال أو حرس فيما يجرى من عمليات حفر ومسح، ومن ثم فإن الاقتصاد فى هذه الدول سيئ - بوجه عام - ، ونتيجة لذلك هناك هجرة على نطاق واسع إلى الإمارات المنتجة للنفط وإلى المملكة العربية السعودية ؛ حيث يمكن الحصول بسهولة على عمل وأجر طيب. وكثير من هؤلاء الذين هاجروا سيعودون - على الأرجح - عندما يكونون ادخروا مبلغًا كافيًا لإعالة أسرهم لبعض الوقت أو لشراء زوجة.

وفى الإمارات المنتجة للنفط فإن الآثار السياسية لتدفق الثروة الفجائى والصلات المتزايدة مع الغرب ودول الشرق الأوسط المجاورة آثار ضعيفة ؛ فلم تحدث مطالبة ذات أهمية على مستوى شعبى لتغيير النظام البطريركى أو الأبوى الحالى للحكومة، وبالرغم من الأساليب الخبيثة لبعض الإذاعات والصحف التى تصل من دول أخرى فى الشرق الأوسط فإنه لم يظهر بعد أى تزايد ملحوظ فى الشعور المعادى للغرب. وربما كان سبب ذلك يرجع إلى تخلف التعليم من ناحية، وإلى وفرة فرص العمل المرتفعة الأجر للجميع من ناحية أخرى. وبالإضافة إلى ذلك فإنه لم تمر إلا خمسة وعشرون عامًا منذ أن تم تصدير النفط لأول مرة من البحرين ونصف هذه المدة منذ تصديره من الكويت وقطر، لهذا لم تمر فترة كبيرة من الزمن تكفى لنضج الوعى السياسى. وليس هناك شك فى أنه سيحدث ضغط فى الوقت المناسب لحمل الحكام على إصلاح إداراتهم وربما لحملهم على أن يكونوا أكثر ديمقراطية . ويدرك كل من الحكام وشعوبهم فى الوقت الحاضر أنهم مدينون فى استقلالهم للحماية البريطانية، والتى لولاها لكانت الدول المجاورة الأقوى قد ابتلعتهم الآن. كما أنهم يدركون أن المشاريع البريطانية والأمريكية هى

مـصـدر ثروتـهم، وأنه طالما أبدى البـريطانيـون - بالتـعـاون مع الأمـريكان - قـدرتـهم واستعدادهم لحماية الإمارات من العدوان الخارجى، وطالما تبنت شركات النفط سياسة معقولة ومتـحررة فى علاقـاتها مع الحكام وموظفيـهم المحليين، فليس هناك سبب يدعو إلى القيام بمطالبة مبكرة فى أية إمارة من الإمارات بتـغيير جذرى فى الوضـع الحالى الذى تتمتـع به بريطانيا أو فى الظروف التى تعمل الشركات فى ظلها.

الفصل الثامن

البحرين

البحرين مجموعة جزر تقع في مدخل خليج سلوى بين ولاية الإحساء السعودية وشبه جزيرة قطر على بعد ٢٠ ميلاً و ١٨ ميلاً على التوالي من كل منهما. والجزيرة الرئيسية كمثرية الشكل، تمتد شمالاً وجنوباً بطول ثلاثين ميلاً، ونهايتها الأكثر عرضاً هي التي في الشمال حيث يبلغ اتساعها عشرة أميال. وعلى بعد ميل ونصف الميل من ركنها الشمالي تقع جزيرة محرق على شكل حرف E الإنجليزي طولها ثلاثة أميال ونصف الميل بينما طول كل ذراع ميل ونصف الميل. وعلى الجانب الشرقي تقع في الجنوب جزر النبي صالح المستديرة والأصغر حجماً والتي تغطيها بساتين النخيل وجزيرة سيترا Sitra الأكبر حجماً والتي لا يفصلها عن الجزيرة الرئيسية إلا قناة ضيقة فوقها جسر يربط بين الجزيرتين. وعلى بعد من الركن الشمالي الغربي للجزيرة الرئيسية توجد ثلاث جزر تستحق الذكر هي جزائر : أم السبعان ، وهي جزيرة صغيرة من الرمال والشعاب المرجانية وقد أهداها الشيخ حمد والد الحكام الحالي منذ حوالي عشرين عاماً إلى المستر ماكس ثورنبورج الذي كان في ذلك الوقت نائب رئيس شركة نفط البحرين. وقد حفر المستر ثورنبورج بئراً وزرع حديقة وبنى منزلاً على الجزيرة، وكان من عادته أن يقيم هناك مع زوجته بضعة أشهر عند برودة الجو، ونتيجة لذلك فإن الجزيرة تعرف بالإنجليزية باسم جزيرة ثورنبورج. وقد توقف اليوم عن استخدام المنزل وأعاد الجزيرة إلى الحاكم. ويلي هذه الجزيرة جزيرة جدة، وهي جزيرة بها منحدرات صخرية منخفضة على طول شاطئها، وتحتجز فيها حكومة البحرين مسجونيها. وتقع جنوب هذه الجزيرة جزيرة أم النعسان الأكبر حجماً منها بكثير، وهي ملك خاص للحاكم وتعرف بالإنجليزية باسم جزيرة الشيخ، وهي مثلثة الشكل وأطوالها تقريباً

أربعة أميال فى ميلين ونصف الميل، وبها بضعة بساتين نخيل فى طرفها الجنوبى، أما بقيتها فصحراء رملية منبسطة لا يقطع من رتابتها إلا تلان بارزان. وهناك عدد آخر من الجزر الصغيرة، معظمها على الجانب الشرقى من الجزيرة الرئيسية، منها جزيرتان أو ثلاث مأهولة بالسكان لكن بقيتها ليس أكثر من صخور أو شواطئ رملية. وحتى تلك الجزر أصبح لها اليوم قيمتها بسبب احتمال أن يكون بها نفط. وقد ذكرت سابقًا أن البحرين ليس لها حدود يمكن أن تكون موضع نزاع، لكن نقطة الضعف سببها عدد من الجزر البعيدة والمياه الضحلة التى كانت - أو ماتزال - موضع نزاع مع المملكة العربية السعودية وقطر، رغم أن أحداً لم يكن يوليها اهتمامًا منذ جيل مضى. وقد سوت الحكومة البريطانية فى عام ١٩٣٨ نزاعًا مع قطر حول جزر حاوار **Hawar** التى تقع على مبعدة من الشاطئ الشمالى الغربى لشبه جزيرة قطر، وكانت التسوية لصالح البحرين. ويحتفظ حكام البحرين حاليًا بقوة شرطة صغيرة على إحدى هذه الجزر، وعلى أية حال فلم يتم اكتشاف نفط فيها ولا أهمية لها إلا باعتبارها مأوى لطائر الفلامنجو أو البشاروش (١) .

وأهم معالم البحرين البارزة طريقة حصولها على المياه. ففى الجزء الشمالى من الجزيرة الرئيسية، وفى كل الجزر التى سبقت الإشارة إليها توجد ينابيع أو آبار ارتوازية تروى البساتين وتمد الأهالى بمياه الشرب. والمياه قليلة الملوحة وليست سائغة بالنسبة لمن لم يتعود عليها، لكن يمكن شربها باطمئنان إذا لم تكن قد تلوثت. كما توجد ينابيع مياه عذبة تحت البحر بجوار مجموعة الجزر وشمالها. ويملأ الغواصون قربهم من تلك الينابيع عندما يكونون فى البحر. ويحصل بعض أهالى جزيرة محرق على مياههم للشرب من نبع ينكشف عند انحسار المد. ومصدر هذه المياه - التى توجد أيضًا فى الطائف والدمام وأماكن أخرى قريبة من ساحل المملكة العربية السعودية - موضع خلاف. فالرأى الجغرافى التقليدى يرى أنها مستمدة من مياه الأمطار الشحيحة التى تسقط على تلال أواسط الجزيرة العربية، لكن هناك من يرى أنها تتسرب تحت الخليج من الجبال الإيرانية. وهى لا تتغير بتغير الفصول لكنها تتأثر بالمد والجزر. وقد انخفض منسوبها فى السنوات الأخيرة بسبب مد أنابيب المياه منها إلى البيوت.

(١) طائر طويل العنق والساقين . (المورد)

ولهذا فإنه يجب استخدام المضخات الآن فى بعض الآبار التى كانت تتدفق منها المياه بسهولة سابقًا. واسم البحرين - ومعناه مياهان (مثنى مياه) - ينسبه العامة إلى كل هذه المياه العذبة وسط البحر المحيط بها. كما أنه كان يطلق أصلاً على أجزاء من الأرض الرئيسية بالجزيرة العربية وعلى قطر، لكن التسمية أصبحت مقصورة منذ سنوات على مجموعة الجزر.

وتُستخدم المياه لرى بساتين النخيل التى تغطى الطرف الشمالى للجزيرة الرئيسية وكل الجزر الصغيرة أو أكثرها ، وتثير المتعة فى عيون هؤلاء القادمين من المشيخات الأخرى والمملكة العربية السعودية. وهناك عدد من الينابيع الطبيعية تفيض من آبار على شكل عيون جميلة محاطة بأشجار النخيل وأشجار الدفلى [١]. وأشهر هذه العيون عين العذارى على ارتفاع ثلاثين قدمًا ذات ماء بلّورى وقاع مشوب بالزرقة بسبب محتوياتها الكبريتية، ودرجة حرارتها ثابتة بحيث تكون باردة بالنسبة للصيف دافئة بالنسبة للشتاء. وقد شيدت حكومة البحرين مدرجات ومقصورات حولها ذات شهرة كبيرة كمكان للسياحة، وفيها تمارس المدارس المحلية ألعابًا رياضية مائية. وتروى الوثائق أن بحارة الأسطول الملكى فى بداية القرن كانوا يذهبون فى نزهات إليها على ظهر الحمير البيضاء التى تشتهر بها البحرين. كذلك فإن هناك عينًا شهيرة أخرى تقع فى الجزيرة الرئيسية هى عين القصرى Qasri والمعروفة بالإنجليزية باسم عين بيلجريف، وترجع هذه التسمية إلى أن المستشار السابق لحكام البحرين بنى بجوارها منزلاً صيفيا. كذلك هناك عيون طبيعية فى جزيرتى سيترا والنبى صالح. وتُزرع حول بساتين النخيل نباتات يُصنع منها العلف للماشية والحمير، كما تزرع مختلف أنواع الخضراوات. ويمكن زراعة معظم الخضراوات الأوروبية شتاء ماعدا البازلاء والفول. ومن العجيب أن الكرفس ينمو فى مكان لا صقيع فيه، وتوجد أنواع برية منه فى البساتين. أما فى الجو الحار فلا يوجد إلا الباذنجان والبامية والقرع العسلى. وهناك أنواع مختلفة من التمور أفضل ما تؤكل فى الصحراء عندما تكون فى مرحلة الرطب. وتُقطف تباشير البلح فى أوائل شهر يوليو، ويتم جنى المحصول بنهاية شهر أكتوبر. والفافاى هو الفاكهة الوحيدة الأخرى المقبولة الطعم، وهى متاحة معظم العام. وهناك فواكه

(١) نبات سام زهوره عطرة . (المورد)

أخرى تُزرع لكن أصنافها رديئة. من المرجح أن يكون ذلك بسبب ما يشوب المياه من ملوحة. وتُزرع كمية لا بأس بها من البطيخ الأحمر، لكن الشمام المحلي لا نكهة فيه.

والجزء الأكبر من الجزيرة الرئيسية صحراوى، وينتهى طرفها الجنوبى بلسان فى البحرين. ويحيط بكل جانب من الجزء الأوسط من الجزيرة خندق أشبه بحفرة مهولة حيث يوجد انحدار مفاجئ يصل إلى مائة قدم فى بعض الأماكن، ثم تعود الأرض لترتفع على شكل قبة حتى تصل إلى ٤٥٠ قدماً عند جبل الدخان مركز الجزيرة تماما. وفى هذه المنطقة تم العثور على النفط. والتلال جرداء وعرة، لكن رغم أنها تبدو قاحلة من بعيد إلا أنه توجد فوقها بعض النباتات الشحيحة تقيم أود قليل من الغزلان. وتزدهر بعد سقوط الأمطار قليل من الزهور، كما ينمو نبات الحنظل فى المنخفضات ليكسو الأرض عند نضج ثماره المرة التى يبدو شكلها كالتفاح الأصفر، لكنها عندما تؤكل تسبب إسهالاً شديداً. ومن المعالم الشهيرة لمنظر النصف الشمالى للجزيرة خارج منطقة بساتين النخيل آلاف المقابر المقامة على الهضاب، وهى هضاب معظمها صغير لكن يبلغ ارتفاع بعضها بالقرب من عوالى خمسين أو ستين قدماً. وقد قام بفحصها الخبراء من حين لآخر ما بين عامى ١٨٧٨ و ١٩٤٠ فوجدوا عظاماً بشرية وأشياء قليلة ذات قيمة بما فى ذلك أدوات للزينة مصنوعة من العاج لكنها نُهبت كلها منذ زمن بعيد. وهناك نظرية ترى أن تاريخها يرجع إلى عام ١٣٠٠ قبل الميلاد أو قبل ذلك التاريخ، وأن الجزيرة كانت مخصصة فى وقت من الأوقات كمقبرة. ومن هنا يبدو أن العاصمة المنامة – التى تعنى مكان النوم – قد استخدمت اسمها. وبين عامى ١٩٥٣ و ١٩٥٧ قامت بعثة دانمركية بمزيد من الاستكشافات المكثفة، واكتشفت ثلاثة معابد ومدينة كبيرة وعدة قرى يرجع أقدم بقاياها إلى الألف الثالثة قبل الميلاد. وقد انتهت هذه الدراسات إلى أن البحرين كانت مركزاً تجاريا ناجحا منذ خمسة آلاف عام مضت بين حضارتى أور [(١)] ووادى نهر الهند. ويكاد يكون من المؤكد الآن أنها ديلمون التى وردت فى الأساطير [(٢)].

(١) بالعراق حالياً. (المترجم)

(٢) توجد مقالات حول هذه الهضاب قامت بنشرها هيئة المسح الأثرى بالهند (١٩٠٠-١٩٠٨)، والمدرسة البريطانية للآثار بمصر (١٩٢٩) ومجلة آسيا والأمريكتين (١٩٤٣). وفيما يتصل بالبعثة الدانمركية فقد نشرت عنها مجلة أخبار لندن المصورة (٤ و ١١ يناير ١٩٥٨). (المترجم)

وفى إحصاء تم إجراؤه عام ١٩٥٠ بلغ عدد سكان البحرين ١٠٩٦٥٠ نسمة منهم ٩١١٧٩ بحرينى ، والباقون أجانب منهم حوالى سبعة آلاف إيرانى، وأكثر من ثلاثة آلاف مهاجر من شبه القارة الهندية، وأكثر من ألفى أوروبى وأمريكى، ومعظم هؤلاء من البريطانيين. ومن بين البحرينيين بضعة آلاف إيرانى أصبحوا من مواطنى البحرين، أما الباقون فيكونون الأسرة المالكة وخليطًا من العرب السنة والعبيد الذين أعتقوا والبحارنة والشيعة (*) . ويوصف البحرينيون بأنهم عرب لا نسب لهم ويتحدثون العربية، وكانوا سكان البحرين الأصليين ويوجدون أيضًا فى الطائف وقطر وغيرها. وهم فى البحرين يزرعون بساتين النخيل كمستأجرين لها من الشيوخ وغيرهم حيث إنه لا يقوم بهذا العمل أى عربى محلى أصيل النسب، كما أنهم يعملون بالتجارة فى المنامة ومنهم بضعة تجار أثرياء. وقد كانوا ملاك الأرض الأصليين لكنها نُزعت منهم منذ أجيال عديدة مضت. وقد فُرضت مؤخرًا خطة لبيع جزء من الأرض وردها لهم بأسعار منخفضة للغاية، ويقال إن هذه الخطة حققت نجاحًا جيدًا. وهم قوم هادئون مسالمون وعادة لا يتسببون فى إثارة الاضطرابات، لكن بتزايد أعداد السنة والشيعة فى البحرين تزايدًا متوازنًا تثور اضطرابات عداء دينى من حين لآخر، وتُعتبر فترة الحداد على استشهاد الحسين التى تقع فى بداية شهر محرم فترة خطرة بوجه خاص.

والمركزان الرئيسيان للسكان هما مدينتا المنامة (حوالى أربعين ألف نسمة) ومحرق (حوالى عشرين ألفًا). والمنامة هى المركز التجارى. ويقيم بها ويعمل معظم الأجانب: الإيرانيون والهنود والباكستانيون والسعوديون وبضعة مئات من الأوروبيين والأمريكان، وبها تقع مكاتب حكومة البحرين ومقر الوكيل السياسى البريطانى، وتقع القاعدة البحرية خارجها على بعد حوالى ثلاثة أميال. وبالمدينة سوق كبير بها كثير من المحلات التجارية تلبى حاجة الأوروبيين والأمريكان الذين يستطيعون الحصول على حاجياتهم العادية منها بأسعار مناسبة حيث إن الرسوم الجمركية منخفضة نسبيا. وبعيدًا عن الشوارع الرئيسية توجد متاهة من الأزقة قد وضعت على جانبيها دكاكين صغيرة مفتوحة معروض فيها بضائع وفيرة. وتوجد محلات الأقمشة فى أحد الأزقة،

(*) البحارنة مفردها بحرانى للتميز بينه وبين البحرينى . (المترجم)

بينما محلات البهار فى زقاق آخر ، وهكذا. لكن هناك محلات تبيع كل شيء تقريبًا وأسعارها أقل قليلاً أحيانًا من أسعار المحلات الموجودة بالطرق الرئيسية. وسوق محرق ذات طابع عربى أكثر، وهى بالمقارنة بسوق المنامة قذرة وغير منظمة - إلى حد ما - وفيها مجال أكبر لعقد الصفقات للبضائع الغريبة التى تجذب الانتباه، ويوجد بها أجانب أقل. بساتين النخل يسكن معظمها البحارنة، كما توجد بضع قرى على طول ساحل البحر حيث يعيش صيادو السمك وغواصو اللؤلؤ العرب. ويقيم معظم الأوروبيين والأمريكان فى معسكر شركة النفط فى "عوالى" قريبًا من وسط الجزيرة الرئيسية.

وآل خليفة هم الأسرة المالكة، وتنتسب قبليا إلى الأسر الحاكمة فى المملكة العربية السعودية والكويت. والحاكم الحالى - سمو الشيخ السيد سلمان بن حمد - ولد عام ١٨٩٤ وخلف والده عام ١٩٤٢، ويقيم فى قصره فى رفاعة على الطريق بين المنامة وعوالى، لكن لسموه مكتبًا بالمنامة حيث يحتفظ بدفتر للتشريفات، ولديه ثلاثة أبناء أكبرهم عيسى وقد نودى به وريثًا للعرش عام ١٩٥٨، كما أن له سبعة إخوة. ويقيم عمّه الشيخ محمد وعمه الشيخ عبد الله فى محرق التى كانت مركز الأسرة. وهناك الكثيرون من أفراد الأسرة الآخرين يقيم معظمهم فى محرق ورفاعة والمنامة.

ونظام الحكم مطلق، وكلمة الحكام قانون . وكان يقوم بمعاونته ومعاونة أبيه مستشار بريطانى من عام ١٩٢٦ إلى ١٩٥٧ هو سير شالرز بيلجريف، وبمعاونته تم تطوير نظام إدارى مستقر . ومنظم ، وقد شُكّل مؤخرًا مجلس إدارى يتكون معظمه من أفراد الأسرة الحاكمة ، لرأيه وزن كبير فى توجيه الأمور. ويوجد سكرتير بريطانى للحكومة مهمته التنسيق أساسًا. وهناك دوائر حكومية كثيرة يديرها أو يشرف عليها عرب أو بريطانيون. ويرأس البريطانيون دوائر الجمارك والصحة والهندسة والأشغال العامة والنقل والزراعة. وتقوم بحفظ القانون والنظام قوة شرطة مدربة تدريبًا جيدًا تتكون من حوالى ٣٠٠ فرد تحت قيادة ضباط بريطانيين، كما أن المرور تحت قيادة ضابط شرطة بريطانى يحصل منه الأشخاص الراغبون فى قيادة السيارات بالبحرين على ترخيص بالقيادة. وتقوم بالأعمال القضائية محاكم ابتدائية وأخرى عليا يرأسها أعضاء من الأسرة المالكة، ويشارك الحاكم نفسه أحيانًا فى الاستماع إلى رفع الدعاوى. ويعاونه مستشار قضائى بريطانى فى الشئون القضائية. ووضع مشروعات

القوانين لكنه لا يعمل هو نفسه قاضياً. وتحال القضايا التجارية إلى لجنة من التجار. والقضايا التى بها جوانب تتصل بالشريعة تنظر فيها محاكم يرأسها القضاة الشرعيون. وتقوم محكمة الوكيل السياسى بالنظر فى قضايا الأمريكان والأوروبيين ورعايا الكومونولث البريطانى، بينما تنظر محكمة مختلطة يرأسها الحاكم والوكيل السياسى أو ممثلوهما فى القضايا المدنية التى يشترك فيها أشخاص ممن يخضعون قضائيًا للوكيل السياسى. وتشرف لجان منتخبة على الشئون البلدية للمنامة ومحرق وبعض القرى الكبيرة. ويبلغ دخل الدولة السنوى حوالى ٤,٧٥٠,٠٠٠ جنيه إسترلينى منها حوالى ٣,٥٠٠,٠٠٠ جنيه إسترلينى من النفط، ومعظم الباقى من الجمارك. والرسوم الجمركية منخفضة: ١٥٪ على الخمور والتبغ، و١٠٪ على معظم الأشياء الأخرى. والدولة قادرة على الوفاء بجميع ديونها، ولديها احتياطى دائم يُستثمر فى المملكة المتحدة والهند. ويصدر تقرير إدارى سنوى ممتاز باللغة الإنجليزية. وبالرغم من أن الإدارة على مستوى عال من الكفاءة إلا أن هناك عناصر معينة من السكان – معظمهم من أصل إيرانى – بدأت فى عام ١٩٥٤ بإثارة المطالبة بمزيد من المشاركة الشعبية فى الحكومة. وقد بلغ التحريض على الإضرابات والفوضى ذروته عندما اندلعت اضطرابات على نطاق واسع أثناء أزمة السويس عام ١٩٥٦ [١] . وتم القبض على خمسة محرضين ونفيهم. ومنذ ذلك الوقت لم تقع اضطرابات خطيرة.

وشركة النفط الوحيدة التى تعمل فى البحرين هى شركة نفط البحرين، وحقوق امتيازها تغطى معًا البر والمناطق الداخلة فى البحر. وملكيتها مناصفة بين شركتى كاليفورنيا ستاندارد أويل وتكساس أويل [٢] . لكنها مسجلة فى كندا، وتُعتبر شركة بريطانية. وهى تستخدم حوالى ١٢٠٠ موظف غربى وأكثر من ٦٠٠٠ بحرينى وحوالى ٧٠٠ هندى وباكستانى. ويشغل الأمريكان معظم الوظائف العليا، لكن معظم الموظفين الغربيين هم بريطانيون. وقد اكتُشف النفط عام ١٩٣٢، وتم تصديره لأول مرة عام ١٩٣٤ .

(١) يوجد تقرير شيق عن هذه الاضطرابات فى كتاب الفقاعة الذهبية لرودريك أوين كولينز.

The Golden Bubble by Roderic Owen Collins, 1957. (المترجم)

(٢) Standard Oil Company of California and the Texas Oil Company (المترجم)

ويقع حقل النفط وسط الجزيرة الرئيسية، وهو حقل صغير نسبيا ينتج حوالى ثلاثين ألف برميل يوميا من النفط الخام. وعوالى هى المنطقة السكنية الرئيسية للشركة وتقع فى الطرف الشمالى لحقل النفط. وقد أقامت الشركة شرقًا بالقرب من الساحل - قبل الحرب العالمية الأخيرة - مصفاة من أكبر مصافى النفط خارج الولايات المتحدة الأمريكية، تستطيع تكرير مائتى ألف برميل من النفط الخام يوميا. وسدس هذه الكمية تأتى من الآبار المحلية، والباقى يأتى فى أنابيب تحت البحرين من المملكة العربية السعودية. ويتم ضخ إنتاج المصفاة فى خزانات بجزيرة سيترا التى يفصلها خليج صغير عن الجزيرة الرئيسية، ومن هناك - وعبر طريق يمتد حوالى ثلاثة أميال - يُشحن من أحد الموانئ فى ناقلات النفط.

وقد بدأت البحرين تطورها تدريجيا عندما بدأ عائد النفط يتراكم. وتقدمت بعد الحرب الأخيرة تقدمًا سريعًا، فأقيمت مبان كثيرة حديثة لأغراض خاصة وعامة، وتحسنت الطرق كثيراً، وتم تزويد المنامة بشبكة مياه. ويتم توليد الكهرباء بالغاز الطبيعى الذى يُضخ من حقل النفط إلى محطة كهرباء أُنشئت حديثًا فى المنامة، ويتم توزيعها عن طريق كوابل الضغط العالى المعلقة إلى معظم القرى الكبرى.

وقد خطا التعليم خطوات سريعة، وتفخر المنامة بمدرسة ثانوية كبيرة جديدة ملحق بها داخلية ومدرسة فنية. وتوجد مدارس ابتدائية فى المدن والقرى الكبيرة. والإقبال على التعليم الابتدائى كبير، ويتم توسيع المدارس الموجودة، كما تقام مدارس جديدة. ومدير التعليم بحرينى لكن هناك نقصًا فى المدرسين المحليين، ويعين عدد من المصريين واللبنانيين والفلسطينيين. وقد وفرت شركة نفط البحرين مدرسًا لتدريس اللغة الإنجليزية. وتوجد عدة مدارس للبنات، ومعرض أشغال الإبرة التى تقيمه تلك المدارس يُعتبر حدثًا من الأحداث السنوية. كذلك يوجد مستشفى حكومى جميل، وتستخدم حكومة البحرين عدداً من الأطباء البريطانيين من بينهم طبيبة، وكذلك ممرضات بريطانيات، كما تستخدم أطباء وممرضات هنوداً. ويدرس الطب الآن فى الخارج سبعة بحرينيين. وتعمل فرق مكافحة الملاريا بصفة مستمرة. ومن أفضل الإنجازات التى حققتها حكومة البحرين فى مجال الصحة العامة هى القضاء الفعلى على الملاريا فى المناطق الأكثر ازدحامًا بالسكان وتقضى الفرق على الذباب والبعوض، وتحافظ

البلديات على نظافة المدن نظافة ملحوظة. ونتيجة لذلك فإن البحرين مكان صحى - بوجه عام - رغم انتشار السل بين السكان المحليين. وبالإضافة إلى المستشفيات الحكومية يوجد فى المنامة مستشفى مشهور جدا تابع لإرسالية الكنيسة الإصلاحية الهولندية فى أمريكا.

وتشرف حكومة البحرين على مزرعة تجريبية فى بوضيا Budaiya على الساحل الغربى للجزيرة الرئيسية حيث تتم تجربة زراعة محاصيل وأشجار فواكه مختلفة لكن دون الوصول إلى نتائج مهمة حتى الآن. وما يزال البلح هو السلعة الرئيسية لجزر البحرين لكنه لا يُصدر، والمحصول لا يفى إلا بحاجة السكان المحليين لمدة ثمانية أشهر أو تسعة، وعليهم أن يستوردوا من البصرة ما يحتاجون إليه من الأشهر الباقة. وهناك اقتراحات بالحصول على المياه لتوسيع رقعة الأرض التى بها بساتين النخيل وذلك بضخها من الينابيع الموجودة تحت البحر. وهناك المزيد من الأراضى الصالحة لذلك، لكن هناك نقصًا فى الأيدى العاملة. ويفضل كثير من العاملين بالزراعة العمل بشركات النفط. وتدرك حكومة البحرين جيداً خطورة انخفاض مستوى المياه، لذلك منعت حفر آبار جديدة دون ترخيص منها، ولديها هيئة استشارية للمياه.

وبالإضافة إلى البلح والخضراوات فإن السمك هو المادة الغذائية الوحيدة الأخرى التى تنتجها البحرين. ومن أهم المعالم المميزة للجزيرة عند رؤيتها من الجو فخاخ السمك على شكل رقم ٧ على شواطئها. وتواجه فتحات هذه الفخاخ الشاطئ ، وعند انحسار المد يدخل السمك فيها. والسمك الذى يصاد بهذه الطريقة وبغيرها من الطرق لم يعد مؤخراً يكفى حاجة السكان المحليين، ويتم تعويض النقص باستخدام فخاخ على هيئة سلال كبيرة فى المياه العميقة بعيداً فى البحر. وقد يأتى الوقت الذى يصبح فيه من الضرورى استيراد الأسماك بسفن فى ثلاجات من مياه أكثر إنتاجًا فى خليج عمان. ويمكن شراء أصناف ممتازة من الأسماك من السوق على مدار العام لتقديمها على المائدة، إلا عندما تكون الأحوال الجوية سيئة.

ولا يوجد فى الواقع أغنام ولا ماعز فى جزر البحرين. ويتم استيراد الماشية حية من أماكن أخرى بالخليج، ويحتفظون بأعداد قليلة منها فى البساتين للحصول -

أساسا – على ألبانها. ويربى الحاكم والشيوخ وبعض أثرياء التجار الخيل للسباق وللحصول على سلالتها، والقليلون منهم يمتطونها بأنفسهم. ويمتلك الحاكم قطيعًا من الجمال لكنها لا تُستخدم فى الانتقال. والحمير فى كل مكان، وقد سبقت الإشارة إلى سلالتها الضخمة البيضاء التى تشتهر بها البحرين.

وفى العقد الأول من هذا القرن أصبحت البحرين مركزًا للتجارة مع شبه الجزيرة العربية وبعض الدول المحيطة بها ، وذلك بفضل انتشار الأمن فى ربوعها. وانخفاض رسوم الترانزيت. ولكن نتيجة لظهور موانئ جديدة فى المملكة العربية السعودية وغيرها فقد تراجعت بعض الشيء مؤخراً أهميتها التجارية لكنها منا تزال مركزًا تجاريا مهمًا، ويستخدمها التجار مكانًا لتخزين بضائعهم لتصديرها إلى أماكن أخرى طبقًا لما تسمح به الظروف. ويعمل بالبحرين عدد من الشركات البريطانية والأجنبية الأخرى، لكن من الطبيعى أن يهتم الحاكم بتنمية مصالح شعبه ولا يميل إلى السماح بإنشاء مزيد من الشركات الأجنبية إلا بمشاركة البحرينيين فيها. ولا يوجد حاليًا قانون محلى للشركات، لكن حكومة البحرين تقوم بإعداده.

والمنامة هى ميناء البحرين الرئيسى، ويقع به مكتب الجمارك، كما أن به فرضة أو ميناء لكن لا ترسو عليها إلا السفن الصغيرة. وعلى السفن عابرة المحيطات أن ترسو على بعد عدة أميال خارج الميناء وتفرغ شحنتها فى الصنادل، وترسو عليه أسبوعيا بواخر بريد شركة الهند البريطانية للملاحة التجارية، وتستخدم مرسى سيترا كثير من سفن الشحن المحملة بالبضائع للمنامة، حيث يتم تفريغها فى مراكب شراعية تسحبها القاطرات إلى المنامة مارة بجزيرة محرق. وتقوم حكومة البحرين بوضع مشروع لإقامة رصيف للسفن العابرة للمحيطات عند جوفير على الركن الشمالى الشرقى من الجزيرة الرئيسية. ومن المتوقع إتمام هذا المشروع عام ١٩٦٠، وإذا ثبت نجاحه فإنه سيعمل على تيسير نزول الركاب والبضائع على البر تيسيراً كبيراً. وفى الوقت الحاضر يتسبب الجو السيئ فى حدوث إعطالات خطيرة، وإذا كان هناك راكب على عجلة من أمره فعليه إما أن يتسلق حبلاً مصنوعًا على هيئة سلم للهبوط به أو أن يوضع فى سلة. وقد حدث ذات مرة أن دُليت أنا وأسرتى بالطريقة الأخيرة، وكانت تجربة غير ظريفة، وكان حاكم الكويت الحالى على السفينة فى ذلك الوقت واعتبرها دعابة كبيرة. وأسهل الطرق

للوصول إلى البحرين هو طريق الجو لمن يقدرون على تحمل نفقاته أو يجدون من يوفرونها لهم. وتقوم طائرات ركاب شركة الخطوط الجوية البريطانية لما وراء البحار التى تعمل بين المملكة المتحدة والشرق بعدة رحلات أسبوعيًا. كما تقوم الخطوط الجوية العراقية برحلات مستمرة للكويت والبصرة وبغداد، وهناك رحلة أسبوعيا تقوم بها الخطوط الجوية العدنية بين عدن والبحرين. وكذلك هناك شركة محلية هى شركة طيران الخليج تربط البحرين بالمملكة العربية السعودية وقطر والساحل المتصالح ومسقط. وهذه الشركة مدينة لوجودها إلى مبادرة من السيد فريدريك بوزورث الذى لقى مصرعه لسوء الحظ فى حادث طائرة بإنجلترا بينما كان مشروعه التجارى فى حيز التنفيذ. وقد حصلت شركة الخطوط الجوية البريطانية لما وراء البحار على نصيبها فى المشروع بينما حصلت حكومة البحرين والتجار المحليون على بقية الأسهم.

وتصل كثير من الواردات الآن جوا لاسيما الفواكه الطازجة من لبنان وسوريا وغيرها، والمطار الموجود بجزيرة محرق مطار كبير ويستخدمه سلاح الطيران الملكى الذى يحتفظ بكتيبة بجواره، كما تستخدمه الطائرات المدنية. ويشرف على المطار ضابط منتدب من وزارة الطيران والنقل المدنى فى لندن، كما أن شركة إيراديو الدولية المحدودة مسئولة عن الاتصال بالطائرات الهابطة والمغادرة والمحلقة فوقه.

وهناك مثل إيرانى يقول : إن المطهر (*) يُعتبر جحيمًا بالنسبة للذين فى الجنة، بينما يعتبر جنة بالنسبة لهؤلاء الذين فى الجحيم. فالبحرين لا تستطيع منافسة الأماكن الشهيرة بجمالها فى أوروبا وآسيا، لكن ينابيعها وبساتينها وإدارتها المنظمة تُعتبر جنة عدن إذا قورنت بأماكن أخرى تقع على ساحل الخليج. وهى مركز تجارى ممتاز، كما أنها مكان جيد للاستحمام فى البحر إذا لم يكن الجو شديد الحرارة. ويمكن ممارسة لعبتى التنس والجولف، كما أن بها ناديًا للمراكب الشراعية. وتعرض شركة نفط البحرين أفلامًا أمريكية وبريطانية، كما أن هناك عدداً من دور السينما فى المنامة تعرض معظمها أفلامًا شرقية. والجو ليس مرهقًا لفترة ثلاثة أشهر أو أربعة، ويمكن

(*) المطهر مرحلة بين الجحيم والفردوس فى بعض العقائد . وتنقسم الكوميديا الإلهية للشاعر الإيطالى دانتى إلى ثلاثة أناشيد : الجحيم فالمطهر فالفردوس . (المترجم)

احتماله إذا كان استخدام التكييف الجوى متاحاً. ويتردد العاملون بشركات النفط على البحرين أكثر مما يترددون على غيرها من الأماكن الأخرى فى الخليج وذلك بهدف التسويق وتغيير الهواء. وللأسف فليس بها فندق يدار على النمط الغربى. وتمتلك شركة الخطوط الجوية البريطانية استراحة يمكن الإقامة بها لفترات قصيرة، وهناك فندق شرقى فى المنامة يمكن للغربيين الإقامة فيه.

الفصل التاسع

الكويت

الكويت معناها "القلعة الصغيرة" وقد أسسها فى عام ١٧١٦ أسلاف الأسرة الحاكمة الحالية الذين هاجروا إليها من أواسط الجزيرة العربية. وقد ظلت لسنوات طويلة مجرد قرية صغيرة لصيد الأسماك، لكنها تطورت تدريجيا ؛ لتصبح عاصمة إمارة صغيرة وسوقًا للقبائل المحيطة بها ومركزًا لبناء السفن. ولم تنتج النفط بكميات هائلة إلا فى العقد الماضى فقط (١)، وأصبحت مدينة مزدهرة .

والمشيخة بوضعها الحالى لها شكل المعّين (٢)، يقتطع خليج الكويت جزءًا كبيرًا منه فى الوسط. وكل جانب من الجانبين يبلغ طوله حوالى تسعين ميلاً. ويحدّها البحر شرقًا، والعراق شمالاً وغربيًا، والمملكة العربية السعودية والمنطقة المحايدة جنوبيًا. وقد تم تحديد الحدود مع العراق فى اتفاقية مع تركيا عام ١٩١٣ لم يتم التصديق عليها قط، لكن العراق وافق على هذا التحديد عندما نال استقلاله عام ١٩٣٢، وتم تحديد الحدود الجنوبية فى معاهدة أوجير التى أجرى مفاوضاتها سير بيرسى كوكس مع الملك الراحل ابن سعود عام ١٩٢٥ . وحين اتضح أنه من المستحيل أن يصل الطرفان إلى اتفاق تام فقد أضيفت فقرة فى هذه المعاهدة تنص على وجود منطقة محايدة تمتد حوالى ٤٥ ميلاً على طول الساحل جنوبى الكويت كما تمتد مسافة تقاربها فى الداخل. ولكل من ملك السعودية وحاكم الكويت حقوق متساوية فى تلك المنطقة. ورغم أن كل

(١) الأربعينيات من القرن العشرين . (المترجم)

(٢) شكل نو أربعة أضلاع متساوية له زاويتان منفرجتان ، وأخريان حادتان .

حدود الكويت والمنطقة المحايدة قد تم تحديدها إلا أنه لم توضع علامات على أى منهما حتى الآن. وتضم المشيخة عدداً من الجزر غير المأهولة بالسكان فيما عدا جزيرة فيلكا. أما الجزر الأخرى فهى مسطحات طينية أو على الأكثر أكوامٌ رملية. ومطالبة الكويت بجزر صغيرة قليلة تقع على مبعدة من الشاطئ موضع نزاع مع دول أخرى.

وتكاد تكون الكويت كلها والمنطقة المحايدة صحراء لا ماء فيها. وهناك واحة صغيرة فى الجهة فى الطرف الغربى من خليج الكويت، كما أن هناك آباراً فى الجزر الساحلية فى الكويت نفسها. والصحراء متموجة حصباء بها تلال وسلاسل تلال قليلة منخفضة. وبخلاف بساتين النخيل فى الجهرة يندر وجود الأشجار اللهم إلا أشجار الطرفاء [١] فى مدينة الكويت وبعض القرى. وعلى أية حال فإن الصحراء يكسوها فى الربيع نبت ضئيل، وعندما يسقط مطر غزير تكتسى ببساط من الحشائش وتنتشى بالزهور الصغيرة المتعددة الألوان، وتصبح مساحات كبيرة بكاملها ذات لون بنفسجى مشوب بألوان قوس قزح ، وفى هذا الفصل من العام يضرب كثير من سكان المدينة خيامهم فى الصحراء ليستمتعوا بمرأى منظر يخالف ما ألفوه من رتابة، وربما بدافع من شوق عارم فطرى إلى الحياة البدوية التى كان يعيشها أسلافهم، وما تلبث الزهور أن تذوى تحت وطأة شمس مايو ، وتعود الرياح لتكسو كل شىء بالرمال وبحبيباته الخشنة القاسية.

ومياه الشرب هى مشكلة الكويت الكبيرة. فقد قامت شركة نفط الكويت بالبحث فى المنطقة كلها وشارك فى ذلك أيضاً أحد الباصرين [٢] . لكن المياه الوحيدة التى أمكن العثور عليها إما يشوبها الملح أو كبريتية لا يستطيع أن يشربها أشد البدو تحملاً، وذلك فيما عدا بضعة آبار بالقرب من المدينة. وقد كانت الكويت تحصل على إمداداتها من المياه على مدى أجيال كثيرة من شط العرب بالعراق تأتيها معبأة فى خزانات خشبية تحملها السفن الشراعية. وكانت المياه تباع للأهالى بسعر كذا للجالون، وكانت كمية المياه غير منتظمة، فرغم أن العراقيين لم يتدخلوا قط فى حركة

(١) شجر نحيل الأغصان . (المورد)

(٢) الباصر أى : البصير بمعرفة مواقع الماء تحت الأرض . (المترجم)

السفن إلا أن الجو السيئ فى بعض الأحيان كان يعطلها. وقد أمكن الآن بناء محطة تحلية للمياه فى الكويت بسبب ما نتج من ثروة عن النفط، ومن المعتقد أنها أكبر محطة مياه فى العالم، وهى تنتج الآن أكثر من أربعة ملايين جالون من المياه يوميا، وسيتم توسيعها قريباً لتنتج ستة ملايين، ومن ثم فإن هناك الآن مياهاً تكفى الجميع، وتزود بها الحكومة الناس بلا مقابل. وقبل إنشاء المحطة كان هناك من يعارض إقامتها على أساس أن المياه المحلاة ضارة بالصحة. على أى الأحوال فإنه يتم خلطها بنسبة قليلة من المياه المحلية ذات الملوحة البسيطة لتجعلها أكثر ملاءمة للاستهلاك الآدمى. وقد دار حديث لمدة سنوات حول جلب المياه من شط العرب أو من مكان آخر فى جنوب العراق عن طريق أنبوب أو قناة. وكان هناك مشروع بهذا المعنى موضع نظر فى وقت من الأوقات، لكن يبدو أنه أُغفل. ولو بُعث هذا المشروع ووُضع موضع التنفيذ، فربما أصبحت الكويت محاطة يوماً بالبساتين والمحاصيل.

وسكان الكويت أساسًا عرب، لكن هناك عدداً كبيراً من الإيرانيين فى مدينة الكويت وبعض الهنود والباكستانيين. وفى السنوات القليلة الماضية، ومع ما وقع من تطور حدث تدفق كبير من دول الشرق الأوسط الأخرى. وفى السوق يبدو الأهالى المحليون بدشداشاتهم العربية الطويلة قلة بين العراقيين واللبنانيين وغيرهم فى زيهم الأوروبى. ويقدر إجمالى عدد السكان الآن بـ ٢١٠ ألف فى مقابل مائة الف عام ١٩٤٦ . وبلغ عدد الأوروبيين والأمريكان ثلاثة آلاف، ومعظم الأوروبيين من البريطانين، وهم يتوزعون بالتساوى تقريبًا بين مدينة الكويت ومعسكرات شركة نفط الكويت. ويقع مقر الوكيل السياسى البريطانى فى المدينة، وله مكتب فرعى فى ميناء الأحمدى ميناء شركة النفط. ويعيش ثلاثة أرباع السكان الأصليين فى مدينة الكويت، وتتداخل الآن مجموعة ضخمة من المساكن والدكاكين المتواضعة مع المدارس والمكاتب والمبانى الأخرى الضخمة التى أقيمت مؤخراً، أو هى فى سبيل الإقامة . وكان هناك سور طويل يحيط بمدينة الكويت أقيم بعد الحرب العالمية الأولى بوقت قصير للدفاع ضد غارات قبائل الجزيرة العربية، لكنه أزيل عام ١٩٥٧ . وقبل التوسع الكبير فى أعمال البناء نتيجة الازدهار النفطى، كان للكويت مظهر منسق، وكانت تستمد جاذبيتها من كونها مدينة عربية صحراوية. وقد اختفت هذه الجاذبية اليوم وحلت محلها الفوضى والسديمية التى

يُرجى أن تنبثق منها يومًا ما مدينة عصرية جميلة. ويتغير سكان الصحراء بتغير المراعى. فعندما تكون المراعى جيدة يدخل رجال القبائل البدو من العراق والمملكة العربية السعودية أراضى الكويت بماشيتهم وجمالهم. ولا يوجد أهالٍ مستقرون فى المنطقة المحايدة، وحتى موظفو شركة النفط الأمريكية التى تعمل هناك يقيمون معظم الوقت فى سفينة ترسو بعيداً عن الشاطئ، وهى محاولة جديرة بالاهتمام، وربما الأولى من نوعها من جانب الشركة، أن تقتصر طلباتها على الحد الأدنى من طوب البناء والملاط فى البلد يملك حق الامتياز فيه.

وتتصل - قبليا - الأسرة الحاكمة المعروفة بأسرة آل الصباح بالأسرة الحاكمة فى المملكة السعودية والبحرين. وقد ولد الحاكم الحالى (*)، سمو السيد عبد الله السالم، حوالى عام ١٨٩٠، وخلف ابن عمه الشيخ أحمد الجابر عند وفاته فى يناير عام ١٩٥٠ . وهو يقيم فى الشعيبة على شاطئ البحر وعلى بعد بضعة أميال شرقى الكويت، ويؤدى عمله فى قصر دسمان فى المدينة. ومن أبرز أعضاء الأسرة الحاكمة عمه وأشقاؤه من أبيه. وأبناء سلفه الراحل. ونظام الحكم نظام بطريركى أو أبوى، ويتولى أعضاء الأسرة الحاكمة الوظائف العليا بالدولة، كل منهم يدير شئون الدائرة الموكولة إليه بأقل إشراف مالى أو سلطة مركزية أخرى. والواقع أن كل شيخ من هؤلاء الشيوخ له قانونه الخاص به، ويعتمد النظام الإدارى - كثيراً - على علاقاتهم بعضهم ببعض وعلى وجودهم أو غيابهم عن الدولة، أو رضاء الحاكم عن إدارتهم لأنشطتهم. وقد تم مؤخراً تشكيل مجلس أعلى من هؤلاء الشيوخ مما يدل على الاتجاه نحو مزيد من التنسيق فيما بينهم. ومن الصعب على الغربيين أن يدركوا السلطة التى يمتلكها قلة من الأفراد فى الكويت للتدخل تدخلاً اعتباطيا فى التفاصيل الإدارية اليومية. ويستخدم الحاكم عدداً من الخبراء البريطانيين كالأطباء والمهندسين، لكن الإدارة بمعناها الحقيقى فى سبيلها إلى التكوين. ولا يوجد تقرير إدارى أو ميزانية منشورة كما هو موجود فى البحرين.

(*) أى فى وقت تأليف الكتاب عام ١٩٥٩ . (المترجم)

وتوجد قوة شرطة بلدية يبلغ عدد أفرادها حوالى ألف تحافظ على القانون والنظام يعاونها فى ذلك الجيش الكويتى المؤلف من ألفين وخمسمائة فرد، وكلا القوتين تحت إشراف عم الحاكم الشيخ عبد الله مبارك الذى يرأس أيضًا دائرة الأمن العام. ويمتلك الجيش سيارات مصفحة ومدافع تطلق قذائف زنة كل منها ٢٥ رطلاً، ويحتفظ بخدمة اثنين من المعلمين البريطانيين. والمحاكم المحلية ما تزال تتولى القضاء على أسس بدائية – إلى حد ما – وعادة ما تصدر أحكامها طبقًا للشريعة الإسلامية. ورغم عقوباتها الأكثر صرامة إلا أنه لا يتم تطبيقها الآن. ويُصدر الحاكم من حين لآخر مراسيم تتعلق بموضوعات خاصة لكن ما تزال الحاجة إلى كثير من العمل إذا أريد للإدارة المحلية أن تكون بمنجاة من النقد. فعلى سبيل المثال لا توجد قوانين مرور معترف بها. ويخضع الأجانب – بخلاف مواطنى معظم الدول الإسلامية – للقضاء البريطانى.

وقبل ظهور النفط كانت عائدات الكويت ضئيلة جدا. معظمها من رسوم الجمارك أساسًا، وهى رسوم كانت منخفضة دائمًا. وكانت رفاهية الكويت تعتمد لسنوات طويلة على تهريب البضائع المستوردة إلى الدول المجاورة حيث الرسوم فيها مرتفعة. والدخل الناتج عن النفط الآن يتراوح ما بين ٢٥٠ و ٣٥٠ مليون جنيه إسترلينى، وهو رقم مذهل لمثل هذه الدولة الصغيرة، وما يزال من المرجح أن يزداد. والحاكم فى الكويت هو الدولة، والأمر متروك له لتوزيع هذا الدخل حسبما يراه الأفضل. وعمليًا فهو يخصص ثلث هذا المبلغ للإنفاق العام، وثلثه الثانى للتنمية، وثلثه الأخير للاستثمار. وبفضل كل هذه الأموال فقد أصبحت الكويت فى مقدمة الدول رفاهية، ففيها التعليم والعلاج الطبى ومياه الشرب مجانًا للجميع. وليس بها ضرائب داخلية، كما تم تخفيض الرسوم الجمركية إلى ٤٪ وأقيمت مدارس ضخمة بها صالات للطعام – حيث يتناول الطلبة طعامهم مجانا – وأحواض للسباحة وملاعب. وهناك مستشفى كان العمل قد بدأ فيها قبل طفرة النفط، وهى ليست مستشفى فخمة مثل بعض المبانى الأخرى، لكن تم تزويدها بأطباء ومعدات على أرقى مستوى. وقد سبقت الإشارة إلى محطة تحلية المياه. كذلك توجد محطة كبيرة لتوليد الكهرباء ومكاتب ومساكن وطرق تقام فى جميع أرجاء الكويت. وكان هناك مهندس بريطانى مسئول عن التخطيط الأصلى لهذه الأعمال طبقا لاحتياجات الكويت، وقد قامت الشركات البريطانية بإتمام الجزء الأكبر منها بالاشتراك

مع التجار الكويتيين. وفى بداية تدفق الثروة كان من الطبيعى أن يكون لدى الكويتيين أفكار عظيمة، وأن تكون بعض الخطط بعيدة الطموح. وقد هدأ إيقاع التطور فى السنوات الأخيرة.

والتجار عنصر مهم جدا فى المجتمع الكويتى. فهم تجار ماهرون، وكثيرون منهم أثرياء جداً. وكان بعضهم أساتذة سابقين فى فن التهريب. وهم يستوردون البضائع لا للاستهلاك المحلى فقط بل ولتصديرها إلى المملكة العربية السعودية والعراق وإيران، ونشاطهم لا ينقطع. وهم لا يتركون أموالهم أبداً بلا استثمار، لكنهم يشترون مزيداً ومزيداً من البضائع جرياً وراء الثروة، وينتج عن ذلك - أحياناً - تكدس البضائع ووقوع خسائر جسيمة. وقد كان من الطبيعى أن يوجهوا اهتمامهم فى السنوات الأخيرة للحصول على أكبر نصيب ممكن من عقود الإنشاءات الجديدة. وقبل ظهور النفط كان اقتصاد الكويت، بخلاف كونها مركزاً تجاريا، يعتمد على بناء السفن وصناعة اللؤلؤ - إلى حد كبير - ورغم أن صناعة اللؤلؤ كانت موجودة إلا أنها لم تكن لها أهمية فى يوم من الأيام كما كانت فى البحرين. وقد بدأت الكويت الآن فى إنشاء شركة ناقلاتها الخاصة بها، وتقوم اليابان ببناء ناقلة كبيرة لها، وسترفع العلم الكويتى ، ويقوم بإدارتها ضباط بريطانيون.

وقد حصلت شركة نفط الكويت على حق امتياز التنقيب عن النفط فى عام ١٩٣٤، وهى شركة بريطانية مسجلة فى بريطانيا وتمتلكها مناصفة شركة النفط البريطانية (شركة النفط الإنجليزية الإيرانية سابقًا) وشركة الخليج للاستكشافات الأمريكية Anglo - Iranian Oil Company and Gulf Exploration Company of the United States of America . ويغطى هذا الامتياز أراضى الكويت ومياهها ومعظم الجزائر التابعة لها. وقد تم تفجير النفط قبل الحرب العالمية الأولى، لكن العمل أوقف خلالها ولم يبدأ الإنتاج إلا عام ١٩٤٦ . وقد أصبح آخر يونيو من ذلك العام - الذى تم فيه تصدير أول شحنة - مناسبة للاحتفال بهذه الذكرى على نطاق عام. وقام الحاكم الراحل الشيخ السيد أحمد الجابر بفك صمام ليسمح للنفط بالتدفق إلى ناقلة كانت فى الانتظار، وتلا ذلك رقص قبَلى وإقامة أفراح وولائم. كما أقامت الشركة عرضاً ضخماً للألعاب النارية، وهو شىء جديد بالنسبة لسكان الجزيرة العربية، مما كان له تأثيره الكبير عليهم.

ويقع حقل النفط الرئيسى فى برجان Burgan على بعد ثلاثين ميلاً جنوبى الكويت. وقد أنتج فى عام ١٩٥٧ أكثر من مليون برميل يوميا، ومن المعتقد أن به احتياطيا ضخماً جدا. كذلك تم اكتشاف حقل آخر فى ماجوا Magwa عام ١٩٥٢ على بعد ١٥ ميلاً جنوبى الكويت، وحقلين آخرين شمالى خليج الكويت. وتستخدم الشركة ألف بريطانى وأمريكى وألفى كويتى وثلاثة آلاف من الأجانب الآخرين معظمهم من العرب والإيرانيين. ومقرها الرئيسى بالأحمدى، التى سميت بهذا الاسم نسبة إلى اسم الحاكم الراحل، وهى منطقة تقع فى الطرف الشمالى لحقل برجان، ويقع ميناؤها - ميناء الأحمدى - على شاطئ البحر على بعد خمسة أميال شرقًا، ومن المعتقد أن به أكبر رصيف للنفط فى العالم، وأنشئ فى عام ١٩٥٠ . وسيتسع لاستقبال ثمانى ناقلات. ومع ذلك فقد اكتُشف أنه غير كاف، ويقام الآن رصيف آخر لاستقبال خمس ناقلات إضافية على بعد أربعة أميال شمالاً. وهناك منطقة سكنية صغيرة على الشاطئ بميناء الأحمدى، ومصفاة تم توسيعها مؤخرًا وأصبحت طاقتها الآن ١٩٠,٠٠٠ برميل تكرره يوميا، كما توجد محطة كهرباء وأخرى لتحلية المياه تزود الشركة بكل ما تحتاج إليه من مياه للشرب.

وفى عام ١٩٤٨ عرض فى المزاد حاكم الكويت الراحل أنصبته فى حقوق النفط فى المنطقة المحايدة بين الكويت والمملكة العربية السعودية ورسا العطاء على شركة النفط الأمريكية المستقلة The American Independent Oil Company باعتبارها الشركة التى تقدمت بأعلى الأسعار. وحصلت شركة جيتى أويل كمبنى Getty Oil Company على حق امتياز نصيب المملكة العربية السعودية. وباتفاق بين الشركتين تقوم شركة النفط الأمريكية المستقلة بجميع العمليات فى الوقت الحالى ولها مقرها المحلى فى الكويت. وكما سبقت الإشارة فإن موظفيها يقيمون فى سفينة ترسو على شاطئ المنطقة المحايدة. وقد تم اكتشاف النفط عام ١٩٥٣ ، وفى عام ١٩٥٧ أنتج الحقل ثلاثة ملايين طن ونصف المليون تقريبًا. كذلك تملك شركة النفط الأمريكية المستقلة حق امتياز ثلاث جزر تتبع الكويت. وقد منحت كل من الكويت والمملكة العربية السعودية حق امتياز نفط المنطقة المحايدة الموجودة بالبحر لشركة النفط اليابانية العربية، ولم تمنح الكويت بعد حق امتياز نفطها الموجود فى البحر أمام شواطئها هى.

وبصناعة النفط تغيرت الحياة الاقتصادية تماماً فى الكويت، لكن الناس ما يزالون يحتفظون بزيهم العربى والتزامهم الصارم بتعاليم الإسلام وبأدبهم الجم وكرمهم الدائم. ومن الطبيعى حدوث ارتفاع كبير فى مستوى المعيشة لكن العلاقات بين الأسرة الحاكمة والتجار والشعب ظلت كما كانت من قبل. وقد عزز التأثير الغربى من الرفاهية المادية بالنسبة للجميع، لكنه لم يغير حتى الآن كثيراً من الأسلوب التقليدى للحياة. وكما هو الحال فى البحرين، فإن هناك إقبالاً كبيراً على أشكال التعليم الأولى، لكن الحماس قليل بالنسبة للمراحل الأعلى. وهناك طبيب كويتى واحد حصل على مؤهله للعمل فى تخصصه. والكويت دولة فى مدينة يعيش فيها خليط من السكان. وهناك تعاطف طبيعى بين السكان العرب والقومية العربية، وهناك تصميم عام على مقاومة السيطرة الشديدة أو الاستغلال الغربى. وفى عام ١٩٥٦ وقعت اضطرابات خطيرة خلال أزمة السويس، حين أشعلت النيران فى أحد الآبار. لكن الأسرة الحاكمة فى وضع قوى - بوجه عام - يسمح لها بالقضاء على كل الأنشطة التخريبية الخطرة ومقاومة المطالبة بإصلاح محلى جذرى. ولا شك فى أن مثل هذه المطالب ستصبح بمضى الزمن أكثر إلحاحاً، لكن بالنسبة للوقت الحالى فإن معظم السكان - بما فى ذلك عناصر كثيرة من دول الشرق الأوسط الأخرى - مشغولون جدا بجمع ثرواتهم بما لا يتيح لهم وقتاً للسياسة. وقد لقيت إقامة الجمهورية العربية المتحدة ترحيب بعض المثقفين، ولا شك فى أن جمال عبد الناصر بطل شعبى. وقد حاول النظام السابق فى العراق أن يدفع الكويت إلى أن يدخل فى اتحاد مع العراق والأردن. ويحتفظ النظام الحالى بعلاقات ودية مع الكويت، لكن لا يبدو أن الكويتيين فى الوقت الحاضر يجمعون على اقتسام ثروتهم، وهو ما يعنيه الاتحاد مع أية دولة عربية أخرى.

ومن الناحية الاجتماعية فقد ترتب على الازدهار ندرة خدم المنازل مما أدى إلى تفكك بعض البيوتات الكبيرة، وإقبال سيدات الأسر الثرية على حياة أكثر رفاهية بما فى ذلك السفر إلى أجواء أكثر برودة خلال الجو الحار.

وترسو البواخر العابرة للمحيطات فى خليج الكويت على بعد ميل أو ميلين من الشاطئ، ونظام الهبوط على البر بدائى - إلى حد ما - لكنه تحسن بسرعة. فهناك قناة يتم حفرها، كما حصلت شركة أمريكية على عقد لإقامة ميناء على أسس حديثة فى

مدينة الكويت. وفى الوقت الحالى هناك عادة اكتظاظ وتأخر بالغان فى الشحن. وتقوم بواخر بريد شركة الهند البريطانية للملاحة التجارية بزيارة الكويت وميناء الأحمدى بانتظام. كما يوجد مطار خارج مدينة الكويت تستخدمه شركة طيران الخطوط الجوية البريطانية لما وراء البحار وشركة الخطوط الجوية العراقية وبعض شركات الطيران الأخرى، لكنه ليس مطاراً دولياً. ويقيم فى الكويت ممثل لوزارة الطيران المدنى البريطانية، وتدير برج المراقبة بالمطار شركة إيراديو العالمية المحدودة International Aeradio Limited . وقد كون بعض التجار الكويتيين مؤخراً شركة الخطوط الجوية الوطنية الكويتية، وتقوم شركة الخطوط الجوية البريطانية بتصنيع طائراتها. وهناك رحلات منتظمة إلى العراق ولبنان وأماكن أخرى فى الشرق الأوسط.

وبالكويت بضع شركات بريطانية وهندية وشركات أجنبية أخرى، لكن - كقاعدة - غير مسموح الآن للشركات الأجنبية القيام بأعمال إلا بالاشتراك مع الشركات الكويتية أو لوكلائها. والواردات من المملكة المتحدة وفيرة، لكن التجارة البريطانية لا تتمتع فى الوقت الحالى بميزات خاصة فيما عدا ما تتلقاه من تشجيع لكون الكويت فى نطاق الإسترلينى. وتقوم إدارة الأمن العام الكويتية بمراجعة جميع الأجانب الذين يصلون إلى الدولة، وعلى هؤلاء أن يسجلوا أنفسهم خلال فترة محددة. وقد تولت حكومة الكويت مؤخراً الخدمات البريدية من مكتب البريد العام بلندن وخدمات البرق والهاتف من شركة الاتصالات السلكية واللاسلكية المحدودة Cable and Wireless Limited . وهناك اتصالات بالهاتف اللاسلكى مع البحرين ولندن ونيويورك.

والكويت مكان قاس ووسائل الراحة فيها قليلة. فليست بها خضرة، والمناظر الطبيعية ذات رتابة وكآبة، والعين لا تستمتع إلا بألوان البحر المتغيرة. والجو أقل رطوبة - إلى حد ما - مما هو فى البحرين، والشتاء أكثر برودة، والمطر أكثر غزارة بقليل. لكن هذه الميزات تتضاءل أمام العواصف الرملية الناتجة عن الرياح الشديدة الدائمة الهبوب. ولم تُفتتح دار عامة للسينما إلا مؤخراً. فشركة نفط الكويت توفر لموظفيها وضيوفها وسائل الترفيه، لكن الزائر الغربى العادى لا يجد ما يرفه به عن نفسه إلا التجول فى السوق والاستحمام فى البحر. ويمكن العثور فى السوق على كل ما ينتجه الشرق والغرب. لكن لا يوجد إنتاج كويتى مثير إلا المندوس الكويتى المصنوع من

خشب الساج والمطعّم بالنحاس الأحمر، ويستخدمه البحارة الكويتيون لتخزين حاجياتهم أثناء رحلاتهم البحرية الطويلة. ومنذ سنوات قليلة كان يمكن مشاهدة طائر القطا في موسمه على بعد أميال قليلة من المدينة، لكن الأنشطة الأخيرة دفعته بعيداً. ويقترن الصيد الآن بلون من ألوان الرحلات. فمعظم الشيوخ ينظمون دائماً مثل هذه الرحلات في شهور الشتاء، يبحثون فيها عادة عن طائر الحبارى، مصطحبين معهم عدداً كبيراً من الخدم والمعدات الكثيرة، ويعسكرون أياماً في الصحراء. وأحياناً يطلبون من أصدقائهم الغربيين اصطحابهم. والذين يكون من حسن حظهم أن يتلقوا مثل هذه الدعوة يمكنهم أن يتوقعوا تجربة من أكثر التجارب متعة وإثارة. ويرغم أن المتحمسين للعرب ولأسلوب حياتهم سيجدون الكثير مما يثيرهم في الكويت، برغم أن تحديثها ما يزال في مرحلته الجنينية، لاسيما إذا كانوا قد قرأوا كتابيْ كولونيل ديكسون عن هذا الموضوع [١] ، غير أنه ليس هناك إلا القليل مما يثير اهتمام الزائر العادى إلا إذا كان مشتركاً في مشروع تجارى.

(١) The Arabs of the Desert, by A.R.P. Dickson, Allen & Unwin, 1949 - Kuwait and her Neigbours, by H.R.P, Dickson., Allen & Unwin, 1956 (المترجم)

الفصل العاشر

قطر

قطر شبه جزيرة وعرة ، يبلغ طولها حوالى تسعين ميلاً وأطول عرض لها ستين ميلاً ، ونتوءاتها المتجهة شمالاً من الساحل العربى نحو طرفها الشمالى يفصلها بحر ضحل عن الجزيرة الرئيسية للبحرين يبلغ طوله ١٨ ميلاً . وهم ينطقونها فى الخليج الفارسى "جطر" ولم يتم بعد تحديد الحدود الشمالية للمشيخة تحديداً نهائيا وهى موضع نزاع مع كل من المملكة العربية السعودية و«أبو ظبى» ، لكن الحدود الطبيعية لشبه الجزيرة هى خور العديد ، وهو خليج كبير يمتد على الجانب الشرقى لقاعدتها كما أن هناك خليجاً ضيقًا يعرف باسم خليج سلوى يفصل شبه الجزيرة من جهتها الغربية عن المملكة العربية السعودية. وتتبع البحرين جزائر حوار التى تقع قريباً من شاطئها الشمالى الغربى ، وتطالب كل من قطر و«أبو ظبى» بجزيرة حالول الأكبر نسبيا والتى تقع على بعد ستين ميلاً من شاطئ قَطَر الشرقى . وقد أقيم عليها مؤخراً فنار لا يقيم به أحد ؛ لأنه ليس بها ماء ولا يسكنها إلا طائر الغاق خلال فصل إقامة أعشاشه .

وشبه جزيرة قطر شديد القبح ، فهو عبارة عن صحراء من الحصباء المتموجة تنتشر فوقها هنا وهناك سلاسل من تلال منخفضة تخلو من النباتات . وكلما زرت قطر تذكرت أبيات الشاعر الإنجليزى براوننج : «لم أر مثل هذه الطبيعة القبيحة التى تموت جوعًا، حيث نبتة ذات ثمار شائكة تُعتبر بمثابة اكتشاف كنز» . وتوجد نباتات ضئيلة متناثرة فى المنخفضات وعلى المسطحات الطينية الملحية على طول الشاطئ، لكن سقوط المطر نادراً جداً ، وقلما تزدهر الصحراء على نحو ما يحدث فى الكويت. وفى أقصى الجنوب تقطع الكثبان الرملية التى تشبه حدوة الحصان بعضًا من رتابة المنظر، لكن - كما هو الشأن فى أماكن أخرى كثيرة من الخليج الفارسى - فإن ألوان البحر الكثيرة

هى التى تهب العينَ متعتها . والجو أقل رطوبة نوعًا ما مما هو فى البحرين. والجو الحار عند بدايته يكون شديد الجفاف فى الداخل . وتصل الحرارة إلى ما يقرب من ١٢٠ْ فهرنهيت . ولا توجد مياه صالحة للشرب إلا فى أماكن قليلة ، كما لا توجد من الزراعات إلا بساتين نخيل قليلة منظرها بائس تقع بجوار الشاطئ الشرقى . والمعالم الوحيدة التى تقيم توازنًا فى هذا البلد القاحل المنفر هى وجود كميات ضخمة من النفط يبدو أنها تهب قيمة للأماكن الجدباء من الأرض .

والبلد يكاد يكون غير مأهول بالسكان ، ولا يزيد الأهالى الأصليون على الأرجح عن عشرين ألف نسمة ، وبالإضافة إلى ذلك فإنه يوجد أجانب يتراوح عددهم ما بين خمسة وعشرين ألف نسمة وثلاثين ألفًا، بما فى ذلك كثير من العمانيين وجنسيات عربية أخرى هاجروا للحصول على عمل بشركات النفط . ومعظم السكان الأصليين يعيشون فى العاصمة الدوحة التى تقع على الشاطئ الشرقى أو فيما يجاورها من قرى، ويوجد عدد قليل من البدو فى الداخل. وعندما يكون المرعى جيدًا - وهو ما يحدث عادة مرة واحدة كل سبع سنوات - فإن البدو يدخلون شبه جزيرة قطر من المملكة العربية السعودية . ومعظم السكان المستقرين من العرب ، رغم وجود بعض أصحاب الدكاكين الفُرس فى الدوحة .

وتُعرف الأسرة الحاكمة فى قطر باسم أسرة آل ثانى . وكما ذكرت سابقًا ، فإنه عندما غادر الأتراك شبه الجزيرة فى بداية الحرب العالمية الأولى اعترف البريطانيون بزعيم آل ثانى الشيخ عبدالله بن جاسم - حاكمًا على قطر ، وعقدوا معاهدة معه . وقد اعتزل الحكم عام ١٩٤٩ لكبر سنه ولصالح ابنه الأكبر الحاكم الحالى سمو الشيخ على ابن عبدالله ، وتوفى عام ١٩٥٧ . ويقيم الشيخ على فى شُقُب الواقعة على بعد أميال قليلة من العاصمة الدوحة حيث تقع كل المكاتب الحكومية ومكتب الوكيل السياسى البريطانى. وفيما عدا الأسرة الحاكمة الكثيرة العدد ، ليس هناك من الأهالى البارزين فى قطر إلا أفراد أسرتين أو ثلاث من أسر التجار .

وشركة نفط قطر - التى كان اسمها شركة تنمية نفط قطر المحدودة - تمتلك منذ عام ١٩٣٥ حق امتياز النفط فى شبه جزيرة قطر والجزر التابعة لها ومياهها الإقليمية . وهى شريكة لشركة نفط العراق ، وكانت تضم وقتئذ مصالح أمريكية وفرنسية وهولندية

وكذلك بريطانية . وهناك شركاء آخرون لشركة نفط العراق تملك حق الامتياز فى الساحل المتصالح ومسقط ، ولها مكتب إدارى للمجموعة فى البحرين اسمه حقوق امتياز النفط المحدودة .Petroleum Concessions Limited . وقد تم العثور على النفط فى قطر قبل الحرب الأخيرة (*) ، وتم تصدير أول شحنة منه فى نهاية عام ١٩٤٩ رغم أن الافتتاح الرسمى الذى قام به الشيخ على حاكم قطر لميناء النفط لم يتم إلا فى فبراير ١٩٥٠ . وبحلول عام ١٩٥٧ أصبح إنتاج الشركة أكثر من ستة ملايين طن من النفط سنوياً. ويقع حقل النفط على الجانب الغربى من شبه الجزيرة ، ويقال إن النفط الذى يقع على عمق يبلغ حوالى ستة آلاف قدم هو أجود الأنواع فى منطقة الخليج . ويقيم مدير عام الشركة فى الدوحة ، وكان مركزها الإدارى يقع فى "دخان" وسط حقل النفط ، لكن تم نقله الآن إلى ميناء الشركة بأم سعيد على بعد ستين ميلاً على الجانب الآخر من شبه الجزيرة. وتوجد هنا منطقة سكنية كبيرة للشركة ، بالإضافة إلى خزانات تتلقى النفط من أنابيب ممتدة من الحقول وتفرغها من ناقلات نفط ترسو فى مرسى عميق للمياه تحميه مصدات من الأمواج ، ويقع بالقرب من الشاطئ . وللشركة مطاراتها الخاصة فى دخان وأم سعيد ، ومعظم كبار موظفيها بريطانيون، كما تستخدم عدداً من اللبنانيين والفلسطينيين والهنود والباكستانيين كتبة وصناعاً . وتمتلك حق الامتياز فى البحر شركة شل للاستكشاف فيما وراء البحار Shell Overseas Exploration Company التى تقوم بالعمل محليا تحت اسم شركة شل القطرية .Shell Company Of Qatar . وقد بدا الحفر عام ١٩٥٥ لكن العمليات توقفت عندما حطمت إحدى العواصف الحفار. وهناك الآن معدات فى سبيل الإعداد ، ومن المرجح استئناف العمليات عام ١٩٥٨ . وقد أقامت الشركة منطقتها السكنية شمال الدوحة مباشرة كما أقامت منطقتها الصناعية جنوبى المدينة .

وقبل عام ١٩٤٩ لم يكن هناك من الناحية العملية جهاز إدارى للدولة ، وكان حكم الشيخ عبدالله حكمًا قبَليا تمامًا . وعندما تولى الشيخ على الحكم عين مستشاراً بريطانيا وقائداً بريطانيا للشرطة ، كما عين أطباء ومهندسين بريطانيين . والجهاز

(*) أى قبل ١٩٣٩ . (المترجم)

الإدارى الآن فى سبيله إلى التطور تطوراً سريعاً سليماً . والمستشار مسئول عن جانبه المالى ، ويتم إعداد ميزانية منتظمة ، ويبلغ الدخل من النفط حوالى عشرة ملايين إسترلينى سنويا ، وهو ما يكفى جميع الاحتياجات ويترك هامشاً للاستثمارات. ونتيجة لذلك فقد أمكن تخفيض رسوم الجمارك على جميع البضائع - إلا المشروبات الكحولية والتبغ - بحيث أصبحت رسوماً اسمية فى حدود ٢٪ ، والحاكم - كما هو الشأن فى كل مكان آخر بالخليج - يرفض بشدة تداول المشروبات الكحولية ، ولا يمكن أن يحصل عليها إلا الأجانب بموجب تصريح من الوكيل السياسى . كما أن التدخين - رغم أنه غير محرم - إلا أنه طبقًا للمذهب الوهابى يعتبر ترفًا لا ضرورة له . ولهذا ظلت رسوم الجمارك على الخمور ١٥٪ وعلى التبغ ١٠٪ . وهناك قوة شرطة نشطة مسلحة تسليحاً جيداً تتكون من حوالى ألف رجل تحت قيادة ضباط بريطانيين ، مهمتها حفظ القانون والنظام فى شبه الجزيرة وحراسة معسكرات شركات النفط ومنشآتها . ولم يكن للتعليم وجود قبل عام ١٩٤٩ لكن توجد الآن عدة مدارس ابتدائية وثانوية فى الدوحة ، ويكاد يوجد لكل قرية مدرستها . وقد تم افتتاح مستشفى حديث فى الدوحة عام ١٩٥٧ ، كما أقيمت محكمة يفصل فى قضاياها أحد أبناء الحكام والمستشار البريطانى، وتطبّق مبادئ الشريعة فى معظم القضايا . وتمارس المحاكم سلطتها على القطريين ومواطنى الدول العربية ومعظم الدول الإسلامية التى ليست أعضاء فى الكومنولث البريطانى ويخضع الباقون للقضاء التابع للوكيل السياسى البريطانى . وتنظر محكمة مشتركة يرأسها الوكيل السياسى البريطانى وممثل عن الحاكم فى القضايا المدنية المشتركة . وقد تم تعيين لجنة بلدية للدوحة وصدرت القوانين الخاصة بالبلدية .

وعندما تولى الشيخ على الحكم عام ١٩٤٩ ، لم تكن الدوحة أكثر من قرية صيادين بائسة تترامى على حدود الشاطئ لعدة أميال ، وأكثر من نصفها عبارة عن أنقاض، وكان السوق يتكون من زرائب يعف عليها الذباب والطرق مدقات ترابية ، ولم تكن هناك كهرباء ، كما كان على الناس أن يجلبوا مياههم فى القرب الجلدية والصفائح من آبار على بعد ميلين أو ثلاثة خارج المدينة . وكان الحاكم يقيم فى قلعة قديمة متداعية أثاثها قليل عفا عليه الزمن . وقد تغيرت الصورة الآن تماماً بسبب الثروة الناتجة عن النفط . ويخطو التطور بخطوات محسوبة ومنظمة ، وأمكن تجنب الفوضى

التى سببها التسرع فى الكويت . وأقيمت مساكن كثيرة جديدة ، وهناك عدد من الشوارع بها وأماكن جديدة يمكن للسكان المحليين والأجانب أن يحصلوا منها على كل ما يخطر بالبال من بضائع . وقد تم إنشاء طرق من الدرجة الأولى تمتد عدة أميال داخل المدينة وخارجها ، وبها عدد من محطات الخدمة . وهناك محطة لتحلية المياه ، سيتم توسيعها قريبًا ، تضخ مياهًا تمتد فى أنابيب إلى المساكن الحديثة وإلى نقاط للمياه العامة فى كل أرجاء المدينة .

وقد أنشئت محطة للكهرباء عام ١٩٥٧ تمد المدينة بالكهرباء ، ويقال إنها الأولى من نوعها فى العالم . وقد أقام الحاكم قصرًا جديدًا لنفسه خارج المدينة فى شُقُب، كما توجد مكاتب إدارية جديدة وقلعة جديدة للشرطة بها سكن ممتاز لجميع الرتب وكذلك لأسرهم عند الضرورة .

وكان اقتصاد قطر يكاد يعتمد فى معظمه فيما مضى على صيد الأسماك واللؤلؤ ، كما كان القطريون يحصلون على احتياجاتهم البسيطة إما من البحرين أو من دبى على الساحل المتصالح ، وكانت الواردات تخضع للرسوم عند تصديرها منها وعند وصولها إلى قطر . ولا يوجد مرسى آمن من الأمواج عند الدوحة أو بالقرب منها لترسو عليه السفن عابرة المحيطات . ولم تكن سوقًا له أهميته يومًا ؛ لأنه لم يكن يخدم إلا سكان شبه الجزيرة القليلى العدد . ولم تكن هناك قبائل تعيش خلف الساحل ولا تجارة إعادة التصدير. ولما كانت حكومة قطر تتطلع دائمًا إلى تجنب دفع رسوم الترانزيت فى البحرين ودبى ، فإنها وضعت نظامًا يتم بمقتضاه تفريغ الواردات فى صنادل فى ميناء أم سعيد ميناء شركة نفط قطر، ثم تقوم الزوارق بنقلها إلى الدوحة . وقد تم توسيع الفُرْضة أو الميناء هناك حتى تتماشى مع الحركة المتزايدة ، كما يتم بناء مكاتب جديدة بجوارها للجمارك والهجرة . ونتيجة للثروة التى جلبها النفط فإن السكان واحتياجاتهم فى تزايد سريع . ولا توجد تجارة برية مع المملكة العربية السعودية ، لكن يمكن للسيارات الدخول إلى البلد عن طريق سلوى الواقعة على رأس الخليج المسمى بهذا الاسم .

وخلال السنوات القليلة الماضية زادت خدمات البريد والاتصالات السلكية واللاسلكية من رقعتها ، وأصبح من الممكن الآن الاتصال بالهاتف اللاسلكى مع أوروبا

وأمريكا وأنحاء أخرى فى العالم الخارجى . وتوجد فروع بالدوحة لبنك الشرق الأوسط والبنك العمانى والبنك العربى .

وهناك القليل مما يجذب فى قطر عين الزائر القادم من الغرب اللهم إلا إذا كان قادمًا فى مهمة عمل . فليس هناك منظر يُفتن به الإنسان ولا معمار ولا آثار تثير الاهتمام ولا فندق ولا مكان للترفية . وتوفر شركات النفط وسائل ترفيهية لموظفيها وضيوفها . أما بالنسبة للآخرين فلا يوجد إلا الاستحمام فى البحر عندما لا تكون المياه شديدة الحرارة، وقيادة المراكب الشراعية وصيد الأسماك إذا توافرت الوسائل لذلك . وتظهر طيور الحبارى فى الخريف ، ويندفع الشيوخ إلى الصحراء مع صقورهم لمطاردتها من سياراتهم الأمريكية الضخمة ، أما طائر القطا فلا يظهر منه إلا القليل من حين لآخر . ولولا كميات النفط الثمينة التى تكمن تحت السطح القاحلى ، لما كانت شبه جزيرة قطر أكثر من نتوء قبيح على الساحل العربى .

الفصل الحادى عشر

مشيخات الساحل المتصالح (*)

الساحل الممتد من قاعدة شبه جزيرة قطر شرقًا حتى شبه جزيرة مسندم يعرف عادة بالإنجليزية باسم الساحل المتصالح ، أما بالعربية فيسمى ساحل عُمَان . واسم عُمَان يشمل كل الركن الجنوبى الشرقى من شبه الجزيرة العربية . والمشيخات السبع التى تحتل هذا الساحل وتتجاوزه ممتدة إلى الشرق حتى خليج عمان تعرف باسم المشيخات المتصالحة أو الدول المتصالحة ، وتعرف فى مجموعها باسم عمان المتصالحة . وهذه المشيخات من الغرب إلى الشرق هى : أبو ظبى ، دبى ، الشارقة ، عجمان ، أم القوين ، رأس الخيمة ، الفجيرة .

ويمتد الساحل على طول ٤٠٠ ميل شرقًا من خور العديد منبسطًا قاحلاً تخترقه عدة خلجان ، وتقع أمامه جزر كثيرة لاسيما عند نهايته الغربية وعلى مدى يصل إلى ٣٠٠ ميل . ومن خور العديد حتى قرب دبى لا يوجد إلا مكان واحد غير مأهول بالسكان هو أبو ظبى . وفى الداخل تفضى السهول الساحلية إلى كثبان رملية تمتد مئات الأميال حتى تندمج مع صحراء الربع الخالى ، وعند نهايتها الشرقية يصل الساحل إلى سفح سلسلة جبال الحَجَر الغربى ، وينحنى فى حدة شمالاً . هنا يتغير المنظر تمامًا إذ ترتفع الجبال فى بعض الأماكن إلى ٧٠٠٠ أو ٨٠٠٠ قدم ، وتتجه نتوءاتها فى انحدار حاد نحو الشاطئ ، ويوجد سهل ساحلىّ على جانبها الشرقى لا يزيد عرضه عن بضعة أميال يمتد بينها وبين خليج عمان .. والمناخ يشابه مناخ قطر فيما عدا الأمطار الأكثر

(*) الإمارات العربية المتحدة الآن . (المترجم)

غزارة - إلى حد ما - لاسيما بالقرب من الجبال . وفى الصيف المبكر لا يستفيد الجزء الشرقى من عمان المتصالحة الذى يقع شرقى الجبال من الرياح الشمالية الغربية ، لهذا فهو أشد حرارة من بقية الساحل المتصالح .

ولا توجد مياه بالساحل المتصالح فيما عدا بضعة آبار هنا وهناك ، حتى نصل إلى الجبال . ولا توجد زراعة فيما عدا بضع أشجار نخيل نحيلة مبعثرة فى «أبو ظبى» وفى أماكن أخرى على طول الشاطئ فى اتجاه الشرق من دبى تبدو كأنها بقايا الشعيرات الأخيرة فى رأس صلعاء . وقد تم بحث إمكانية زيادة مصادر المياه فى المنطقة لكن دون نتيجة حتى الآن . وتوجد بالقرب من الجبال على الجانب الغربى بعض واحات كبيرة . كما توجد على جانبى الجبال عند سفوحها ، وفى الوديان الصغيرة الضيقة الشديدة الانحدار التى تخترقها آبار وينابيع تروى بساتين النخيل ومحاصيل التبغ . كما يزرع الليمون بنوعيه الحامض والحلو والفافاى ونوع ردىء من الأمبا (المانجه) وفواكه أخرى بما فى ذلك برتقال حلو صغير فى قرية واحدة بمشيخة رأس الخيمة . وترفع الثيران الماء من الآبار ، أما الأبقار فيتم الاحتفاظ بها للحصول على ألبانها ، بينما يزرع القت (البرسيم) علفًا لها .

ومن المرجح أن المجموع الكلى للسكان فى دول الساحل المتصالح لا يتجاوز مائة ألف . والمدينة الوحيدة ذات الوزن هى دبى ، ويبلغ عدد سكانها حوالى ٣٥ ألفًا بينهم كثير من الإيرانيين وبعض الهنود والبلوش . أما السكان فى بقية الأماكن فهم من العرب ، فيما عدا بعض أصحاب المحلات من الإيرانيين والبلوش فى المدن الساحلية. وتوجد فى الداخل قبائل من البدو يجوبون البلاد بجمالهم ويدينون بالولاء لهذا الحاكم أو ذاك ، وهناك آخرون ممن يتبعون ملك المملكة العربية السعودية يدخلون البلد من حين لآخر بحثًا عن المرعى . وعادة ما يغير هؤلاء البدو ولاءهم طبقًا للظروف . وهذا الواقع بالإضافة إلى صعوبة تحديد الحدود فى صحار لا معالم لها هو الذى يسبب الخلاف المزمن حول الحدود مع المملكة العربية السعودية ، وهو ما سنشير إليه فيما بعد. والسكان المستقرون فى الواحات بالداخل يكادون يكونون كلهم عربًا .

والدول المتصالحة كلها بدائية جدًا، ونظام حكوماتها بطريركى، وليس لها جهاز إدارى حقيقى فيما عدا دبى. والتخلف العام للناس تخلف فظيع. فقد حدث ذات مرة

فى إحدى الحفلات الرسمية لمنح وسام لأحد الحكام أن الضابط المسئول عن حرس الأسطول – والذى كان يشارك فى الاحتفال – أخرج سيفه ولوح به محييًا، فما كان من الواقفين إلا أن ظنوا أن شيخهم على وشك أن تقطع رأسه وشلهم الرعب عن التدخل. وقد تعاملت الحكومة البريطانية مع الدول المتصالحة كمجموعة واحدة منذ عُقدت المعاهدات معها. وكانت علاقاتها بها تتم عن طريق وكيل عربى للمعتمدية مقره الشارقة. وفى عام ١٩٥٣ تمت ترقية وظيفته إلى وكيل سياسى . وفى عام ١٩٥٤ نقل مقره إلى دبى حيث تم بناء مقر جديد له . وفى عام ١٩٥١ كان قد أنشئ مجلس لحكام الدول المتصالحة بهدف حثهم على تبنى سياسة مشتركة فى الشئون الإدارية مثل قوانين المرور ومنع نقل العبيد وقوانين الجنسية والجوازات وما إلى ذلك . ويجتمع المجلس مرتين أو ثلاث سنويًا. كما أنشئت لجنتا التربية والصحة ، لكن لم يكن من الممكن إنشاء أى شئ له صفة المكتب الإدارى المركزى ؛ لأن كل المنتجات فقيرة بحيث لم يكن من الممكن قبل اكتشاف النفط توقع المساهمة منها فى نفقاته. ويصدر الحكام وثائق سفر صالحة لرعاياهم ، لكن لم تصدر بعد قوانين الجنسية ، ومن أسباب ذلك عدم التأكد من تبعية بعض البدو . ويمكن لرعايا دول الخليج الأخرى أن يزوروا الدول المتصالحة دون تأشيرة ، بشرط أن يكون معهم وثائق سفر صالحة للاستخدام ، أما الآخرون ممن يرغبون فى زيارة هذه الدول فعليهم الحصول على تأشيرة من السلطات البريطانية المختصة.

وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية كانت سياسة الحكومة البريطانية فى الساحل المتصالح هو حفظ السلام فى البحر وعدم التدخل فى البر . فكان من المسموح به أن تحارب المشيخات بعضها البعض . وكانت آخر تلك الحروب بين دبى وأبو ظبى عام ١٩٤٨ . وكان الاعتراف بالحاكم يتم بحكم الأمر الواقع حتى ولو كان قد استولى على السلطة عن طريق الاغتيال . وقد أدت ظروف ما بعد الحرب إلى ضرورة تغيير هذه السياسة . فلم يصبح من الضرورى فقط توفير سلامة معقولة لموظفى شركات النفط العاملين فى المشيخات وللطائرات والمسافرين الذين يستخدمون مطارات الشارقة ، بل أصبح من الضرورى كذلك وضع حد لخطف السيدات والأطفال من مدن الساحل المتصالح لبيعهم عبيدًا فى المملكة العربية السعودية . وفى عام ١٩٥١ أنشئت بالتعاون

مع الحكام قوة تسمى جند ساحل عمان للقضاء على تجارة العبيد وحفظ القانون والنظام وحماية المشيخات من العدوان الخارجي . وكان حجمها يبلغ فى أول الأمر خمسمائة رجل ، لكنها زيدت منذ ذلك الوقت إلى ألف رجل ، واسمها الآن كشافة ساحل عمان ، ويرأسها ضباط بريطانيون ومركزها الشارقة . وقد أدى وجودها إلى زيادة أمن الساحل المتصالح زيادة كبيرة جدا . ويمكن القول بصفة عامة إن السفر مأمون إلى أى مكان فى نطاق الحدود المعروفة للمشيخات إلا داخل التلال . ويُستخدم الحرس المحلى فى مطار الشارقة ، كما توجد قوات شرطة بلدية فى أبو ظبى ودبى ، لكن الحكام يعتمدون فى بقية المشيخات على خدمهم المسلحين لحفظ القانون والنظام . ويقوم الحكام بأنفسهم فى معظم الحالات بتنفيذ "قضاء شجرة النخيل" وذلك فى القضايا التى لا تحال إلى القاضى الشرعى للفصل فيها طبقاً للشريعة الإسلامية ، ولا يمارسون القضاء إلا على رعاياهم أو رعايا بعضهم البعض . أما الأجانب سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين ، فإنهم يخضعون لقضاء الوكيل السياسى . وهناك فقرة فى نظام المجلس للفصل فى القضايا المختلطة ذات الطبيعة المدنية عن طريق محاكم مختلطة برئاسة الوكيل السياسى والحاكم المختصين .

وتمتلك شركة تنمية نفط الساحل المتصالح المحدودة بالمشاركة مع شركة نفط العراق حق الامتياز فى البر والجزر والمياه الإقليمية لكل الساحل المتصالح ما عدا الفجيرة التى تمتلك فيها حق الاستكشاف فقط . كما تمتلك حق الامتياز أمام شاطئ الشارقة وعُمان وأم القوين ورأس الخيمة. أما حق الامتياز أمام شاطئ دبى وأبو ظبى فتمتلكه شركة داركى للاستكشاف D, Arcy Exploraltion Company (وهى فرع من فروع شركة النفط البريطانية) بالمشاركة مع المصالح الفرنسية . والشركة التى أنشئت بهدف إجراء العمليات تعرف باسم "المناطق البحرية لدبى وأبو ظبى المحدودة " Dubai and Abu Dhabi Marine Areas Limited . أما الفجيرة التى تطل على خليج عمان فإنها لم تمنح حقوقا للاستكشاف فى قاع البحر. وتقع رئاسة عمليات تنمية نفط الساحل المتصالح المحدودة فى دبى كما يقيم فيها أيضا ممثلها المحلى. وقد قامت هذه الشركة بحفر آبار فى أراضى «أبو ظبى» ودبى والشارقة، لكن حتى اليوم لم يُكتشف النفط

بكميات تجارية، ولهذا فإنه لم تنشأ منطقة إقامة دائمة لها. وقد أقامت شركة المناطق البحرية لدبى وأبو ظبى المحدودة قاعدة لها فى أبو ظبى ومعسكراً فى جزيرة داس، وبدأ أول حفر بحرى عام ١٩٥٨، وعُثر على النفط فى مكانين، لكن ما يزال الحقل موضع التجربة، ولم تعلن الشركة بعد أى قرار لبدء الإنتاج التجارى . وبما أنه لم يتم إنتاج النفط بعد فإن دخل الحكام من الشركات قاصر على المدفوعات السنوية المحددة فى اتفاقيات حق الامتياز ، كما أنه لا توجد إلا فرص عمل محدودة لرعاياهم . وفى مثل هذه الظروف فإن الحكام يصيبهم القلق من حين لآخر ، ويحثون الشركات على بذل مزيد من الجهد. وتجد الشركات صعوبة فى إثبات أنها تفعل ما فى وسعها . وعلى العموم فإن علاقات الشركات بالسلطات المحلية علاقات طيبة ، ويستطيع موظفوها التجول بأمان تام فى الريف برفقة عدد قليل من الحراس.

واقتصاد المشيخات فى انحسار ، والهجرة كثيرة كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، ويعتمد الأهالى اعتماداً كبيراً على صيد الأسماك واللؤلؤ فيما عدا دبى حيث تروج تجارة إعادة التصدير رواجاً طيباً ، وأقصى شرقى المشيخات حيث توجد الزراعة . وما تزال كثير من المراكب تقوم بزيارة شواطئ صيد اللؤلؤ كل صيف . وتقدم الحكومة البريطانية مساعدة عملية لبعض الدول فى أمور مثل التعليم والطب وتحسين إمدادات المياه والزراعة حيثما توجد ، كما أقيمت مراكز توزيع الأدوية مجاناً فى كل الدول ، وقدم شيوخ الكويت وقطر أيضاً مبالغ لبعض الدول لإقامة المدارس أو لدفع مرتبات المدرسين . وتوفر وزارة التربية المصرية بعض مدرسى مدرسة الشارقة .

ولا توجد طرق مضمونة فى أى مكان ، لكن هناك طرقاً ترابية يمكن للسيارات المرور بها والوصول إلى معظم الأماكن على الساحل إلا بعد سقوط مطر غزير ، وهو أمر نادر الحدوث .. وعلى أية حال فلتجنب الحوادث يجب أن تكون السيارات بدواليب عريضة منخفضة الضغط والدفع فيها بالعجلات الأربع .

* * *

وقد اعتُبر عادة أن امتداد مشيخة **أبو ظبى** بطول الساحل يبلغ حوالى ٢٥٠ ميلاً من خور العديد حتى رأس حاسيان على بعد حوالى ٤٠ ميلاً غربى دبى ، وما بين مائة ومائتى ميل فى الداخل . ومنذ عام ١٩٤٩ طالبت المملكة العربية السعودية بالنصف الغربى من هذا الامتداد الساحلى ، وجزء كبير من المنطقة التى تقع خلف الساحل . ومعظم هذه المنطقة برية غير مأهولة بالسكان، ولا يوجد بها إلا قليل من البدو بصفة غير منتظمة. ولا توجد مستوطنات دائمة إلا فى أبو ظبى نفسها وفى واحتى ليوا والبريمى. وتعلن أبو ظبى ملكيتها لعديد من الجزر أهمها جزيرة دالما حيث توجد مياه للشرب، وسكان مقيمون، ويستخدمها أسطول اللؤلؤ التابع لـ أبو ظبى ، ويقيم بها ممثل الحاكم. وقد سبقت الإشارة إلى حالول التى كانت تعتبر فى الماضى عادة من ممتلكات أبو ظبى لكن قطر تطالب بها أيضًا .

وتقع أبو ظبى على جزيرة يفصلها عن الأرض الرئيسية خليج صغير أقامت عليه مؤخرًا طريقًا معبَّدًا شركة تنمية نفط الساحل المتصالح المحدودة ، وقبل ذلك لم يكن من الممكن للسيارات الوصول إلى أبو ظبى أو مغادرتها إلا عند انحسار المد . ويعيش الحاكم الشيخ شخبوط بن سلطان فى قلعة ضخمة جميلة بناها لنفسه ، تاركًا قلعته القديمة التى ما تزال قائمة فى ركن من قلعته الجديدة . وتمتد القرية بطول الشاطئ بسوقها الصغير وسكانها الذين يبلغ عددهم بضعة آلاف . ولا يوجد ميناء إلا للمراكب المحلية ، أما السفن عابرة المحيطات فعليها أن ترسو فى البحر على بعد ميلين أو ثلاثة . ومن المتعذر بل المستحيل النزول برًا منها عند هبوب الرياح الشمالية الغربية بعنف . وقد ولد شخبوط عام ١٩٠٤ وتولى الحكم عام ١٩٢٨ عقب اغتيال عمه . وقد قُتِل ثلاثة من أسلافه خلال ست سنوات .

ومعظم سكان المشيخة بدو يعتمدون على الجمال وزراعة النخيل وصيد الأسماك واللؤلؤ . ويستمد الحاكم دخله من الضرائب على بساتين النخيل وقوارب صيد اللؤلؤ والمبالغ السنوية التى تدفعها شركات النفط . والتجارة ضئيلة ودخل جماركها لا قيمة له . وقد أنشئت مؤخرًا قوة شرطة من مائتى رجل . وهناك مدرسة فى سبيلها إلى الإنشاء تدفع الحكومة البريطانية نفقاتها .

ولوا – واسمها الصحيح الجِوا – قطعة أرض طولها خمسون ميلاً وعرضها عشرة أميال بها عدة بساتين نخيل صغيرة فى المنخفضات بين كثبان الرمال الحمراء المرتفعة ، وهى تقع جنوب غـرب «أبو ظبى» على بعـد حـوالى مـائة مـيل فى الداخل ولا يمكن الوصول إليها بالسيارات. وهناك قرى على طول البساتين عند سفح الكثبان. والسكان المستقرون قليلون ، لكن هناك عدداً قليلاً من بدو القبائل المحليين يضربون خيامهم فى المنطقة فى موسم البلح . وللحاكم ممثل هناك يجمع الضرائب على البلح ويشرف على القضاء . والبريمى واحة كبيرة تقع شرقًا فى خط مستقيم مع «أبو ظبى» على بعد حوالى مائة ميل من الساحل على الطرف الشمالى لسلسلة تلال طويلة تعرف باسم جبل حفيت . وتضم ثمانى قرى ، ست منها تتبع «أبو ظبى» واثنتان تتبعان مسقط وبها بساتين نخيـل متسعة ترويهـا قنـوات جوفيـة وآبـار ، وتؤدى إليها طرق ممهدة من «أبو ظبى» والشارقة ، يمكن أن تمر بها السيارات المزودة بمعدات لعبور الرمال الغزيرة . ويوجد مطار يمكن أن تستخدمه الطائرات الصغيرة، ويمثل الحاكم أخوه الشيخ زايد . وقد برز اسم الواحة فى الأخبار فى أواخر شهر أغسطس ١٩٥٢ عندما قام حاكم سعودى بقوة سعودية صغيرة مسلحة باحتلال واحة حاسا – وهى إحدى الواحتين التابعتين لمسقط – وكانت مطالبة الوهابيين بالواحة أساسه احتلالهم للمنطقة بعض الوقت أثناء النصف الأخيـر من القرن الماضى ، والولاء الذى أعلنتـه مؤخـراً بعض القبائل المحلية . وكانت قوات مسقط قد طردت الوهابيين عام ١٨٦٩ ، لكن السلاطين الذين توالوا على الحكم بعد ذلك قلما استطاعوا ممارسة سيطرة فعالة على المنطقة . وقد قامت محـاولة لتسوية هذا الموضوع وخلافات أخرى كبيرة على الحدود مع السعوديين عن طريق التحكيم فى جنيف عام ١٩٥٥ ، لكن المضى فيه توقف ، وقامت كشافة عمان المتصالحة بالتعاون الوثيق مع سلطات مسقط وحاكم «أبو ظبى» بإجلاء السعوديين ومؤيديهم من الواحة، ونتيجة لذلك قطع السعوديون العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا ، وما يزالون يواصلون مطالبتهم بالبريمى بشدة.

ودبى هى المشيخة التالية شرقًا ، وتحتل حوالى ٤٥ ميلاً من الساحل ، وتمتد أربعين ميلاً إلى الداخل . ويمتلك الحاكم كذلك قرية حَتى التى تنفصل بعيداً عن بقية ممتلكاته فى جبال الحجر على حدود دولة مسقط . وفيما عدا حتى وبعض المستوطنات

الصغيرة على ساحل البحر فإن دبى نفسها هى المكان الوحيد المأهول بالسكان ، ولا يوجد بالداخل بدو ممن يعتبرون أن لهم ارتباطًا دائمًا بالمشيخة. وترتبط الأسرة الحاكمة قبليًا بالأسرة الحاكمة فى «أبو ظبى» ، وكانت قد هاجرت من «أبو ظبى» وقامت بتأسيس دبى عام ١٨٣٨ . وقد ولد الحاكم الحالى (*) : راشد بن سعيد ، حوالى عام ١٩١٤ ، وتولى الحكم عام ١٩٥٨ . وتولى لبضعة أعوام – قبل توليه الحكم – معظم الأعمال التجارية للمشيخة بالنيابة عن والده الشيخ سعيد بن مكتوم الذى مات عن ثمانين عامًا بعد حكم دام ٤٦ عامًا. ويقيم الشيخ راشد معظم أيام السنة فى بناء بسيط متواضع يمكن الوصول إليه عن طريق زقاق ضيق على الجانب الغربى من الخليج الصغير ، كما أن له مقر إقامة صيفى على بعد حوالى نصف ميل خارج المدينة . وبالمدينة عدد من أصحاب الدكاكين الهنود، كما يقيم بها حوالى عشرة بريطانيين . وقد انتقل الوكيل السياسى البريطانى للساحل المتصالح من الشارقة إلى دبى فى ربيع عام ١٩٥٧ ، ويقيم فى مبنىً جديد جنوب المدينة على الجانب الغربى من الخليج الصغير .

والنظام الإدارى أكثر تقدمًا فى دبى مما هو فى دول الساحل المتصالح الأخرى ؛ فهناك قوة من الشرطة تقوم بحفظ القانون والنظام تتكون من ٨٠ فردًا بقيادة ضابط بريطانى . وقد تم تشكيل لجنة لبلدية دبى عام ١٩٥٧ . وهناك دائرة منظمة تنظيمًا جيدًا لتحصيل الضرائب التى منها تستمد الدولة معظم دخلها . كما توجد مدرستان حكوميتان بدائيتان – إلى حد ما – على وشك توسيعها وإدخال تحسينات عليها. كما وفر الشاه مؤخرًا مبالغ لإقامة مدرسة إيرانية. وبعد الحرب العالمية الأخيرة ساهم الموظفون البريطانيون فى جميع دول الساحل المتصالح فى إقامة مستشفى حديث تم افتتاحه فى دبى، وعهدت مسئوليته إلى طبيب بريطانى، ويدفع الحاكم سنويًا مبلغًا ضخمًا لصيانته ، واسم المستشفى "مستشفى مكتوم" نسبة إلى جده.

ودبى نفسها مكان ساحر . وهى مدينة تعود ببعض رخائها إلى امتلاء الخليج الصغير بالشارقة بالطمى ، وببعضه الآخر إلى التدفق الكبير للتجار الإيرانيين فى بداية القرن . وقد كانت الشارقة المركز التجارى للساحل المتصالح ، لكنها فى النصف الثانى

(*) زمن تأليف الكتاب . (المترجم)

من القرن الماضى فقدت مركزها لحساب دبى للسبب المشار إليه سابقًا . وفى السنوات الأولى القليلة من القرن الحالى قام معظم التجار وأصحاب المحلات فيها بالهجرة من لنجة على الشاطئ الإيرانى إلى دبى حيث أقاموا أعمالهم ، وذلك تجنبًا للخضوع لبعض الإجراءات الاقتصادية الجديدة التى فرضتها الحكومة الإيرانية. والمدينة مقامة على جانبى خليج متعرج حيث يمكن مشاهدة جميع أنواع المراكب المحلية تقريبًا إما وهى راسية أو وهى تتحرك داخله أو خارجه. وفى ساعات العمل تتحرك القوارب جيئة وذهابًا بصفة منتظمة تحمل الركاب من أحد جانبى الخليج إلى الجانب الآخر. وعلى شاطئيه مبان ثلاثية الشكل من طابقين تعلوها أبراج مربعة بها فتحات فى جوانبها الأربعة تدفع أى نسيم قد يهب إلى غرف صغيرة فى الطوابق الأرضية، مما يتيح للمقيمين بها نسمة هواء فى قيظ الصيف. وخلف هذه المبانى – على كلا الشاطئين – تمتد أزقة السوق الملتوية المسقوفة بحصير من سعف النخيل تتسرب منه أشعة الشمس وتصطف بها دكاكين صغيرة تعرض كل أنواع البضائع ، وعلى مصاريعها ثمة أقمشة معلقة بألوانها الزاهية. ومعظم المحلات تبيع كل شىء تقريبًا . وهناك كميات هائلة من جميع أنواع البضائع معروضة لفرجة الزبائن . ويسير التجار الإيرانيون فى الأزقة بدشداشاتهم الفضفاضة وأغطية الرأس المطرزة بالذهب ، بينما يتمنطق العرب العمانيون بالخناجر ذات الغمد الفضى وهم يجولون حول الدكاكين متلاعبين بالعصى التى يوجهون بها جمالهم. والذين يرتدون الزى الأوربى قليلون جدا . فدبى أقل المراكز التجارية فى الشرق الأوسط تأثرًا بالنفوذ الغربى ولو أنه بدأت تظهر إعلانات بالإنجليزية على بعض الجدران المطلة على الخليج الصغير. وهناك دكاكين قليلة على الجانب الغربى من الخليج الصغير تقدم الأطعمة الأوروبية. وعلى أطراف السوق توجد دكاكين السمك واللحوم والخضراوات ، وهى دكاكين أقل تنسيقًا وتعبق بالروائح . وحيثما كان هناك مكان فإنك تجد من يفترش الأرض ليبيع الفاكهة والخضراوات أو تشكيلة من الحلى الرخيصة وما جمعوه من أشياء تافهة لا قيمة لها. وفى الأزقة ينادى الباعة الجائلون بصوت مرتفع على ما معهم من سجاجيد إيرانية أو ذات طراز عربى .

وتعتبر دبى سوقًا لرجال القبائل الذين ليسوا فقط فى ساحل عمان بل كذلك فى الجزء الشمالى من عمان نفسها، وهى فى ازدهار عظيم بسبب تجارتها مع إيران. فهى تصدر لها بضائع تباع بالقطاعى والشاى والسكر ، وبضائع أخرى جاءت من أوروبا

أو الهند، وتستورد الماشية الحية والمكسرات والفواكه والسمك بنوعيه الطازج والمجفف ، ومنتجات إيرانية أخرى . وهناك رسم عام على كل البضائع يبلغ ٤,٥٪ سواء أكانت مستوردة أو عابرة (ترانزيت) وأثناء الحرب الأخيرة وبعدها أصبحت تجارة إعادة التصدير فى دبى تجارة ضخمة ، وازدهرت بسرعة . وعند انسحاب شركة النفط الإنجليزية الإيرانية من عبّدان عام ١٩٥١ وما ترتب على ذلك من تدهور اقتصادى فى إيران ، فإن ثروة دبى انخفضت إلى حين ، لكنها أصبحت فى عام ١٩٥٨ أكثر رخاء من أى وقت مضى . ويرجع ذلك - إلى حد كبير - إلى الفرص التى تتيحها كقاعدة يمكن تهريب البضائع منها إلى الدول المجاورة مع تحصيل تعريفة جمركية كبيرة . وقد استقر بها مؤخراً كثير من فقراء إيران أملاً فى الحصول على أوضاع أفضل مما فى بلدهم ، وحلوا محل العرب الذين نزحوا إلى حقول النفط. ولا تستطيع السفن العابرة المحيطات أن تدخل الخليج الصغير، لهذا فهى ترسو على بعد ميل تقريباً من مصبه . وبواخر شركة الهند للملاحة التجارية التى تتحرك ذهاباً وعودة ما بين بومباى والبصرة تقوم بزيارات منتظمة لدبى فى كل أسبوعين فى كلا الاتجاهين ، كما تقوم سفن الشحن بزيارة الميناء كلما دعت الحاجة إلى ذلك . وقد كانت شركة خطوط الطيران الجوية البريطانية تحتفظ بقاعدة بحرية لها عند الخليج الصغير لعدة سنوات قليلة بعد الحرب العالمية الأخيرة ، وكانت الطائرات المائية تقوم بزيارات منتظمة لدبى . وقد تم الآن إغلاق القاعدة ، لكن مطار الشارقة لا يبتعد عنها إلا عشرة أميال . وهناك طريق صحراوى ممهد تمهيداً لا بأس به يربط دبى بالشارقة ، لكن على السيارات أن تدور دورة طويلة حول رأس الخليج الصغير حتى تصل إلى الطرف الشمالى للمدينة حيث يوجد مقر كل من الحاكم والمقيم السياسى. كما يربط دبى بـ «أبو ظبى» طريق ممهد يكاد يكون دائمًا صالحًا لمرور السيارات عليه. وبالمدينة مكتب بريد يديره مكتب البريد العمومى فى لندن ، ولا تُستخدم إلا الطوابع المطبوع عليها ثمنها بالروبية . وشركة الاتصالات السلكية واللاسلكية المحدودة لها مكتب للبرقيات . وللبنك البريطانى للشرق الأوسط فرع فى دبى ، وتوجد مكاتب لشركتين بريطانيتين ، كما يقيم بها الممثل المحلى لكل الساحل المتصالح لشركة تنمية نفط الساحل المتصالح المحدودة .

* * *

والمشيخة التالية هى **الشارقة** . وفى عصر حروب القرصنة . كانت كل البلاد التى تشملها الآن دول الساحل المتصالح شرقى دبى - فيما عدا مشيختىْ عجمان وأم القوين الصغيرتين - يحكمها زعيم القراصنة القاسمى الشهير سلطان بن صقر، وقبل وفاته قسم ممتلكاته بين أبنائه الأربعة. وقد واصل الفرع الأكبر من الأسرة فى الشارقة حكم المنطقة كلها، لكن سرعان ما استقلت الفروع الأخرى واقعيا وعمليا فى رأس الخيمة وكَلْبًا ودُبا . فتم الاعتراف باستقلال مشيخة رأس الخيمة قبل نهاية القرن الماضى بعدة سنوات . ثم أعيد دمجها بالشارقة لبعض الوقت ، لكنها عوملت كدولة مستقلة منذ عام ١٩٢١ . وقد اعترفت الحكومة البريطانية بكلبا كمشيخة مستقلة عام ١٩٣٦ . واغتال حاكمَها عام ١٩٥١ أحد أفراد فرع الأسرة فى رأس الخيمة الذى استولى على الحكم فيها لمدة عام ثم وجد نفسه مضطراً إلى الانسحاب. ولما كان ذكور فرع الأسرة فى كلبا قد انقرضوا فإن المشيخة أُدمجت مع الشارقة. وأعلن شيوخ دبا من حين لآخر استقلالها لكن لم يتم الاعتراف بذلك قط . وهى تُعتبر الآن منضمة إلى مشيخة الشارقة . وكانت قرى قبيلة "شرقى" شرقى جبال الحجر تُعتبر خلال القرن الماضى تحت حكم القواسم ، لكنها كانت فى الواقع قبيلة مستقلة معظم القرن الحالى ، واعترفت الحكومة البريطانية عام ١٩٤٢ بزعيم قبيلتهم الذى يقيم فى الفجيرة حاكمًا عليهم .

وتمتد المشيخة حوالى عشرة أميال على الساحل بين دبى وعجمان وتضم القريتين الساحلتين. خان وحيرة. كما أنها تضم إلى ملكيتها قرية حمرية الساحلية التى تقع شمالى شرقى عجمان. وتمتد فى الداخل حوالى خمسين ميلاً حتى سفوح الجبال. وفى هذه المنطقة تضم واحة ذيد التى يعسكر بجوارها بنو قِتَب وهى قبيلة من البدو تتبع الشارقة. وهناك شق فى الأرض تابع لرأس الخيمة يقع بين ممتلكات حاكم الشارقة غرب الجبال ومشيخة كَلْبا السابقة شرقى الجبال التى انضمت إلى حكمه مؤخراً. وجميع القرى هنا التى تشغلها قبيلة النقيبيين جزء من مشيخته. وتختلط هذه القرى بقرى قبيلة " شرقى " التى تم الاعتراف بتبعيتها إلى مشيخة الفجيرة كما سبق القول . وأرض الشارقة شرقى الجبال تحاذى أرض دولة مسقط شمالاً وجنوبًا وأرض رأس الخيمة غربًا، لكن حدودها مع مسقط غير مؤكدة فيما عدا على الساحل حيث تمتد من

دبا إلى خور كَلْبا ، مع استبعاد القرى التى تتبع الفُجَيرة . ويبدو كل ذلك أمراً مثيراً للارتباك لكن هذا هو الساحل المتصالح الذى يشبه قطعة قماش مرقعة . وتضم المشيخة جزيرتى بوموسى على بعد ٤٥ ميلاً وسربوناعير على بعد ٦٥ ميلاً من الشارقة . وبالجزيرة الأولى مياه صالحة للشرب وعدد قليل من السكان المستقرين ، ويقيم بها أحيانًا شقيق الحاكم واليًا عليها. أما جزيرة سربوناعير فهى مجدبة غير مأهولة عادة .

وفى كلتا الجزيرتين رواسب الأكسيد الأحمر . وتقوم شركة بريطانية باستخراجه من جزيرة بوموسى هى شركة "ألوان الوادى الذهبى المحدودة" وذلك طبقًا لحق امتياز من الحاكم . ويتم عادة تصدير بضعة آلاف طن من المعدن الخام سنويا . وفيما يتصل برواسب المعدن بجزيرة سربوناعير توقف عمل الشركة منذ بضع سنوات ؛ لأنه أقل جودة.

وقد ولد الحاكم الشيخ صقر بن سلطان عام ١٩٢٠ وخلف والده عند وفاته عام ١٩٥١ . ويبلغ عدد سكان عاصمته حوالى خمسة آلاف نسمة ، وهى عاصمة تبدو غير منظمة ومهملة ، عليها سمات التدهور الذى عانت منه بسبب امتلاء الخليج الصغير بالطمى. وقد أعاد الحاكم مؤخراً زخرفة قصره. ولهذا القصر واجهة تلفت النظر، لكن لا توجد مبان أخرى ذات أهمية. ويقع على شاطئ الخليج الصغير المقر القديم للوكيل السياسى حيث كان يعمل الممثل البريطانى ويقيم بالساحل المتصالح.

وتقع بالمدينة الرئاسة المحلية لإدارة مسح الجراد بالصحراء ، وتمثلها بعثة باكستانية صغيرة حلت مؤخراً مكان الفريق البريطانى. وتجوب البعثة البلاد طولاً وعرضاً بحثاً عن مكامن توالد الجراد . وعلاقاتها بالعرب المحليين علاقات طيبة، ولو أن العرب لا يؤيدون – فى تحمس – هذه الأنشطة ؛ لأن الجراد لا ضرر منه فى الصحراء فضلاً عن أنه يمدهم بغذاء شهى جدا يختلف عن طعامهم اليومى، وثانيًا لأن العربى يعتقد أن الطعام المستخدم لقتل الجراد وصغاره يحتوى على بذور نبات يتسبب – عندما ينمو – فى قتل جِماله. وذات مرة توغل فريق بريطانى لمكافحة الجراد فى التلال شرقى رأس الخيمة، فسلبوا كل أمتعتهم بما فى ذلك بنطالاتهم. وتقوم سيدتان أمريكيتان من الكنيسة المشيخية فى أمريكا بالمهام الطبية فى منزل قديم بالمدينة.

ويوجد سوق يكاد يتداعى . وتقوم شركة الملاحة البخارية للهند البريطانية بزيارة المدينة مرة واحدة شهريا، لكن ليست هناك تجارة كثيرة . والهبوط إلى البر والصعود إلى السفن أمر صعب أو يستحيل عندما تهب رياح شديدة من البحر . ويقع المطار على بعد ميل تقريبًا من المدينـة، وتقـوم شركة طيران الخليج برحلات يومية إليها من البحرين فيما عدا أيام الجمَع، كما تقوم طائرات شركة الطيران العدنية – التى تعمل بين عدن والبحرين – بالمرور على الشارقة مرة كل أسبوعين ، كذلك يستخدم المطار سلاح الطيران الملكى وخليطًا من الطائرات التى تقوم برحلات غير منتظمة ، وهو مطار غير معترف به للطيران العالمى. وبجوار المطار استراحة تتاح فيها الإقامة للزائرين ، وبها مكتب عام للبرق تديره شركة إيراديو العالمية المحدودة . وملحق بالمطار معسكرات لسلاح الطيران الملكى ولكشافة ساحل عمان .

وليس هناك الكثير فيما يتصل بالشئون الإدارية ، فلدى الحاكم عدد قليل من موظفى الجمرك ، وهو يجمع الضرائب على بساتين النخيل فى ذيد ومنطقة كَلْبا . ولديه مدرسة ابتدائية جيدة المستوى فى مبنى وفرته الحكومة البريطانية ، كما قام مؤخراً بافتتاح مدرسة للبنات وأخرى تجارية فى المدينة وعائداته قليلة ، لكن تدعمه المبالغ السنوية التى تدفعها شركة تنمية الساحل المتصالح المحدودة وما يتلقاه من مستحقات عن الأوكسيد الأحمر المستخرج من جزره. والبساتين فى منطقة كلبا فى ازدهار، وهو يوليها اهتمامه الخاص لتحسينها.

* * *

وتشتمل مشيخة عجمان على مدينة ساحلية واحدة بهذا الاسم وشريط ضيق من الأرض خلفها، كما يمتلك الحاكم قرية تسمى مسفط masfut تقع فى التلال الغربية من حدود دولة مسقط. وتقع المدينة على خليج صغير على بعد عشرة أميال شرقى الشارقة بين قريتى حيرة وحمرية التابعتين للشارقة، وحولها بضع شجرات نخيل مبعثرة. ويسكنها بضعة آلاف قليلة من الأهالى. وينتمى الحاكم الشيخ راشد بن حميد إلى قبيلة نعيم. وقد ولد عام ١٩٠٤، وتولى الحكم بعد وفاة والده عام ١٩٢٠ .

المشيخة التالية **هى أم القوين**، وتشتمل على مدينة ساحلية بهذا الاسم وأرض تمتد عشرين ميلاً أو أكثر في الداخل تحتوى على واحة صغيرة هى واحة فَلَج على. والمدينة -التى تعتبر أكبر من القرية قليلاً - تقع على بعد ٢٥ ميلاً شمالى شرقى الشارقة على لسان رملى قاحل بين البحر وخليج صغير. والمياه شديدة الملوحة اللهم إلا بعد سقوط مطر غزير. ويمكن للمراكب المحلية الصغيرة أن تدخل الخليج حين يكون المد عاليًا والجو معتدلاً. وقد ولد الحاكم الشيخ أحمد بن راشد حوالى عام ١٩١١، وتولى الحكم عقب اغتيال عمه عام ١٩٢٩ .

*   *   *

وتعتبر مشيخة **القواسم برأس الخيمة** أكبر حجمًا إذا قورنت بغيرها من المشيخات. فهى تمتد على طول الساحل حوالى ٤٠ ميلاً من جزيرة الحمراء إلى شَعام، وجنوبًا من شعام على طول الجانب الغربى للجبال الضخمة التى يبلغ طولها حوالى ثمانين ميلاً أو أكثر حتى وادى القر Al-Qaur الذى تضم جزءًا منه، ثم تلتقى الجبال بالبحر مباشرة عند حدودها مع دولة مسقط على الساحل شمال شعام. أما فيما عدا ذلك فإن حدودها مع دولة مسقط غير محدودة. وتقع العاصمة رأس الخيمة بين خليج صغير والبحر على بعد حوالى خمسين ميلاً شمالى شرقى الشارقة. ورأس الخمية أكبر قليلاً من القرية، ولها سوق وقلعة يقيم فيها الحاكم. وهناك بساتين نخيل متسعة عند سفوح التلال على الجانب الأقصى من الخليج الصغير، كما توجد قطعة أرض جنوبى شرقى المدينة تعرف باسم جيرى بها بساتين وخضرة طبيعية غزيرة. ولقد كان من المألوف وجود طائر الحجل الرمادى هنا، لكن المولعين بالرياضة من السكان المحليين قضوا عليه فعليا فى السنوات الأخيرة. وتعتبر جزيرة الحمراء التى تقع جنوب غربى رأس الخيمة، قرية نموذجية من قرى الساحل المتصالح، فهى تعتمد على صيد الأسماك واللؤلؤ. أما رامْس Rams وشعام فتقعان فى السهل الساحلى تحت الجبال المرتفعة، ويتميزان بانتشار بساتين النخيل المزدهرة، كما توجد أيضًا بساتين نخيل وينابيع مياه حارة لها بعض الشهرة بسَبب خصائصها الشافية فى قرية خَتْ فى الطرف الجنوبى لجيرى، وهناك قرى أخرى صغيرة داخل التلال.

وتخضع جزيرتا طَمْب ونابيو أو طمب الصغرى لسلطة رأس الخيمة التى تبعد عنها حوالى ستين ميلاً. وتحتوى الجزيرة الرئيسية على فنار تديره مصلحة الإنارة للخليج الفارسى وعلى قرية يقيم بها ممثل الحاكم. وتمد الآبار الجزيرة بمياه الشرب. وكما سبقت الإشارة فإن هذه الجزيرة تشتهر بأفاعيها السامة.

وثمة طريق على طول الساحل من الشارقة إلى رأس الخيمة يمكن للسيارات المرور فيه فى حالة اعتدال الجو، لكن المرور فى الأميال القليلة الأخيرة منه متعذر بالنسبة للسيارات ما لم تكن مزودة خصيصاً بما تواجه به الكثبان الرملية المتقاطعة. ويستمر هذا الطريق على طول الساحل حتى شَعام، ثم يمتد طريق ممهد بالقرب من رأس الخيمة ويمر جنوبياً من خلال جيرى ليلتقى بالطريق من الشارقة إلى مسقط عن طريق وادى القَر، وهو الممر الوحيد من خلال الجبال الذى يمكن للسيارات العبور فيه بطريقة عادية. وينخفض هنا ارتفاع سلسلة جبال الحجر إلى بضع مئات من الأقدام فوق سطح البحر، وفى سلسلة الجبال المتشابكة المنخفضة يصعب القول متى تسرب التجمع المائى. ويمتد الطريق فى كثير من الأماكن بمحاذاة الوادى أو مجرى المياه الذى يحمل الاسم نفسه على جانبى التجمع المائى كما هو الأمر عادة فى شبه الجزيرة العربية. ومعظم الطريق وعر للغاية، لكن ليست هناك عقبة خطيرة يواجهها الإنسان. ورغم وجود مياه قليلة هنا وهناك إلا أنه من النادر أن تمطر مطراً غزيراً يكفى لملء الوادى. وتوجد عند حويلات شرقى التجمع المائى قرية صغيرة ومشرب للشاى فى بداية الممر الوحيد الضيق الذى يمر الطريق من خلاله، ويقع هذا الممر فى أراضى رأس الخيمة. وقد تعوَّد أحد الشيوخ المحليين هنا أن يحصل ضريبة عبور يزعم أنها مقابل ما يتكلفه من عمل لحفظ الطريق صالحًا للمرور. وتقطع الشاحنات هذا الطريق ذهاباً وإياباً ما بين الساحل المتصالح ومسقط وهى محملة بالركاب والبضائع، ويمكن للزائر من الغرب أن يسافر فى إحدى هذه الشاحنات بشرط أن يتقبل ما يلقاه من عدم الراحة، وأن يحصل من سلطان مسقط على ترخيص بدخول أراضيه عن هذا الطريق. ولا يمكن إتمام هذه الرحلة عادة فى يوم واحد. ومن الضرورى الحصول على مأوى فى أثناء الليل من والى السلطان فى إحدى القرى الكبيرة التى تقع على ساحل الباطنة. ويمكن زيارة رأس الخيمة عن طريق البحر، لكن على السفن عابرة المحيطات أن تستخدم مرسى بدون

معدات يقع على بعد ميل أو ميلين من الشاطئ، والهبوط إلى البر متعذر أو مستحيل عند سوء الأحوال الجوية. ويمكن للمراكب المحلية واللنشات أن تدخل الخليج الصغير فى الظروف المواتية. وكانت الطائرات المائية - فيما سبق - تستخدم هذا الخليج فى المناسبات حيث كانت هناك ذات يوم مراسٍ مقامة لذلك. ولا توجد أرض مخصصة لهبوط الطائرات.

وقد ولد الحاكم الشيخ صقر بن محمد عام ١٩٢٠، وتولى الحكم بعد طرده عمه الشيخ سلطان بن سالم عام ١٩٤٨، وما يزال أبوه الشيخ محمد بن سالم على قيد الحياة وله بعض النفوذ لكنه قانع بأن يترك السلطة الفعلية لابنه. ويقيم الآن الحاكم السابق الشيخ سلطان فى دبى، وقد ظل عدة سنوات يرفض الاعتراف بابن أخيه، لكنه تصالح معه فى عام ١٩٥٣ . ويتكون معظم السكان من خليط من العناصر العربية، وهناك قليل من البدو ينتمى معظمهم لفرع قبيلة نعيم. ويوجد فى شعام وغيرها من الجزء الشمالى فى المشيخة بعض الشيوخ، وهم قبيلة غير عربية يقيم معظمهم فى أراضى مسقط.

والمشيخة متخلفة، والإدارة المنظمة ضئيلة للغاية. وقد افتتحت مؤخراً مدرسة فى رأس الخيمة. وللحاكم بعض الدخل من بساتين النخيل وقوارب صيد اللؤلؤ، لكنه يعتمد اعتماداً كبيراً على المدفوعات السنوية لشركة تنمية الساحل المتصالح المحدودة. ومنذ تولى الحكم نجح فى إخضاع قريتين لسلطته هما جزيرة الحَمْراء ورامْس اللتان كانتا من قبل شبه مستقلتين. كما نجح - بمساعدة البريطانيين- فى صد غارة قام بها من أراضى مسقط رجال قبيلة الشحوح. وهو يحافظ بوسائله الخاصة على القانون والنظام فى المشيخة إلى حد معقول. والسفر عادة مأمون فى الطرق المعروفة التى تمر فى المشيخة. ولا يدخل الأجانب القرى الجبلية، فقد عانى من ذلك رجال مكافحة الجراد. وعلى المسافر الغربى أن يستشير الحاكم أو الوكيل السياسى، وأن يحصل على مُرافق قبل محاولة استكشاف البلد خارج الطريق المطروق. ويوجد نوع من الجبن المحلى الدسم الممتاز، كما أنه يمكن الحصول على الفاكهة الطازجة دائماً من البساتين بما فى ذلك البرتقال فى موسمه. ومن المعتقد أنه يمكن زيادة مصادر المياه فى المشيخة زيادة جوهرية وتحسن الزراعة والتوسع فيها. وقد قدمت الحكومة البريطانية للحاكم بعض المساعدة فى هذا المجال.

* * *

ومشيخة **الفجيرة** تقع بكاملها شرقى سلسلة جبال الحجر، وتتكون من عدة قرى تنتمى إلى الشرقيين على السهل الساحلى بجوار خليج عمان وفى التلال المتصلة به. وكما سبق القول فإنها كانت تكوّن فى الأصل جزءاً من مشيخة القواسم، ولم تعترف الحكومة البريطانية بها إلا عام ١٩٥٢ . وقد ولد حاكمها الشيخ محمد بن حمد الشرقى عام ١٩٠٨ ويعيش فى الفجيرة التى تقع على بعد ميل أو ميلين من الساحل وعلى بعد بضعة أميال شمالى كلبا. وبها قلعة قديمة جميلة لم يتم إصلاحها منذ أن دمرتها قنابل الجيش البريطانى عام ١٩٥٢ لإطلاق سراح بعض الأسرى الذين كان والد الحاكم الحالى يحتجزهم فيها. ويمكن الوصول إليها بالسيارات من الشارقة عبر وادى القر وكلبا. ويعتمد سكان المشيخة فى معيشتهم على محاصيل البساتين والتبغ وعلى صيد الأسماك. وهى تستمد دخلها من الضرائب على المتنجات ومن المدفوعات السنوية التى تتلقاها من شركة تنمية نفط الساحل المتصالح المحدودة فى مقابل التصريح لها بالاستكشاف. وقد عقد الحاكم مؤخراً اتفاقية ودية مع حاكم الشارقة يتم بمقتضاها تيسير إدارة أراضيهما المتداخلة شرقى جبال الحجر.

* * *

ورغم أن دول الساحل المتصالح تنقصها وسائل الرفاهية الحديثة، إلا أن بها الكثير مما يجتذب الرحالة القادم من الغرب الذى لا يعير كبير اهتمام لراحته الشخصية. فمعالمها البدائية وغياب أى تأثير غربى غياباً يكاد يكون تاما فى معظمها، يجعلها موضع اهتمام. وبها تنوع فى المناظر أكثر مما هو فى المشيخات التى تقع فى الشمال الأقصى. والساحل المنبعج المنخفض ذو الخلجان. والأرض القفراء فى «أبو ظبى» وفى الدول التى تقع غرباً، والكثبان الرملية المتموجة، والواحات التى تفاجئك، والجبال الصخرية الجرداء تقبع فى سفحها قرى محاطة بالبساتين، كل هذا له سحره. والقرى مثل خورفكان التى تحيط بها الخلجان الزرقاء ومن خلفها البساتين الخضراء تعلوها الجبال الرمادية الصالحة إلى ارتفاع يصل عدة آلاف من الأقدام لها منظر جميل أخاذ. ولا يمكن للمسافر أن يحصل على مسكن ذى طراز أوروبى إلا فى استراحة الشارقة، أو مع أصدقاء بريطانيين أو أمريكان فى الشارقة أو دبى أو معسكرات شركات النفط. أما فى غير هذه الأماكن فعليه أن يعتمد على وسائله الخاصة أو على كرم الحكام الباذخ أو رعاياهم.

الفصل الثانى عشر

مسقط

تغطى سلطنة عُمان ومسقط وتوابعها جزءًا عظيمًا من قرى شرقى شبه الجزيرة العربية، ويبلغ طول ساحلها حوالى ألف ميل. والأرض التى يعلن السلطان ملكيته لها تمتد فى بعض الأماكن حوالى مائتى ميل من الساحل، لكن ليس من السهل تقدير مساحتها بالأميال المربعة تقديراً دقيقًا. وتتبعها ولاية ظُفار التى تقع على الساحل الجنوبى لشبه الجزيرة العربية بين عمان ومحمية عدن. وجوادر – وهى جيب فى أراضى باكستان تقع على ساحل مكران– كانت تابعة لها أيضًا حتى ٨ سبتمبر عام ١٩٥٨ عندما تخلت عنها طواعية لباكستان. ويُطلَق اسم عمان على الركن الجنوبى الشرقى لشبه الجزيرة العربية، ويعلن السلطان سيادته على كل هذا الركن ما عدا عمان المتصالحة أى الدول المتصالحة التى سبق وصفها فى الفصل السابق.

والأسرة الحاكمة، وكذلك نسبة كبيرة من رجال القبائل العربية فى عمان، ينتمون إلى طائفة الإباضية فى الديانة الإسلامية. ويقال إن هذه الطائفة فرع من الخوراج الذين قتلوا عليًا زوج بنت الرسول فى النجف عام ٦٦١ م (*). وهم لا يعترفون إلا بالخليفتين الراشدين الأولين فقط، ومبدؤهم يعارض أى حكم وراثى، فهم يفضلون أن يعهدوا بإدارة بلدهم إلى إمام منتخب يكون زعيمًا دينيا له سلطات زمنية، رغم أنهم فى الواقع كثيراً ما خضعوا لسلطة أسرة حاكمة. والسيد أحمد مؤسس الأسرة الحاكمة الحالية

(*) يرى الإباضية فى عمان أن الخوارج فئة متطرفة بينما يتسمون هم بالاعتدال ، فلم يجيزوا الخروج بالسيف ، وينكرون انتهاك الحرمات والأموال وتكفير مخالفيهم . (المترجم)

بويع إمامًا بعد طرده الفرس من عمان عام ١٧٤٤، وسرعان ما تجاهل خلفاؤه مبدأ المبايعة وحكموا عمان أجيالاً كثيرة، رغم أن مدى قبضتهم على قبائل الداخل تفاوتت كثيرًا من وقت لآخر. وفي عام ١٩١٣ تمردت هذه القبائل على سلطان مسقط وبايعت مرة أخرى أحد الأئمة الذى أقام مقره فى نزوى. وقد لقى هذا الإمام مصرعه عام ١٩٢٠، فبويع مكانه عبد الله بن محمد الخليلى، وظل إمامًا حتى وفاته عام ١٩٥٤ .

وقد وقع السلطان الاتفاقية المعروفة بمعاهدة السيب عام ١٩٢٠ مع شيوخ القبائل الذين تمردوا عليه والتى وافق بمقتضاها على الامتناع عن التدخل فى الشئون الداخلية لهذه القبائل، والسماح لهم بالمرور إلى المدن الساحلية. وتعهد الشيوخ بألا يقوم رجال القبائل بغارات على المناطق التى ظلت تحت حكم السلطان. وطالما أعلن السلطان الحالى أن هذه المعاهدة لا تتضمن إلغاءً لسلطته على عمان ككل ولا لمسئوليته عن شئونها الخارجية. ويبدو أن هذا الوضع قد قبله الإمام الخليلى الذى لم يحاول قط أن يتصل اتصالاً مباشرًا بأية دول أجنبية، وتعاون معه تعاونًا كاملاً عند الغزو السعودى للبريمى عام ١٩٥٢ . والواقع أن الإمام كتب للسلطان خطابًا يطلب فيه أن يقود القبائل ضد المعتدى. وعند وفاة الخليلى عام ١٩٥٤ تمت مبايعة إمام جديد يسمى غالب على الهنائى الذى أقام فورًا علاقات مع السعوديين. وقد رأى السلطان فى ذلك خرقًا للمعاهدات مما برر له اعتبارها ملغاة ومحاولة إعادة فرض سلطته على الداخل. وبنهاية عام ١٩٥٥ نجح فى طرد الإمام من نزوى ووضع كل البلاد -أو معظمها- تحت سيطرته. وفى عام ١٩٥٧ حاول الإمام وبعض أنصاره استعادة وضعهم بعد أن حصلوا على السلاح من مصادر أجنبية، لكن سرعان ما تم إخماد هذا التمرد ببعض المساعدة البريطانية. وقد هرب بعض المتمردين من البلاد بينما لجأ آخرون إلى الجبل الأخضر، وكان من بين هؤلاء الإمام وأخوه وشيخ بنى ريام سليمان بن حمير. ومن هناك تحدوا سلطة السلطان بعض الوقت. وفى فبراير ١٩٥٩ تم طردهم ولجأوا إلى المملكة العربية السعودية. والسلطان مشغول الآن (*) بإعادة تعمير القرى فى المنطقة التى كانت فى أثناء العمليات ضد المتمردين.

(*) أى عام ١٩٥٩ زمن تأليف الكتاب . (المترجم)

وتقع ولاية رءوس الجبال فى أقصى شمال مسقط، وهى شبه جزيرة صخرية تعرف باسم شبه جزيرة مسندم، وتقع بين الخليج الفارسى وخليج عمان جنوب مضايق هرمز. وكلها جبال يصل ارتفاعها إلى عدة آلاف من الأقدام، ولها وسط يشبه وسط الدبور حيث لا يفصل خليجى إلفنستون ومالكولم إلا أرض عرضها بضع مئات فقط من الياردات. والساحل مهيب وعر. ويشبهون خليج إلفنستون بالأزقة البحرية النرويجية، لكن قيظ الصيف هنا شديد. وفى عام ١٨٦٤ تم تركيب أسلاك هاتفية بين الهند وأوروبا على البر من خليج مالكولم، وأقيمت محطة للبرق على جزيرة صغيرة فى هذا الخليج. لكن هذه المحطة هُجرت بعد بضع سنوات بسبب ما يقال عن عدد من حوادث الانتحار التى وقعت بين موظفيها، وتم نقل الأسلاك حول رأس شبه الجزيرة. وتوجد على مقربة من رأس شبه الجزيرة، وعلى الجانب الإيرانى للخليج جزيرة صغيرة تسمى جزيرة الغنم يحتفظ الأسطول البريطانى الملكى فيها - بإذن من السلطان- بقاعدة صغيرة له، لكن السلطان استرد الجزيرة مؤخراً، وإن سمح للسفن البريطانية بمواصلة استخدامها للأغراض الترفيهية. وتوفر القناة التى تقع بين الجزيرة والأرض الرئيسية - والتى تعرف باسم خور - مرسى آمناً ومكاناً ممتازاً لصيد الأسماك. وتقع جزر Quoin فى مضيق هرمز على طرف شبه الجزيرة، وتعرف فى العربية باسم جزر سلامة وبناتها. وفوق إحدى هذه الجزر تحتفظ مصلحة الإنارة للخليج الفارسى بفنار. ويقيم والى السلطان فى خصب جنوب مدخل خليج إلفنستون. ويتكون سكان شبه الجزيرة كلهم تقريباً من قبيلة تعرف باسم قبيلة الشحوح، ويتكلمون لغة خاصة بهم، وهم من أصل غير عربى على الأرجح. ويرى البعض أن لهم صلة بالشوحيين الذين ورد اسمهم فى سفر أيوب (*)، وهم خشنون ينفرون من الغرباء، ويعيشون حياة غير مستقرة محفوفة بالمخاطر، ويصيدون الأسماك ويزرعون الحدائق فى الجبال. ويقيم فى قرية كُمْزار بين خور قُوَى وخليج إلفنستون قوم يتحدثون لهجة فارسية، والأرجح أنهم قدموا أصلاً من إيران.

وتمتد رؤوس الجبال جنوباً إلى شعام على الجانب الغربى لشبه الجزيرة وتشمل جزءاً من الجانب الشرقى من دبا. بعد ذلك يتداخل شريط من أراضى دول الساحل

(*) ورد اسم بلد الشوحى فى سفر أيوب بالتوراة كأحد أصدقاء أيوب وندمائه . (المترجم)

المتصالح لتعود أرض السلطان مرة أخرى عند خطمة ملاحة بجوار المُرير. ومدخل وادى القَر من التلال. ومن هنا حتى السيب، وهى مسافة تبلغ حوالى ١٥٠ ميلاً، يمتد ساحل الباطنة بشريط من البساتين على طوله بالقرب من الساحل بعمق يبلغ حوالى ميل فى المتوسط. وتروى هذه البساتين الآبار والقنوات الجوفية، وتنتج التمر والليمون والمانجو وفواكه أخرى. وعلى أطراف البساتين يُزرع القمح ومحاصيل أخرى بكميات قليلة. وتتناثر أشجار السنط التى يرتفع وراءها تدريجيا نحو التلال - وعلى بعد عشرة أميال - سهل فاصل مفروش بالحصباء. وهناك العديد من القرى التى يقع معظمها على شاطئ البحر. وتوجد فى أهم هذه القرى قلاع قديمة جميلة المنظر يقيم فيها الوالى، ويرجع تاريخ بعض هذه القلاع إلى الاحتلال البرتغالى لمسقط فى القرن السادس عشر. وتعتبر صُحار - التى تقع على بعد أربعين ميلاً جنوب المُرير فى وسط الطريق بين الشارقة ومسقط - عاصمة ساحل الباطنة. وبالإضافة إلى القلعة الضخمة المهيبة بها يوجد مكتب للجمارك يُستخدم كذلك كاستراحة. وتعسكر خارج المدينة كتيبة من قوات السلطان النظامية. وسكان الباطنة خليط من العرب وأغلبية من البلوش، وهم يعتمدون فى معيشتهم على زراعة البساتين وصيد الأسماك. وتوجد أسواق فى القرى الكبيرة. وفى صُحار يدير الهنود والخوجة محلات البيع، كما يوجد قليل منهم فى أماكن أخرى. وتغص البساتين بالطيور، وينتشر الحجل الرمادى اللون. وتظهر فى الجو البارد أسراب ضخمة من القطا فى السهول المجاورة. كما يوجد البط فى البرك والخلجان حيث تتجه مجارى المياه نحو البحر. وتقع وراء تلال الباطنة منطقتا جُو - وهو اسم نجده فى المعاجم الجغرافية لكنه قلما يُستخدم - والظاهرة. وتشمل واحة البريمى التى تضم ثمانى قرى، اثنتان منها - كما سبقت الإشارة - يتبعان السلطان، بينما القرى الباقية تخضع لسلطة أبو ظبى. وقبائل المنطقتين تكاد تكون كلها سنية المذهب، وجميعهم عرب فيما عدا قرية واحدة اسمها بلوش لكن أهلها يستخدمون اللغة العربية كما اكتسبوا العادات العربية. وبالإضافة إلى البريمى هناك عدة واحات أصغر تقع عند سفوح التلال وجزء من سكانها مستقرون بينما الجزء الآخر بدو. وفى السنوات السابقة لم تكن المنطقة تحت حكم السلطان ولا حكم الإمام، فكانت بذلك حقلاً خصبًا للتدخل السعودى. لكن السلطان قد بسط الآن سيطرته التامة على المنطقة ويحتفظ بقوات له فيها.

والساحل الذى يمتد ١١٠ أميال من السيب إلى رأس الحد - أقصى الطرف الجنوبى الشرقى لشبه الجزيرة العربية - قاحل وأغلبه محاط على امتداده بالمنحدرات الصخرية، وتقع عليه مدن مطرح ومسقط وصور وبضع قرى صغيرة لصيد الأسماك فى الأماكن التى تتراجع فيها المنحدرات الصخرية عن البحر وتوجد بها مياه صالحة للشرب. أما الداخل فيكاد يتكون من تلال جرداء وسهول صخرية .. ومطرح هى أكبر مدن السلطنة يقطن بها ٨٠٠٠ نسمة كما يقع بها السوق الرئيسى، ويتردد عليها رجال القبائل من الداخل بأعداد كبيرة لبيع منتجاتهم وشراء حاجاتهم، وهى تقع على قوس يمتد إلى شاطئ البحر، ومليئة بالأزقة التى كانت قذرة جداً، لكنها الآن أحسن حالاً بفضل مجهودات المسئولين فى البلدية. وبين السكان مستعمرة كبيرة للخوجة، وهم طائفة من الشيعة المسلمين الذين اكتسبوا بعض العادات الهندية. وقد هاجر أسلافهم من كَتْش على الساحل الغربى للهند منذ بضعة أجيال مضت، وهم طائفة شديدة الترابط. وقد حصل أغلبهم على الجنسية المسقطية منذ انتقال السلطة فى الهند، لكن قليلين منهم احتفظ بالجنسية البريطانية دون أن يكونوا مواطنين بريطانيين. ومطرح معناها مكان الرسو، وميناؤها - الذى يقع فى مكان آمن من الرياح الشمالية الغربية - تتردد عليه السفن المحلية كثيراً. لكن السفن عابرة المحيطات لا ترسو عليه عادة إلا إذا لم تستطع استخدام ميناء مسقط المعرض للرياح الشمالية الغربية، والمسافة بين الميناءين ثلاثة أميال فقط براً.

وميناء مسقط من أجمل الأماكن فى العالم. وهو ذو شكل شبه مستدير تغلفه سلسلة تلال بركانية سوداء قاحلة مليئة بالفجوات، منقوش عليها أسماء السفن التى زارت مسقط خلال الأعوام المائة الأخيرة تقريباً. ويواجه المدينة مدخل الميناء تحيط به من الجانبين القلاع البرتغالية الجميلة. وفى المقدمة يشع بياضاً قصر السلطان والقنصلية العامة البريطانية. وعندما يحيى البلاد أحد رجال الجيش عند وصوله فإن مدفعية السلطان ترد التحية من فوق أحد القلاع فتردد التلال قعقعتها. ويتجمع الصبية فى القوارب الصغيرة حول السفينة للغطس لانتشال قطع النقد المعدنية ولبيع الأسماك والأصداف الاستوائية الغريبة. وأحياناً ما يزدحم الخليج بقناديل البحر لدرجة أن السفن تغادر الميناء خوفاً من أن تسد فتحات امتصاصها. وفى فصول معينة من السنة

تشق سطح الماء ليلاً أشياء تسبب وهجًا شديداً فسفوريا، وإذا غمرت يدك فى البحر وسحبتها فإنك ترى المياه تنزلق من فوقها على شكل نقط متوهجة وآثار سمكة تقفز مبتعدة عن طريق قارب يقترب تكون عبارة عن "وهج نار ذهبية". فإذا ابتعدنا عن واجهة البحر فى مسقط فإننا لا نجد إلا القليل مما يستحق الرؤية. فمسقط مقامة فى مكان ضيق داخل أسوار تحميها ومزدحمة بأزقة ضيقة على جانبيها بيوت ذات طابقين، والجزء الذى يقع من المدينة خارج السور أكثر انكشافًا، وهناك عدة دكاكين قليلة خارج السور، لكن السوق الرئيسية فى الداخل، وهى ليست سوقًا كبيرة. والسكان الذى يبلغ عددهم ٥٠٠٠ نسمة خليط يشمل الهنود والبلوش والباكستانيين. والنساء البلوشيات يخرجن سافرات فى ثياب ملونة. ويقيم بالمدينة عدد قليل من العرب بخلاف أعضاء الأسرة الحاكمة وخدمهم. وبالرغم من جو مسقط فإنه مكان له سحره الفتان على هؤلاء الذين يعرفونها.

وتقع صور على بعد ٨٥ ميلاً جنوبى شرق مسقط وعلى بعد عشرة أميال غربى رأس الحد، وهى تحمل الاسم نفسه لميناء صور الذى يقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط. وهى مدينة قديمة جدا لم تتأثر بعد بالنفوذ الغربى. ومعظم سكانها من العرب فما عدا عدد قليل من أصحاب المحلات التجارية الهنود، ويعيشون على ركوب البحر وصيد السمك، وتبحر مراكب صور إلى الهند ومنها، وترافق السفن الكويتية فى رحلتها السنوية إلى ساحل أفريقيا الشرقى. وتنقسم المدينة إلى قسمين تسكنهما قبيلتان مختلفتان كانت بينهما ثارات فى الماضى. وفى بلاد صور - التى تقع على بعد ميلين من الشاطئ - توجد بساتين نخل كثيفة وقلعة قديمة يقيم فيها والى السلطان. وبين صور ورأس الحد يقع خليج كبير يسمى خور جاراما يسمح عمقه للسفن عابرة المحيطات باستخدامه إذا استطاعت أن تعبر مدخله الضيق. وقد قام سلاح الطيران الملكى بإقامة مطار فى رأس الحد أثناء الحرب الأخيرة، ولكنها قلما استخدمته منذ ذلك الحين.

وغرب المنطقة التى تم وصفها فيما سبق تقع عمان الوسطى بجبالها التى ترتفع إلى ما يقرب من عشرة آلاف قدم عند الجبل الأخضر، وتمتد الصحراء فيسكنها عدد قليل من البدو. ونتيجة لثأر قديم طال أمده تنقسم القبائل إلى فريقين: الغافرية

والهناوية، وذلك أشبه بالفريقين الأبيض والأسود فى قبائل الباثان بباكستان وأفغانستان. ولا ترجع عوامل الخلاف بين الفريقين إلى عامل دينى أو خلافات سياسية حاليًا، بل إلى الفريق الذى انحازت إليه كل قبيلة فى معركة قامت منذ قرون مضت. ورجال القبائل – حتى خارج عمان – ينسبون أنفسهم إلى هذا الفريق أو ذاك. وقد أخذت فى التضاؤل تلك المشاعر التى تقوم على هذه التفرقة، لكنها ما تزال تلعب دورًا فى السياسة المحلية. ومن عام ١٩١٣ حتى احتلال السلطان نزوى عام ١٩٥٥ كانت معظم هذه المنطقة فى نطاق نفوذ الإمام الذى كان يمتلك نطاقًا إداريا مفككًا، وكان يتدخل من حين لآخر لتسوية الضغائن والاحتفاظ بالقانون والنظام. وقد كان الإمام الخليلى معارضًا بشدة لأى شكل من أشكال التدخل الغربى، ولم يسمح فى أى وقت من الأوقات لأحد الشيوخ الزعماء بإحضار سيارة فى البلاد. والمسيحى الوحيد الذى كان مسموحًا له بالتجول فى الجبال هو طبيب الإرسالية الأمريكية فى مسقط. ويعتمد القوم فى معيشتهم على منتجات بساتينهم وقطعان ماشيتهم، وعليهم أن يبيعوا هذه المنتجات فى المدن الساحلية التى تقع تحت سيطرة السلطان. وقد أصبح وضعهم الاقتصادى خطيرًا عندما ارتفعت أسعار المواد المستوردة بعد الحرب العالمية الأخيرة، مما أدى إلى هجرة الكثيرين إلى الدول المنتجة للنفط. كما أدى تدهور أحوالهم أيضًا إلى إضعاف أفكارهم المضادة للغرب وإلى رغبة الكثيرين منهم لأن يروا بلدهم مفتوحة لاستكشاف شركات النفط. ويرجع هذا فى جانب منه إلى غياب المعارضة التى تصدى لها السلطان عندما طرد الإمام عام ١٩٥٥ . وقد قام مستر ويلفريد ثيسيجر باستكشاف الصحراء الغربية لعمان ما بين عامى ١٩٤٦ و ١٩٤٧، ومرة أخرى عامى ١٩٤٨ و ١٩٤٩، وقد وصف رحلاته فى مقالين من أمتع المقالات فى مجلة الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية (*) .

والساحل الجنوبى لشبه الجزيرة العربية الذى يمتد من رأس الحد إلى رأس شربتات – ويعتبره السلطان الحدود بين عمان وظفار – ساحل قاحل وقاس وتقع خلفه –

(*) The Geographical Journal, Vol.CXI.Nos.1-3 and XVI Nos. 4-6 (المترجم)

فى معظم أجزائه - تلال منخفضة أو امتداد صحراوى متموج. والسكان قليلون جدا، وليس هناك موانئ ذات أهمية. وتقع جزيرة مصيرة الكبيرة فى منتصف هذا الساحل على بعد عشرة أميال منه، ويوجد بها مطار تشرف عليه كتيبة من سلاح الجو الملكى، وتحرسه قوات من محمية عدن. وتقوم بزيارته بانتظام طائرات سلاح الجو الملكى من عدن، ومن حين لآخر طائرات أخرى بعد حصولها على إذن من قائد القوات المسلحة البريطانية لشبه الجزيرة العربية المقيم فى عدن وذلك طبقًا للصلاحيات المخولة له من السلطان. والجزيرة جرداء قلما يسكنها أحد، لكن مناخها معقول نسبيا بفضل الرياح الموسمية. وتمتد ولاية ظفار من رأس شربتات شرقًا حتى حدودها مع محمية عدن عند رأس ضربة على غربًا. وتتكون من سهل ساحلى لا يزيد عرضه عن عشرة أميال، وشريط من الجبال يرتفع ما بين ٣٠٠٠ و ٤٠٠٠ قدم ثم الصحراء. وحدودها الشمالية لم يتم تحديدها بدقة قط، لكن الأرض التى يعلن السلطان تبعيتها له تتضمن وادى مَقْشِنْ الذى يقع على بعد ١٥٠ ميلاً داخل البلاد.

ويستفيد النصف الغربى من السهل الساحلى والتلال المطلة عليه بالأمطار الموسمية ما بين يونيو وسبتمبر، وخلال تلك الفترة عادة ما تغطى البلاد كلها غلالة من الضباب لمدة أيام متتالية. وبالسهل بساتين كثيفة من نخيل النارجيل النحيف السيقان والبساتين التى تنتج كميات وافرة من الفاكهة لاسيما الموز والفافاى. والموز من الأنواع الممتازة، بعكس ما تنتجه منه أماكن أخرى فى دول الخليج. ويهدى السلطان عناقيد ضخمة منه لزائريه فى صلالة من ضباط الجيش البريطانى. كما يُزرع الدخن وقصب السكر ومحاصيل أخرى. والتلال مغطاة بالأشجار والشجيرات والحشائش، كما توجد هنا شجرة اللبان. وهى شجرة قصيرة سميكة، ويتم الحصول على البخور من قَطْع لحاء الشجر وجمع الصمغ الذى يسيل من الجرح ثم تجفيفه، ويجمعونه بعد ذلك فى أكوام لها لون العنبر. وظُفار هى - وكما كانت دائمًا - المصدر الرئيسى، إن لم يكن الوحيد، لإمداد العالم بالبخور. وتوجد قنوات جارية ومساقط مياه فى الوديان ووفرة من الطيور بما فى ذلك الحمام الأخضر الجميل الذى يأكل حبات التين الصغيرة من على أشجاره الضخمة. والبلد كلها جنة بالنسبة لهؤلاء الذين ألفوا الجفاف فى معظم بقية شبه الجزيرة العربية. ويفضلها السلطان عن مسقط كثيراً، ويقضى جزءًا كبيراً من وقته

فى مدينتها الرئيسية صلاله حيث يمتلك قصراً رائعًا. كما يقيم فيها أيضًا الوالى الذى يدير الولاية، كذلك فإن بها عدة أبنية حكومية بما فى ذلك مدرسة. ويقع خارج المدينة مطار تشرف عليه كتيبة من سلاح الجو الملكى، تقوم بزيارته بانتظام طائرات سلاح الجو البريطانى من عدن، وطائرات أخرى من حين لآخر، شأنه فى ذلك شأن مطار مصيره. ويرتبط العرب المحليون بصلة القرابة بقبائل محمية عدن، ويختلفون عن العمانيين تمامًا. وعادة ما يرتدون قطعة قماش تغطى الحقوين فقط وحزامًا وقطعة قماش تلتف حول خصلات شعرهم الأشعث. ورغم أن معظمهم يعرف العربية فإنهم يتحدثون فيما بينهم وبين بعضهم لهجة تسمى الشحرى. وهم يحتفظون بقطعان كبيرة من الجمال صغيرة الحجم عديمة السنام، تُستخدم كعملة محلية فى الصفقات التجارية الضخمة مثل شراء عروس. أما فى الأغراض العادية فيستخدمون دولار ماريا تيريزا كعملة. ويعتمدون فى معيشتهم على منتجات الماشية والبساتين والمحاصيل وكذلك السمك الذى يعج به البحر. ويصدرون البخور والسمك المجفف لاسيما السردين المجفف. ووضعهم الاقتصادى جيد - بوجه عام - يوفر لهم ما يكفيهم لحياتهم البسيطة التى يعيشونها. وقد مد السلطان عدداً من الطرق فى الولاية وربطها بمسقط مؤخراً بطريق ممهد للسيارات. وليس بها ميناء، والهبوط إلى البر فيها متعذر دائمًا بسبب الأمواج المتكسرة على الشاطئ، وهو مستحيل أثناء الأمطار الموسمية. ولو كان الدخول إلى الولاية أكثر سهولة لأمكن عمل الكثير لما فيها من إمكانات كمنطقة منتجة للفواكه والسكر. ولم يتم بعد اكتشاف ثروة معدنية ذات قيمة، اللهم إلا بعض النفط قليل الجودة.

وبعيداً عن ساحل الطرف الشرقى للولاية تقع جزر كوريا موريا (*)، وتُعرف محليا باسم جزر ابن خلفان. وقد سبق أن أهداها سلطان مسقط إلى الملكة فكتوريا عام ١٨٥٤، وهى مرتبطة اسميًا بمستعمرة عدن، لكنها - لأسباب إدارية - تحت إشراف معتمدية الخليج الفارسى. وبعد أن تخلى السلطان عن ملكيتها تم - ولبضع سنوات قلائل- استغلال ما بها من سماد طبيعى من ذرق الطيور البحرية. ولا يذكر التاريخ بعد ذلك شيئًا سوى أن مهربى الحشيش كانوا يستخدمونها فى وقت من الأوقات.

(*) تسمى حاليًا جزر الحلانيات . (المترجم)

وبعض هذه الجزر عبارة عن صخور جرداء، لكن فى جزيرتين منها تلال ترتفع بضع مئات من الأقدام وفيها بعض الخضرة وقليل من الماء. وجزيرة واحدة منها - هى جزيرة حَلانية - آهلة بسكان يبلغ عددهم حوالى خمسين نفساً يعيشون على صيد الأسماك بالفخاخ ثم تجفيف ما يصدِّرونه. وليس لديهم قوارب يمتلكونها، لكن قوارب قرية مرباط الواقعة على الساحل المجاور لهم تقوم بزيارتهم من حين لآخر لتحضر لهم مطالبهم البسيطة فى مقابل أسماكهم. كما يقوم أحد رجال الجيش البريطانى بزيارتها من حين لآخر، وفى هذه الحالة يتم عادة تقديم الدقيق والسكر والشاى للأهالى. وهم على اتصال وثيق بمرباط ، ومن المرجح أن معظمهم جاء منها. وهم قوم ذوو حياء شديد، وتلجأ جميع النساء إلى الجبال عندما يزور الأوروبيون الجزيرة.

وقد ولد سعيد بن تيمور سلطان مسقط وعمان الحالى عام ١٩١٠، وخلف والده تيمور بن فيصل عند اعتزاله الحكم عام ١٩٢٣، وهو ما يزال حيا يعيش فى بومباى (*). ويقيم السلطان سعيد أحيانًا فى مسقط وأحيانـًا أخرى فى صلاله بولاية ظفار. ولا يستخدم لقبًا رسميا له، لكنهم يخاطبونه بلقب : "صاحب السمو" فى المراسلات الخاصة والمحادثات التى تكتب أو تدور بالإنجليزية . وقد تلقى تعليمه فى الهند والعراق، ويتحدث الإنجليزية جيداً.

وقد قامت بريطانيا فى الماضى بمنحه هو وأسلافه معونة اقتصادية وعسكرية، وأحيانًا ما تتولى - بناء على طلب خاص منه - المفاوضات مع الدول الأجنبية. وفى الخطابات المتبادلة عام ١٩٥٨ قامت بريطانيا بتوسيع نطاق المعونة لتشمل تقوية جيش السلطان وإنشاء سلاح جوى والمساعدة فى تنفيذ برنامج تنمية مدنى، كما وافق السلطان على توسيع نطاق الأنظمة القائمة المتصلة بالطيران المدنى، واستخدام سلاح الجو الملكى البريطانى لمطارات صلاله وجزيرة مصيرة. وليس لبريطانيا العظمى وضع استثنائى فى مسقط مشابه لذلك الوضع الذى تتمتع به فى مشيخات الخليج. وتحكم المعاهدات التجارية العلاقات بين الدولتين، وقد تم وضع آخر هذه المعاهدات موضع التنفيذ عام ١٩٥١ . كما أن هناك اتفاقيات أقدم تتصل بنقل العبيد والأسلحة مشابهة

(*) توفى عام ١٩٦٥، كما توفى ابنه سعيد عام ١٩٧١ بعد أن اعتزل الحكم عام ١٩٧٠ . (المترجم)

لتلك الاتفاقيات التى تلتزم بها المشيخات. وتحتفظ الحكومة البريطانية بقنصلية عامة فى مسقط. ويساعد القنصل العام نائب القنصل، وهو يخضع للمقيم السياسى فى الخليج الفارسى. ويمارس - بموافقة السلطان - سلطة قضائية تامة على مواطنى المملكة المتحدة والمستعمرات، وسلطة قضائية محدودة على بعض مواطنى دول الكومونولث الأخرى. وتقع القنصلية العامة فى الركن الجنوبى من الميناء حيث توجد ثغرة فى التلال المحيطة تعرضها لأى نسيم عليل قد يهب. وللسلطان معاهدات مع الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا والهند واتفاقية تجارية مع هولندا. وفى ديسمبر عام ١٩٥٨ تم فى صلاله توقيع معاهدة صداقة وعلاقات اقتصادية وحقوق قنصلية بين الولايات المتحدة الأمريكية ومسقط وعمان، وهذه المعاهدات تحل محل المعاهدة القديمة المبرمة عام ١٨٣٣، وتنص - من بين أمور أخرى نصت عليها - على إيجاد تمثيل قنصلى أمريكى فى مسقط. ولم يتم حتى الآن تعيين مثل هذا الممثل. ويقوم حاليًا موظفو القنصلية الأمريكية فى عدن بالإشراف على مصالح بلادهم فى مسقط. والهند هى البلد الوحيدة حاليًا - بخلاف بريطانيا العظمى - الذى له ممثل قنصلى فى مسقط. وليس للسلطان ممثلون فى الخارج . ويقوم ممثلو بريطانيا فى الدول الأجنبية أحيانًا بدور حلقة الاتصال معه، لكنهم لا يتصرفون باسمه إلا بناء على طلب خاص منه.

وحكم السلطان حكم شخصى تمامًا. وكبار موظفيه هو: وزير عربى للداخلية، وسكرتيران بريطانيان أحدهما عسكرى والآخر للتنمية، وباكستانى للاقتصاد والشئون الخارجية، ومدير عام مصرى للجمارك. ومصدر دخله أساسًا من الجمارك والضرائب على التمر والسمك ومنتجات أخرى. ولم يتم بعد اكتشاف النفط فى أرضه لكنه يتلقى مبالغ سنوية من الشركات التى تملك حق الامتياز منه. والدخل قليل لا يوفر إلا نطاقًا صغيرًا للتنمية، لكن الدولة قادرة على الوفاء بجميع ديونها. والإدارة المحلية موكولة للولاة والمحافظين فى المراكز الرئيسية السكنية. وهم يجبون الضرائب على المحاصيل، ويقومون بتسوية الخلافات الصغيرة، كما أنهم مسئولون أمام السلطان - من خلال وزير الداخلية - عن الأمن وسير الأمور سيرًا حسنًا فى مناطقهم - بوجه عام - فيما عدا ظفار حيث الوالى مسئول أمام السلطان مباشرة. ويوجد قاض شرعى فى معظم المناطق ينظر فى القضايا الأكثر خطورة. وفى مسقط مجموعة من القضاة ومحكمة

رئيسية تنظر فى القضايا المستأنفة. كذلك هناك محكمة خاصة للنظر فى القضايا التى يكون الأجانب طرفًا فيها. وأما شئون بلديتىْ مسقط ومطرح فموكولة إلى لجنة يرأسها والى مطرح. وطارق شقيق السلطان هو المنفذ الإدارى للجنة. وفى مسقط مدرسة حكومية فى مبنى حديث ، لكنها لا تُعْنَى إلا بالتعليم الابتدائى، ومستوى التعليم حاليًا مستوى منخفض - بوجه عام - ونقص المتعلمين من سكان مسقط أرغم السلطان على استخدام الأجانب فى إداراته. ولا يوجد مستشفى حكومى لكن السلطان يساهم فى صيانة مستشفى خيرى فى مسقط يتولاه طبيب القنصلية البريطانية. كما تحتفظ إرسالية الكنيسة الهولندية الإصلاحية فى أمريكا بمستشفى أكبر فى مطرح يلقى رعاية كبيرة من رجال القبائل العمانية. وتقوم قوة شرطة صغيرة مكونة من خمسين رجلاً لا يرتدون زيا رسميا بمسئولية حفظ النظام والقانون فى مسقط ومطرح. أما لحماية عمان ككل فلدى السلطان جيش جيد التسلح مكون من حوالى ١٢٠٠ رجل تحت قيادة ضباط بريطانيين، ورئاسته فى بيت الفلج على بُعد حوالى خمسة أميال غربى مسقط، كما أن هناك كتائب تتمركز فى صُحار على ساحل الباطنة والبريمى وعبرى فى منطقة الظاهرة، ونزوى فى وسط عمان. كذلك هناك قوة خاصة فى ظُفار مكونة من حوالى مائة رجل تحت قيادة ضابط بريطانى.

وقد حصلت شركة نفط العراق على حق امتياز النفط فى مسقط وعمان وظفار عام ١٩٣٧، وانتهى حق الامتياز هذا منذ بضع سنوات بسبب نتائج المسح المحبطة. بعدها حصلت شركة تنمية نفط عمان المحدودة على حق الامتياز فى مسقط وعمان ولها ممثل فى مسقط. وعمليات الحفر مستمرة فى جبال جنوب عمان لكن لم يتم اكتشاف نفط حتى الآن. وفى ظفار تمتلك الآن حق الامتياز شركة أمريكية اسمها سيتيز سيرفيس أوف نيويورك Cities Service of New York ، وقد أمكن العثور على بعض النفط لكنه قليل الجودة حتى الآن.

ويعتمد معظم سكان السلطنة فى معيشتهم -خارج المراكز التجارية فى مسقط ومطرح - على منتجات البساتين وصيد الأسماك. ومن المرجح أن هناك مجالاً كبيراً لتنمية فن البستنة والزراعة وصناعة الأسماك عندما يسمح اقتصاد الدولة بذلك. ويعتقد الخبراء أنه يمكن توفير المياه للزراعة على ساحل الباطنة، وأن هناك مجالاً لتصدير

السمك الطازج فى سفن الثلاجات إلى المراكز المنتجة للنفط فى الخليج الفارسى حيث لا يفى إنتاجهم منه بحاجتهم.

وتجارة الدولة – إلى حد كبير – فى أيدى هنود مسقط وخوجة مطرح. والارتباط التجارى مع الهند أقوى من ارتباط المشيخات. وقد كانت مسقط تستمتع بكونها مركزًا تجاريا مهمًا، لكنها الآن لا تصدر إلا القليل مما يفيض عن حاجتها المحلية. وتقوم بواخر بريد شركة الملاحة التجارية للهند البريطانية – التى تتردد بين بومباى والبصرة – بزيارة أسبوعية لمسقط فى كلا الاتجاهين. كما تقوم سفن الشحن البريطانية والهولندية بزيارات من حين لآخر. ولإحدى شركات الملاحة البريطانية مكتب فى مسقط، لكن تقوم بتنظيم عملية النزول إلى البر شركة يمتلكها الخوجة. ويحتفظ مكتب البريد العام فى لندن بمكتب بريد فى القنصلية العامة البريطانية فى مسقط. وطبقًا لامتياز ممنوح من السلطات تحتفظ شركة الاتصالات السلكية واللاسلكية المحدودة بمكتب للبرق فى مسقط، وتتصل بالعالم الخارجى سلكيا ولا سلكيا. كما أنها تقوم بتشغيل مقسم هاتفى. بينما تقوم المحطة اللاسلكية التابعة لسلاح الجو الملكى فى صلاله بظُفار بنقل الرسائل منها وإليها أو لحساب السلطان، لكن من غير المسموح للجمهور استخدامها.

والبحر هو الوسيلة الوحيدة المأمونة للوصول إلى مسقط. صحيح أنه يمكن الوصول إليها برا عن طريق الشارقة لكنها رحلة شاقة. ويوجد مطار فى بيت الفلج بالقرب من مركز رئاسة الجيش السلطانى، لكنه مطار محاط بالتلال ولا يمكن استخدامه إلا للطائرات الصغيرة. وتقوم شركة طيران الخليج برحلة أسبوعيًا من البحرين مارة بالشارقة. كما أقامت شركة تنمية نفط عمان المحدودة مطارًا آخر لاستخدامها الخاص فى العذيبة على بعد ٢٥ ميلاً شمال مسقط. ويقال إنه صالح لجميع أنواع الطائرات. وقد سبقت الإشارة إلى مطارات سلاح الجو الملكى فى صلاله ومصيره.

ولم يصدر السلطان قانونًا للجنسية، لكنه يصدر جوازات سفر لهؤلاء الذين يعتبرهم رعاياه. وامتلاك مثل هذا الجواز يعتبر عادة دليلاً على الجنسية المسقطية.

ومكاتب الجوازات البريطانية مخوَّلة لمنح تأشيرات دخول مسقط للرعايا البريطانيين والأشخاص الذين فى حمايتها دون الإشارة إلى حكومة مسقط. أما بالنسبة لجميع الأجانب الآخرين فلابد من الإشارة إلى حكومة مسقط. ومن غير المسموح به زيارة مسقط دون تأشيرة لمواطنى مشيخات الخليج إلا لرعايا الدول المتصالحة. وركاب بواخر البريد التى تزور مسقط. والذين لا ينوون النزول فيها، لابد لهم من إذن خاص من حكومة مسقط للنزول على الشاطئ.

والجالية الغربية فى مسقط ومطرح جالية صغيرة قلما تتجاوز ثلاثين شخصًا. وعلى الأرجح فنتيجة لذلك هناك حياة اجتماعية أكثر اختلاطًا بين مختلف الجاليات عما هو فى المشيخات، ويوجد ناديان أو ثلاثة يلتقى فيها أقرباء السلطان والمقيمون البريطانيون والهنود وغيرهم ليمارسوا الألعاب الداخلية والخارجية ولتمضية الوقت معًا. وتعتبر الهوكى الرياضة الوطنية، والفريق الوطنى المكون من أحد عشر شخصًا يمكن أن يهزم عادة فريقًا مكونًا من رجال الجيش البريطانى.

وبالرغم من الجو فإن المكان يبعث على المرح. وهو مكان صحى رغم أنه لا يخلو من الملاريا. وتختلف جودة المياه طبقًا لكمية سقوط المطر، لكنها صالحة للشرب دائمًا، وهناك كمية كافية منها. ولا توجد إمدادات كهربائية عامة، لكن كبار المقيمين يحصلون على التيار الكهربائى من محطة الكهرباء التابعة للدولة.

وليس هناك فندق أو استراحة عامة فى مسقط. وعلى الزائر الغربى أن يعثر على شخص على استعداد لاستضافته عنده، وعند وصوله سيجد من يرشده لما يجب وما لا يجب أن يفعل. فالتدخين علنًا ممنوع فى المدينة، وبعد ساعتين أو ثلاث من غروب الشمس ينطلق أحد المدافع بعدها كل من يوجد فى شارع المدينة المسورة دون مصباح معه يصبح معرضًا للقبض عليه من الشرطة. ولا يمكن الحصول على الخمور إلا بمقتضى ترخيص خاص من السلطان للمسيحيين بعد حصولهم على إذن من القنصلية العامة. ويمكن القيام برحلات جميلة من مسقط إما للشواطئ المغطاة بالأصداف حيث هناك فرصة جيدة للاستحمام أو للواحات فى التلال، لكن لابد من الاستفسار فى كل حالة عما إذا كان الحصول على إذن من السلطات المحلية أمرًا ضروريًا. ويمكن العثور

على القطا والحجل على مقربة من مسقط أثناء موسم هذه الطيور، لكن لابد من الحصول على ترخيص من السلطان قبل القيام برحلة الصيد. والسبب فى هذه القيود حرص السلطان على التأكد من أن رواد دولته يلقون رعاية لائقة ولا يتعرضون لأية مخاطر. ويسود النظام والقانون المناطق الخاضعة لسيطرته ، لكن هناك باستمرار خطورة فى أن يتسبب شخص - يجهل السكان المحليين وعاداتهم - فى إثارة إحدى الحوادث. ومسقط من أجمل الأماكن وأحبها، وتستحق أن يزورها من لديه الفرصة لذلك، لكن مع تجنب الشهور من أبريل حتى نوفمبر، بما فى ذلك هذان الشهران، حيث يكون الجو مرهقًا للغاية.

الفصل الثالث عشر

العلاقات مع الدول الأخرى

الحكومة البريطانية مسئولة عن توجيه العلاقات الخارجية لدول الخليج الفارسي بالإضافة إلى مسقط وذلك على المستوى الدبلوماسي. ولقد سبق أن ناقشت هذا الوضع مناقشة كاملة. وفي هذا الفصل نعرض للعلاقات العادية لدول الخليج مع جاراتها ومع الدول الأخرى ذات الاهتمام بالمنطقة.

ولابد من أن نضع في ذاكرتنا أن دول الخليج جزء من العالم العربي. والمشيخات الأكثر تقدمًا على وعي بذلك، وتولى اهتمامها العميق لكل التحركات العربية. فالصحف المصرية والعراقية تلقى رواجًا واسعًا، كما أن هناك إقبالاً شديدًا على الاستماع إلى إذاعات القاهرة وبغداد والعواصم العربية الأخرى. والذين لا يملكون أجهزة إذاعية يستطيعون الاستماع إليها في المقاهي. وتوجد أجهزة تعمل بالبطاريات في القرى النائية حيث لا توجد إمدادات كهربائية. ويقضي رجال القبائل القادمون إلى المدن للحصول على مؤونتهم كثيرًا من أوقاتهم في المقاهي وهم يستمعون إلى الإذاعة. والأهالي في البحرين والكويت وقطر معرضون الآن للتأثير المباشر للدعاية التي تبثها الإذاعة. وهناك عدد قليل نسبيا في الدول المتصالحة ومسقط ممن لديهم فرصة الاستماع بانتظام إلى الإذاعات، لكن الأنباء ووجهات النظر التي تصل عبر الأثير في المدن مثل دبي ومطرح سرعان ما تتناقلها الشفاه لتصل إلى المناطق النائية. وليس هناك دولة خليجية عضو في جامعة الدول العربية، لكن البحرين والكويت ترسلان أحيانًا ممثلين عنهما في المؤتمرات الثقافية التي تعقدها الجامعة، وتبديان ميلاً نحو الأخذ بسياستها المعادية لإسرائيل.

والدول العربية الوحيدة التى تجاور دول الخليج مجاورة مباشرة هى المملكة العربية السعودية والعراق. وكان كل حكام الخليج - فيما عدا استثناءات قليلة- يكنون احترمًا عميقًا للملك الراحل عبد العزيز آل سعود، ويضعونه فى منزلة الوالد. وهم يحترمون بلا شك خلفه، لكن ليس معنى ذلك أنهم لن يتخذوا موقفًا حازمًا ضد أية محاولة سعودية لانتهاك أراضيهم، لكنهم - باستثناء ذلك - على استعداد لعمل كل ما يمكنهم حتى يتجنبوا أية إساءة. وهناك خلافات لم تتم تسويتها بعدُ حول الحدود فى البر والبحر وملكية بعض الجزر، لكن العلاقات الودية هى التى تتغلب بين دول الخليج والمملكة العربية السعودية. ويقوم بعض الحكام بزيارة الرياض أو مكة من حين لآخر، وفى شهور الشتاء يقوم أعضاء الأسر الحاكمة فى كل من البحرين والكويت بصيد طيور الحبارى بصقورهم فى صحراء المملكة العربية السعودية. وهناك قيود قليلة على السفر من دول الخليج إلى المملكة العربية السعودية والعكس وذلك بالنسبة للسكان الأصليين، لكن هذا لا ينطبق على الأوروبيين والأمريكان الذين يقومون بزيارة المملكة العربية السعودية قادمين من دول الخليج، إذ عليهم أن ينفذوا بدقة تعليمات الحصول على تأشيرة ، وأن يدفعوا رسومًا مرتفعة - إلى حد ما - وقد كان الموظفون الأمريكان بشركة النفط العربية الأمريكية - ورياستها فى الظهران على بعد عشرين ميلاً فقط من المنامة - قد تعودوا أن يقوموا بزيارة البحرين دون دفع أية رسوم للتسوق والترفيه، لكن الآن يقوم عدد قليل منهم بتلك الزيارات بسبب الرسوم التى يجب عليهم أن يدفعوها للسعوديين عند عودتهم من البحرين. وبالرغم من تطوير ميناء حديث بالدمام - التى تقع على بعد بضعة أميال من الظهران - فإن كثيراً من البضائع القادمة من الشرق للملكة العربية السعودية ما يزال استيراده عن طريق البحرين والكويت. ولا يوجد أى ممثل رسمى سعودى فى أية دولة خليجية، لكن هناك وزيراً سعوديا بلا وزارة يرأس شركة من شركات الأعمال، ويمكن الرجوع إليه فيما يتصل بزيارة السعودية وبالشئون التجارية، كما يوجد وكيل سعودى غير رسمى فى الكويت، وتقوم شركة طيران الخليج بالبحرين يومياً برحلات جوية بين البحرين والظهران.

* * *

وللعـراق حـدود طـويلة مفتوحـة مع الكويت، ورغم أنـه قـد تم تحديدها إلا أنه لم توضع عليها العلامات بعد. وقد كانت هناك فى الماضى مشاكل بسب التهريب من الكويت عبر هذه الحدود، كما أعلن العراق مرات مطالبته بالسيادة على الكويت، لكن العلاقات فى السنوات الأخيرة أصبحت جيدة بين البلدين. ولا يبدو أن الانقلاب الذى وقع بالعراق فى يوليو ١٩٥٨ كان له تأثير على الوضع. وقد قام حاكم الكويت بزيارة بغداد منذ تغير النظام، واستُقبل بحفاوة، وتمت مناقشة الأمور ذات الاهتمام المشترك مناقشة ودية. وقد توقفت التسهيلات لمنح التأشيرات للزوار القادمين من دول الخليج عند وصولهم البصرة، وأصبح على هؤلاء الزوار الحصول على التأشيرة قبل وصولهم البلاد. والكويتيون فقط هم المسموح لهم بالدخول دون تأشيرة. ولا يوجد ممثلون عراقيون فى أية دولة خليجية لكن الموظفين السياسيين البريطانيين يقومون برعاية المصالح العراقية عندما يُطلب منهم ذلك. وتستورد المشيخات من العراق التمر والفاكهة والحبوب. وتُستخدم الكويت، وكذلك البحرين - بدرجة أقل - كمركز تجارى فى بعض الأحيان للبضائع التجارية وهى فى طريقها إلى العراق. والعلاقات التجارية بين البصرة والموانئ الرئيسية بالمشيخات علاقات وثيقة، ويحتفظ بعض كبار تجار الخليج بمكاتب لهم أو وكالات فى البصرة. وترتبط الكويت بالبصرة برا بطريق صحراوى لمرور السيارات فيه، وتتردد اللنشات والمراكب الخليجية بين موانئ الخليج الرئيسية والبصرة. ويوفر الطيران العراقى رحلة يومية بين الكويت والبصرة، وتصل هذه الرحلة إلى البحرين مرتين أوثلاث مرات أسبوعيا.

* * *

ولبنان هو المنتجع الصيفى للمقيمين الأكثر ثراء فى المشيخات المنتجة للنفط، وهناك عدد من الأولاد البحرينيين والكويتيين الذين يدرسون بالجامعة الأمريكية فى بيروت والمؤسسات التعليمية الأخرى. وتقوم الخطوط الجوية للشرق الأوسط - وهى شركة لبنانية - برحلات منتظمة من بيروت إلى الكويت، وكذلك إلى البحرين عن طريق الظهران. وتُستورد الفاكهة اللبنانية جواً للكويت والبحرين وقطر. ويقوم المقاولون اللبنانيون بأعمال فى هذه المشيخات، كما يُستخدم المدرسون اللبنانيون فى المدارس. والعلاقات مع سوريا مشابهة للعلاقات مع لبنان، ولو أنها ليست على هذا النحو الوثيق.

وتُستورد الفاكهة والحلوى والأقمشة المطرزة من دمشق. وتعتبر المشيخات مصر مركز الثقافة العربية، لكن لا يقصدها الآن إلا قليل من الطلبة، ويرجع ذلك - إلى حد كبير - إلى خوف الحكام من أنهم قد يتعرضون لتأثيرات هدامة. ومن ناحية أخرى، فإن عدداً كبيراً من المدرسين المصريين يقومون بالتدريس فى مدارس البحرين والكويت نظراً لندرة المدرسين المحليين. ومما يُعتبر عاملاً من عوامل الإثارة تلك الدعاية المعادية للغرب التى يبثها هؤلاء المدرسون بالإضافة إلى إذاعة القاهرة. ولا تعترف إيران باستقلال أية دولة من دول الخليج بما فى ذلك مسقط، وتطالب بالسيادة على البحرين على أساس احتلالها لجزرها منذ قرابة مائتى عام مضت. كما تطالب بسيادتها على جزيرة بوموسى وجزر طَمْب التى تدير الأولى الشارقة والثانية رأس الخيمة، وقد احتلت مؤخراً جزيرة فارس التى تقع وسط الخليج الفارسى عند طرفه الشمالى والتى تطالب بها كذلك الكويت والمملكة العربية السعودية. ومواطنو دول الخليج الذين يزورون إيران يعاملون معاملة الرعايا الإيرانيين، ويرغم الكثيرون منهم على الحصول على بطاقة هوية إيرانية، ولا تعترف بجوازات السفر التى تحمل تأشيرات بريطانية بالنسبة لدول الخليج. والأجنبى الراغب فى زيارة إيران من هذه الدول، إن لم يكن يحمل جواز سفر منفصل عليه تأشيرة إيرانية، فإن عليه الحصول على جواز سفر جديد ، ويتقدم بطلب للقنصل الإيرانى فى البصرة للحصول على تأشيرة حيث لا يوجد ممثل إيرانى فى أية دولة من دول الخليج. والخطابات والطرود التى عليها طوابع بحرينية تعامل كأنها بلا طوابع، لكن طوابع دول الخليج الأخرى تكون عادة مقبولة. ويبدو أن السلطات الإيرانية تحاول جاهدة فى بضع السنوات الأخيرة أن تقيم علاقات ودية مع المشيخات بخلاف البحرين، وقام كثير من الحكام بزيارة الشاه. وقد سبقت الإشارة إلى المقيمين الإيرانيين الكثيرين فى المشيخات، وبعضهم حصل على الجنسية المحلية، وأكبر مستعمراتهم توجد فى البحرين ودبى. وحاكم البحرين الآن ضد السماح بمزيد من المقيمين الدائمين بسبب مطالبة إيران بالسيادة على بلده، لكن من الصعب السيطرة على هؤلاء الذين يصلون إلى القرى الساحلية فى قوارب صغيرة. والعلاقات بين العرب والإيرانيين الذين يعيشون بينهم طيِّبة فى كل مكان باستثناء أن الإيرانيين قد يتورطون فى اضطرابات بين السنة والشيعة فى البحرين. ويستطيع كل الإيرانيين تقريباً التحدث بالعربية

بطلاقة، لكن قليلين من العرب يعرفون الفارسية. ولابد من أن يكون البلوش الكثيرون الموجودون فى الدولة المتصالحة ومسقط قد قدموا أصلاً من إيران، واحتفظوا بلغتهم الفارسية، لكن فيما عدا ذلك يبدو أنهم قد قطعوا كل صلة لهم ببلدهم الأصلى. وهم يعملون بصيد الأسماك وكعمال وحراس، ويخدمون فى فرقة مشاة مسقط وشرطة البحرين. وتوجد تجارة كثيرة عبر الخليج معظمها بالمراكب المحلية واللنشات. وتستورد دول الخليج من إيران الماشية والفاكهة المجففة والمكسرات، بينما تصدر السكر والشاى وسلعًا مماثلة إلى إيران. ومعظم الاتصالات بين الساحلين بحرًا، فليست هناك رحلات جوية منظمة. وتحمل الخطوط الجوية الإيرانية الركاب أحيانًا من الكويت إلى إيران.

* * *

ولقد كانت حكومة الهند البريطانية تتولى توجيه العلاقات البريطانية مع دول الخليج لأجيال كثيرة، وكانت هذه الدول تتجه إلى الهند حتى الحرب العالمية الثانية للحصول على مؤونتها. وما تزال هناك رابطة قوية بالهند لاسيما مع بومباى. فمعظم لؤلؤ الخليج يرسَل إلى هذه المدينة لصقله وثقبه، كما يقصدها الحكام وغيرهم عادة للعلاج. ولبعض شركات الخليج الكبرى مكاتب هناك. وتقوم المراكب المحلية بزيارة ساحل الملابار حاملة التمر والسمك المجفف لتعود بخشب الساج لبناء السفن. وكما سبق القول فإن الروبية الهندية هى العملة المستعملة عادة للأغراض الرسمية والمعاملات فى جميع دول الخليج. ويعمل كثير من الهنود فى البحرين ودبى ومسقط، وقليل منهم فى الكويت. ويعامَل الهنود فى جميع هذه الأماكن معاملة فيها تسامح، ويُسمح لهم بممارسة شعائرهم الدينية. كما يعمل الهنود كذلك كتبة وأطباء وغير ذلك فى الحكومة البريطانية والحكومات المحلية. وتستخدم شركات النفط الهنود البريطانيين، ويعمل معظمهم فنيين وكتبه، والذين من جُوًا خدمًا للمنازل. ويُسمح للهنود دون دفع رسوم بزيارة دول الخليج زيارات مؤقتة أو لشغل وظائف معينة لكن ليس لإقامة عمل جديد. ويتولى الموظفون البريطانيون المصالح الهندية فى جميع الدول ما عدا مسقط، لكن ممثلاً من السفارة الهندية فى بغداد يزور البحرين والكويت وقطر من حين لآخر للعمل على راحة المواطنين الهنود. وهم يعامَلون معاملة حسنة، وعادة ما يقنعون بنصيبهم، ولو أن بعضهم يعرب أحيانًا عن ضيقه، سواء وهمًا أو حقا، من شركات النفط. وقد

وقّعت الهند معاهدة مع مسقط عام ١٩٥٣ عينت بمقتضاها قنصلا لها هناك. ويقوم هذا القنصل بزيارة الدول المتصالحة زيارات مشابهة لتلك التي يقوم بها المسئولون فى السفارة الهندية ببغداد للمشيخات الأخرى. وتوفر بواخر بريد شركة الملاحة التجارية للهند البريطانية مواصلات منتظمة أسبوعيا بحراً بين موانئ الخليج الرئيسية وبومباى، كما أنه يمكن الوصول إلى الهند أيضًا عن طريق رحلات الخطوط الجوية البريطانية من البحرين عن طريق كراتشى.

* * *

ودول الخليج رغم تعاطفها مع باكستان كدولة إسلامية شقيقة، إلا أنها ربما لم تتعود على وجودها كدولة مستقلة، وتجنح إلى عدم إعطائها ما تستحقه من اهتمام. كما أن العلاقات التجارية معها ليست مثلما هى مع الهند. وحتى بضع سنين قليلة كان التبادل التجارى قليلاً. وقد ارتفعت قيمة العمليات التجارية مع باكستان مؤخراً بسرعة لاسيما فى الواردات الضخمة من الأرز الباكستانى. والباكستانيون مسموح لهم بدخول دول الخليج بالشروط المطبقة على الهنود نفسها. وهم موجودون فى البحرين والكويت وغيرهما يعملون بالبيع فى المحلات وكفنيين، كما يُستخدم عدد منهم فى شركات النفط. وتستخدم حكومة قطر عدداً منهم، كما تستخدم الحكومات الأخرى ومكاتب الممثلين البريطانيين عدداً قليلاً. والعلاقات بين المشيخات وباكستان طيبة بوجه عام. ولقد كانت جوادر ذات يوم سببا فى خلاف بين باكستان ومسقط، لكن منذ أن تخلت مسقط عنها تحسنت العلاقات بين البلدين. وتزود باكستان قوات السلطان المسلحة ببعض الفنيين. والحجاج الباكستانيون الذين يصلون من حين لآخر فى لنشات محلية على الساحل المتصالح وقطر محاولين أن يشقوا طريقهم إلى مكة دون أية مصادر لإعالتهم يسببون حرجًا حيث إن السلطات السعودية لن تسمح لهم بعبور الحدود، ويتطلب الأمر إطعامهم وإعادتهم إلى وطنهم. وذات مرة مات عدد منهم فى الصحراء. وتتولى السلطات البريطانية مصالح باكستان. ولا يوجد ممثل لباكستان فى أية دولة خليجية فيما عدا الكويت التى بها ممثل تجارى باكستانى. ويقوم أحد أعضاء السفارة الباكستانية فى بغداد بزيارة المشيخات من حين لآخر للأهداف نفسها التى يقوم بها الممثل الهندى.

* * *

والدول الغربية الوحيدة التى لها اهتمامات واسعة بالخليج حاليًا - بخلاف بريطانيا- هى الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وهولندا، وبدرجة أقل ألمانيا الغربية والنمسا. وهناك دلالة على محاولة روسيا أن تجد لها موطئ قدم تجارى فى الخليج. وقد ابتاعت الكويت معدات من تشيكوسلوفاكيا. واستقبال الإذاعات العربية من موسكو جيد للغاية. وقد أصبحت لليابان الآن مصالح نفطية فى الخليج، وملاحتها وبضاعتها فى ازدياد واضح.

* * *

وللولايات المتحدة الأمريكية الآن حصة كبيرة فى الخليج، فشركات النفط العاملة فى المملكة العربية السعودية والكويت والمنطقة المحايدة والبحرين وظُفار شركات أمريكية بالكامل. وشركة نفط الكويت نصف أمريكية. ويملك الأمريكيون الربع تقريبًا فى اسهم شركة نفط العراق التى تنتج النفط فى قطر، وتملك حقوق امتياز فى دول الساحل المتصالح ومسقط. وللولايات المتحدة قنصل فى الكويت يحمل تفويضًا من جلالة الملكة إليزابيث بأنه مسئول عن علاقات الكويت الخارجية يساعده نائب قنصل. ويقوم القنصل العام الأمريكى بالظهران بزيارات منظمة لمشيخات الخليج الأخرى ومسقط. ولدى الأمريكان طائرة مائية دائمة التنقل فى الخليج تُعتبر مركز رئاسة العميد البحرى المعين قائدًا لقوة الشرق الأوسط، كما أن للولايات المتحدة الأمريكية ثلاث مدمرات فى المنطقة. وقاعدة معظم هذه السفن فى البحرين. ويشارك موظفو الأسطول الأمريكى الأسطول الملكى فى المنشآت الموجودة بجوفير. وقد قامت مؤخرًا إحدى سفن المسح الأمريكية بمسح جغرافى مائى للمياه الشمالية للخليج، بينما قامت السفن البريطانية بمسح المياه الجنوبية. وقد سبب ذلك كله تراجعًا - إلى حد ما - فى الوضع الذى كانت بريطانيا تنفرد به سابقًا فى الخليج، لكن المشاركة الأمريكية التى تقدمها فى تحمل الأعباء تلقى ترحيبًا. وقد تعاون الأمريكان دائمًا مع السلطات البريطانية ولم يحاولوا المساس بالمركز الخاص الذى تحتله بريطانيا بالنسبة للحكام. ويوجد حوالى مائتى أمريكى أو ثلاثمائة فى الكويت والمنطقة المحايدة، وأقل من مائة فى البحرين، وعدد قليل فى قطر وغيرها . أما فى الظهران وأماكن أخرى فى ولاية الإحساء، بالمملكة العربية السعودية على الحدود مع الخليج فإن بالمستعمرة الأمريكية عدة آلاف. ويقال

إنها أكبر مستعمرة خارج الولايات المتحدة الأمريكية. وتوجد بكل من الكويت والبحرين ومسقط إرساليات للكنيسة الإصلاحية الهولندية فى أمريكا تعمل منذ أوائل القرن، كما أنشئت مؤخراً إرسالية للكنيسة المشيخية الأمريكية بالشارقة. وبالرغم من الازدياد الكبير للنفوذ الأمريكى فى السنوات الأخيرة، وبالرغم من أن هناك قليلين يعملون لصالح الأمريكان ويحاولون أن يجعلوا لهم الأولوية على البريطانيين، إلا أن الحكام والناس لا يُظهرون ما يدل على التخلى عن البريطانيين لحساب الأمريكان، ربما إيماناً منهم بالمثل القائل "الشيطان الذى تعرفه خير من الشيطان الذى لا تعرفه".

وتملك فرنسا وهولندا أسهماً فى حصة شركة نفط العراق. ولفرنسا نصيب فى الشركة التى تملك حق الامتياز فى المياه المغمورة فى قطر. وتساهم سفن الشحن الهولندية فى تجارة الخليج مساهمة أساسية، وتقوم بزيارات دائمة لموانئه، بينما يقوم ممثلو الدولتين بالعراق أو غيرها بزيارة دول الخليج من حين لآخر، حيث يولون اهتمامهم بصفة أساسية بمصالح بلادهم التجارية ؛ لأنه لا يوجد مقيمون فرنسيون أو هولنديون فيما عدا قليل من موظفى شركات النفط. وقد بدأت تصبح لألمانيا الغربية والنمسا مؤخراً مصالح تجارية فى دول الخليج.

تذييل

بالرغم مما يقع فى أماكن أخرى من العالم العربى من اضطرابات إلا أنه لم يقع إلا القليل من التغيرات غير الجوهرية فى دول الخليج الفارسى منذ أن غادرْتُ البحرين عام ١٩٥١ . فالحكام ما يزالون يحكمون حكمهم البطريركى أو القبَلى، وما تزال بريطانيا تواصل ممارسة نفوذها لحماية دولهم. وينتشر التعليم انتشاراً سريعًا، ويقوم أفراد الطبقتين العليا والوسطى برحلات على نطاق واسع . والدعاية التى لا تنقطع للقومية العربية لابد من أن يكون لها أثرها، والأفكار السياسية الجديدة تكتسب أرضًا. وقد حدثت بعض القلاقل، ومن المرجح أنه سيحدث المزيد منها. وأنا أشك فيما إذا كانت الدعوة إلى القومية لها قوة الإسلام، وأعتقد أن أغلبية الناس عندما يرون الأحوال السائدة فى البلاد المجاورة فإنهم يفضلون أن يظلوا كما هم. وإنهم لعلى استعداد للتضحية برفاهيتهم تلبية لدعوى مسلم ملهم متعصب، لكنهم لا يقدمون إلا خدمة كلامية تلبية لأوامر ديكتاتور عسكرى. والخطر الحقيقى لا يأتى من دول الشرق الأوسط المجاور، لكن من الخارج حيث يوجد أصحاب النظريات السياسية فى الغرب. فالكثيرون يعتقدون أن الديمقراطية طالما هى تتلاءم والغرب فإن منها الدواء الشافى لجميع أمراض الشرق، وأن الآثار الباقية للاستعمار السابق يجب محوها تمامًا. ويمكن لمثل هذه النظريات أن تؤدى إلى تخلى بريطانيا العظمى عن وضعها فى دول الخليج قبل الأوان بما يترتب على ذلك من نتائج مدمرة لكل من تلك الدول نفسها وشركات النفط التى جلبت عملياتها كثيراً من الفوائد على كلٍّ من هذه الدول والعالم الغربى.

وإننى لجد فخور بأننى أمضيت سنوات كثيرة جدا فى الخليج الفارسى باعتبارى الممثل الرئيسى للحكومة البريطانية. وقد ازداد شغفى بالحكام وشعوبهم وأراضيهم التى تبدو منفرة لأول وهلة. ولقد أسعدنى أن أسجل الوضع كما أعرفه. وآمل ألا يحدث تغيير عاصف فى السنوات القليلة المقبلة حتى يمكن لهذا الكتاب أن يفيد الأمريكان

والبريطانيين الذين عليهم أن يعيشوا وأن يعملوا فى هذه البقاع الغريبة الساحرة الباقية من عصر عفا عليه الزمن. ولو حدث أن رُفعت الحماية البريطانية، وابتلعت بعض الجارات الشرهات هذه الدول، وأُرغمت شركات النفط على التخلى عن مشروعاتها المفيدة، فلربما يكون هنالك شخص ما يهمه أن يقرأ عن الأوضاع كما كانت فى "الأيام الجميلة الخوالى".

المؤلف فى سطور :

سير روبرت هاى

كان يعمـــل مقيمًا سياسيًا بريطانيًا فى الخليج الفارسى وكان دائب الدراســة محبًا للمعرفة .

المترجم فى سطور :

يوسف الشارونى

– حصل على ليسانس الآداب قسم الفلسفة – جامعة القاهرة عام ١٩٤٥ .

– تدرج بالعمل فى المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية (المجلس الأعلى للثقافة الآن) حتى أصبح وكيلاً للوزارة به .

– بدأ حياته الفنية بكتابة القصة القصيرة والنثر الغنائى فى أواخر الأربعينيات ، ثم زاوج بين القصة القصيرة والدراسة الأدبية وتقديم التراث والترجمة .

– نشر أكثر من خمسة وأربعين كتابًا من بين قصة ودراسة أدبية ، وتعريفًا وتقديمًا للتراث ، وكتابًا فى النثر الغنائى ، وثلاثة مختارات أدبية ، وثلاث مسرحيات مترجمة عن الإنجليزية .

– حصل على أوسمة وجوائز ، منها :

١ – وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى عام ١٩٧٠ .

٢ – جائزة الدولة التقديرية فى الأدب عام ٢٠٠١ .

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١	اللغة العليا	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢	الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣	التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
٤	كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
٥	ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦	اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
٧	العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
٨	مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩	التغيرات البيئية	أندرو. س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠	خطاب الحكاية	چيرار چينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١	مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢	طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣	ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤	التحليل النفسى للأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥	الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
١٦	أثينة السوداء (جـ١)	مارتن برنال	ت: بإشراف: أحمد عتمان
١٧	مختارات	فيليب لاركين	ت محمد مصطفى بدوى
١٨	الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩	الأعمال الشعرية الكاملة	چورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠	قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولى و بدوى عبد الفتاح
٢١	خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
٢٢	مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣	تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤	ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥	مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦	دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧	التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨	رسالة فى التسامح	جون لوك	ت منى أبو سنة
٢٩	الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠	الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣١	مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه – كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجى وعبد الوهاب علوب
٣٢	الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣	التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣٤	الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥	الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت
٣٦	نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧	واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم

٣٨	نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩	الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠	قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١	ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد وإبراهيم فتحى ومحمود ماجد
٤٢	عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
٤٣	اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	ت : المهدى أخريف
٤٤	بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت : مارلين تادرس
٤٥	التراث المغدور	روبرت ج دنيا – جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦	عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
٤٧	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨	حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتى
٤٩	الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١	مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
٥٢	العلاج النفسى التدعيمى	ب. نوفاليس وس روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣	الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤	المفهوم الإغريقى للمسرح	ج مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
٥٥	ما وراء العلم	جون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد و ماهر البطوطى
٥٨	مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩	المحبرة (مسرحية)	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠	التصميم والشكل	جوهانز إيتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
٦١	موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور – سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
٦٢	لذّة النّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤	برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥	فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦	خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧	مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدى أخريف
٦٨	نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩	العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١	السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود
٧٢	السياسى العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلى
٧٣	نقد استجابة القارئ	چين . ب . توميكنز	ت : حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤	صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	ت : حسن بيومى
٧٥	فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش

٧٦	جاك لاكان وإغواء التحليل النفسي	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
٧٧	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٣)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨	العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩	شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكي	ت : سعيد الغانمي وناصر حلاوي
٨٠	بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمري
٨١	الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوي
٨٢	مسرح ميجيل	ميجيل دي أونامونو	ت : محمود السيد علي
٨٣	مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالي
٨٤	موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
٨٥	منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكي أقطاي	ت : عبد الرازق بركات
٨٦	طول الليل	جمال مير صادقي	ت : أحمد فتحي يوسف شتا
٨٧	نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العناني
٨٨	الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٨٩	الطريق الثالث	أنتوني جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيي الدين
٩٠	وسم السيف	ميجل دي ثرباتس	ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢	أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكي المعاصر	كارلوس ميجيل	ت : نادية جمال الدين
٩٣	محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
٩٤	الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوي
٩٥	مختارات من المسرح الإسباني	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سري محمد عبد اللطيف
٩٦	ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
٩٧	هوية فرنسا (مج١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعي
٩٨	الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني	نخبة	ت : أشرف الصباغ
٩٩	تاريخ السينما العالمية	ديفيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
١٠٠	مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحي
١٠١	النص الروائي (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
١٠٢	السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبي	ت : عز الدين الكتاني الإدريسي
١٠٣	قبر ابن عربي يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٤	أوبرا ماهوجني	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوي
١٠٥	مدخل إلى النص الجامع	جيرار جينيت	ت : عبد العزيز شبيل
١٠٦	الأدب الأندلسي	ماريا خيسوس روبييرا متي	ت : أشرف علي دعدور
١٠٧	صورة الفدائي في الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة	ت : محمد عبد الله الجعيدي
١٠٨	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من النقاد	ت : محمود علي مكي
١٠٩	حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠	النساء في العالم النامي	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١	المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢	الاحتجاج الهادئ	أرلين علوي ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣	راية التمرد	سادي پلانت	ت : أحمد حسان

١١٤ مسرحيتا حصاد كونجي وسكان المستنقع — وول شوينكا — ت : نسيم مجلي

١١٥ غرفة تخص المرء وحده — فرجينيا وولف — ت : سمية رمضان

١١٦ امرأة مختلفة (درية شفيق) — سينثيا نلسون — ت : نهاد أحمد سالم

١١٧ المرأة والجنوسة في الإسلام — ليلى أحمد — ت : منى إبراهيم وهالة كمال

١١٨ النهضة النسائية في مصر — بث بارون — ت : لميس النقاش

١١٩ النساء والأسرة وقوانين الطلاق — أميرة الأزهري سنبل — ت بإشراف: رءوف عباس

١٢٠ الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط — ليلى أبو لغد — ت : نخبة من المترجمين

١٢١ الدليل الصغير عن الكاتبات العربيات — فاطمة موسى — ت : محمد الجندي وإيزابيل كمال

١٢٢ نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان — جوزيف فوجت — ت : منيرة كروان

١٢٣ الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية — نينل ألكسندر وفنادولينا — ت: أنور محمد إبراهيم

١٢٤ الفجر الكاذب — جون جراي — ت : أحمد فؤاد بلبع

١٢٥ التحليل الموسيقي — سيدريك ثورب ديفي — ت : سمحة الخولي

١٢٦ فعل القراءة — فولفانج إيسر — ت : عبد الوهاب علوب

١٢٧ إرهاب — صفاء فتحي — ت : بشير السباعي

١٢٨ الأدب المقارن — سوزان باسنيت — ت : أميرة حسن نويرة

١٢٩ الرواية الإسبانية المعاصرة — ماريا دولورس أسيس جاروته — ت : محمد أبو العطا وآخرون

١٣٠ الشرق يصعد ثانية — أندريه جوندر فرانك — ت : شوقي جلال

١٣١ مصر القديمة (التاريخ الاجتماعي) — مجموعة من المؤلفين — ت : لويس بقطر

١٣٢ ثقافة العولمة — مايك فيذرستون — ت : عبد الوهاب علوب

١٣٣ الخوف من المرايا — طارق علي — ت : طلعت الشايب

١٣٤ تشريح حضارة — باري ج. كيمب — ت : أحمد محمود

١٣٥ المختار من نقد ت. س. إليوت — ت. س. إليوت — ت : ماهر شفيق فريد

١٣٦ فلاحو الباشا — كينيث كونو — ت : سحر توفيق

١٣٧ مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية — جوزيف ماري مواريه — ت : كاميليا صبحي

١٣٨ عالم التليفزيون بين الجمال والعنف — إيڤلينا تاروني — ت : وجيه سمعان عبد المسيح

١٣٩ پارسيفال — ريشارد فاجنر — ت مصطفى ماهر

١٤٠ حيث تلتقي الأنهار — هربرت ميسن — ت : أمل الجبوري

١٤١ اثنتا عشرة مسرحية يونانية — مجموعة من المؤلفين — ت : نعيم عطية

١٤٢ الإسكندرية : تاريخ ودليل — أ. م. فورستر — ت : حسن بيومي

١٤٣ قضايا التنظير في البحث الاجتماعي — ديريك لايدار — ت : عدلي السمري

١٤٤ صاحبة اللوكاندة — كارلو جولدوني — ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥ موت أرتيميو كروث — كارلوس فوينتس — ت : أحمد حسان

١٤٦ الورقة الحمراء — ميجيل دي ليبس — ت : علي عبدالروف البمبي

١٤٧ خطبة الإدانة الطويلة — تانكريد دورست — ت : عبدالغفار مكاوي

١٤٨ القصة القصيرة (النظرية والتقنية) — إنريكي أندرسون إمبرت — ت : علي إبراهيم منوفي

١٤٩ النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس — عاطف فضول — ت : أسامة إسبر

١٥٠ التجربة الإغريقية — روبرت ج. ليتمان — ت : منيرة كروان

١٥١ هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ١) — فرنان برودل — ت : بشير السباعي

١٥٢ عدالة الهنود وقصص أخرى — نخبة من الكتاب — ت : محمد محمد الخطابي

١٥٣	غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت : فاطمة عبدالله محمود
١٥٤	مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥	الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسي
١٥٦	المدارس الجمالية الكبرى	جي أنبال وآلان وأوديت فيرمو	ت : مي التلمساني
١٥٧	خسرو وشيرين	النظامي الكنوجي	ت : عبدالعزيز بقوش
١٥٨	هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ٢)	فرنان برودل	ت : بشير السباعي
١٥٩	الإيديولوچية	ديفيد هوكس	ت: إبراهيم فتحي
١٦٠	آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت: حسين بيومي
١٦١	من المسرح الإسباني	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت: زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢	تاريخ الكنيسة	يوحنا الآسيوي	ت: صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣	موسوعة علم الاجتماع	جوردن مارشال	ت بإشراف: محمد الجوهري
١٦٤	شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	ت: نبيل سعد
١٦٥	حكايات الثعلب	أ. ن أفانا سيفا	ت: سهير المصادفة
١٦٦	العلاقات بين المتدينين والعلمانيين في إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	ت: محمد محمود أبو غدير
١٦٧	في عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت: شكري محمد عياد
١٦٨	دراسات في الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت: شكري محمد عياد
١٦٩	إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت: شكري محمد عياد
١٧٠	الطريق	ميغيل دليبيس	ت: بسام ياسين رشيد
١٧١	وضع حد	فرانك بيجو	ت: هدى حسين
١٧٢	حجر الشمس	مختارات	ت: محمد محمد الخطابي
١٧٣	معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	ت:إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤	صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت: أحمد محمود
١٧٥	التليفزيون في الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت: وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦	نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت: جلال البنا
١٧٧	أنطون تشيخوف	هنري ترويا	ت: حصة إبراهيم المنيف
١٧٨	مختارات من الشعر اليوناني الحديث	نخبة من الشعراء	ت: محمد حمدي إبراهيم
١٧٩	حكايات أيسوب	أيسوب	ت: إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠	قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت: سليم عبد الأمير حمدان
١٨١	النقد الأدبي الأمريكي	فنسنت ب. ليتش	ت: محمد يحيى
١٨٢	العنف والنبوءة	و.ب. ييتس	ت: ياسين طه حافظ
١٨٣	چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه چيلسون	ت: فتحي العشري
١٨٤	القاهرة... حالمة لا تنام	هانز إيندورفر	ت: دسوقي سعيد
١٨٥	أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت: عبد الوهاب علوب
١٨٦	معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	ت:إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧	الأرضة	بُزرج علوي	ت:محمد علاء الدين منصور
١٨٨	موت الأدب	الفين كرنان	ت:بدر الديب
١٨٩	العمى والبصيرة	بول دي مان	ت:سعيد الغانمي
١٩٠	محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت:محسن سيد فرجاني
١٩١	الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت: مصطفى حجازي السيد

١٩٢	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ١)	زين العابدين المراغى	ت:محمود سلامة علاوى
١٩٣	عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت:محمد عبد الواحد محمد
١٩٤	مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى	مجموعة من النقاد	ت: ماهر شفيق فريد
١٩٥	شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت:محمد علاء الدين منصور
١٩٦	المهلة الأخيرة	فالتين راسبوتين	ت:أشرف الصباغ
١٩٧	الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت: جلال السعيد الحفناوى
١٩٨	الاتصال الجماهيرى	ادوين إمرى وآخرون	ت:إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩	تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداوى	ت: جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠	ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	ت: فخرى لبيب
٢٠١	الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت. أحمد الأنصارى
٢٠٢	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٤)	رينيه ويليك	ت: مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣	الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	ت: جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤	تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	ت: أحمد محمود هويدى
٢٠٥	الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى- سفورزا	ت: أحمد مستجير
٢٠٦	الهيولية تصنع علمًا جديدًا	جيمس جلايك	ت: على يوسف على
٢٠٧	ليل أفريقى	رامون خوتاسندير	ت: محمد أبو العطا
٢٠٨	شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	ت. محمد أحمد صالح
٢٠٩	السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت. أشرف الصباغ
٢١٠	مثنويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت: يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١	فردينان دوسوسير	جوناثان كللر	ت. محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢	قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	ت. يوسف عبدالفتاح فرج
٢١٣	مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	ت سيد أحمد على الناصرى
٢١٤	قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	ت: محمد محمود محى الدين
٢١٥	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغى	ت. محمود سلامة علاوى
٢١٦	جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت أشرف الصباغ
٢١٧	مسرحيتان طليعيتان	ص. بيكيت	ت. نادية البنهاوى
٢١٨	لعبة الحجلة (رايولا)	خوليو كورتازان	ت: على إبراهيم منوفى
٢١٩	بقايا اليوم	كازو ايشجورو	ت. طلعت الشايب
٢٢٠	الهيولية فى الكون	بارى باركر	ت: على يوسف على
٢٢١	شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	ت رفعت سلام
٢٢٢	فرانز كافكا	رونالد جراى	ت: نسيم مجلى
٢٢٣	العلم فى مجتمع حر	بول فيرابنر	ت السيد محمد نفادى
٢٢٤	دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت: منى عبدالظاهر إبراهيم
٢٢٥	حكاية غريق	جابرييل جارثيا ماركث	ت: السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦	أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	ت: طاهر محمد على البربرى
٢٢٧	المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	موسى ماريا ديف بوركى	ت: السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨	علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت.مارى تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
٢٢٩	مأزق البطل الوحيد	نورمان كيجان	ت: أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠	عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت: مصطفى إبراهيم فهمى

٢٣١	الدراقيل	خايمى سالوم بيدال	ت: جمال عبدالرحمن
٢٣٢	ما بعد المعلومات	توم ستينر	ت: مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣	فكرة الاضمحلال	آرثر هومان	ت: طلعت الشايب
٢٣٤	الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	ت: فؤاد محمد عكود
٢٣٥	ديوان شمس تبريزى (جـ١)	مولانا جلال الدين الرومى	ت: إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦	الولاية	ميشيل تود	ت: أحمد الطيب
٢٣٧	مصر أرض الوادى	روبين فيرين	ت. عنايات حسين طلعت
٢٣٨	العولمة والتحرير	الانكتاد	ت: ياسر محمد جادالله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩	العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلارافر – رايوخ	ت نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠	الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	ت. صلاح عبدالعزيز محجوب
٢٤١	فى انتظار البرابرة	ج . م كويتز	ت: ابتسام عبدالله سعيد
٢٤٢	سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	ت: صبرى محمد حسن عبدالنبى
٢٤٣	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	ليفى بروفنسال	ت: على عبدالروف البمبى
٢٤٤	الغليان	لاورا إسكيبيل	ت: نادية جمال الدين محمد
٢٤٥	نساء مقاتلات	إليزابيتا آديس	ت: توفيق على منصور
٢٤٦	مختارات قصصية	جابرييل جارثيا ماركث	ت: على إبراهيم منوفى
٢٤٧	الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	والتر إرمبريست	ت: محمد طارق الشرقاوى
٢٤٨	حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت. عبداللطيف عبدالحليم
٢٤٩	لغة التمزق	دراجو شتامبوك	ت. رفعت سلام
٢٥٠	علم اجتماع العلوم	دومنيك فينيك	ت ماجدة محسن أباظة
٢٥١	موسوعة علم الاجتماع (جـ٢)	جوردن مارشال	ت: بإشراف. محمد الجوهرى
٢٥٢	رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت: على بدران
٢٥٣	تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوڤا	ت: حسن بيومى
٢٥٤	الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥	أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦	ديكارت	ديف روبنسون وكريس جرات	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧	تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	ت: محمود سيد أحمد
٢٥٨	الغجر	سير أنجوس فريزر	ت. عُبادة كُحيلة
٢٥٩	مختارات من الشعر الأرمنى عبر العصور	اقلام مختلفة	ت: فاروجان كازانجيان
٢٦٠	موسوعة علم الاجتماع (جـ٣)	جوردن مارشال	ت بإشراف· محمد الجوهرى
٢٦١	رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢	مدينة المعجزات	إدوارد منوثا	ت محمد أبو العطا
٢٦٣	الكشف عن حافة الزمن	چون جريبن	ت. على يوسف على
٢٦٤	إبداعات شعرية مترجمة	هوراس وشلى	ت: لويس عوض
٢٦٥	روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصموئيل جونسون	ت: لويس عوض
٢٦٦	مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت: عادل عبدالمنعم سويلم
٢٦٧	فن الرواية	ميلان كونديرا	ت: بدر الدين عرودكى
٢٦٨	ديوان شمس تبريزى (جـ٢)	مولانا جلال الدين الرومى	ت. إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩	وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ١)	وليم چيفور بالجريف	ت. صبرى محمد حسن

٢٧٠	وسط الجزير العربية وشرقها (جـ٢)	وليم جيفور بالجريف	ت: صبرى محمد حسن
٢٧١	الحضارة الغربية	توماس سى. باترسون	ت: شوقى جلال
٢٧٢	الأديرة الأثرية فى مصر	س. س والترز	ت: إبراهيم سلامة
٢٧٣	الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط	جوان أر. لوك	ت: عنان الشهاوى
٢٧٤	السيدة باربارا	رومولو جلاجوس	ت: محمود على مكى
٢٧٥	ت. س إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	أقلام مختلفة	ت: ماهر شفيق فريد
٢٧٦	فنون السينما	فرانك جوتيران	ت: عبد القادر التلمسانى
٢٧٧	الجينات. الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت: أحمد فوزى
٢٧٨	البدايات	إسحق عظيموف	ت: ظريف عبدالله
٢٧٩	الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	ت: طلعت الشايب
٢٨٠	من الأدب الهندى الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	ت: سمير عبدالحميد
٢٨١	الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى	ت: جلال الحفناوى
٢٨٢	طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبيرت	ت: سمير حنا صادق
٢٨٣	السهل يحترق	خوان رولفو	ت: على البمبى
٢٨٤	هرقل مجنوناً	يوريبيدس	ت: أحمد عتمان
٢٨٥	رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	ت: سمير عبد الحميد
٢٨٦	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٣)	زين العابدين المراغى	ت: محمود سلامة علاوى
٢٨٧	الثقافة والعولمة والنظام العالمى	انتونى كنج	ت: محمد يحيى وآخرون
٢٨٨	الفن الروائى	ديفيد لودج	ت: ماهر البطوطى
٢٨٩	ديوان منجوهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	ت: محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠	علم اللغة والترجمة	جورج مونان	ت: أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١	المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ١)	فرانشسكو رويس رامون	ت. السيد عبد الظاهر
٢٩٢	المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ٢)	فرانشسكو رويس رامون	ت: السيد عبد الظاهر
٢٩٣	مقدمة للأدب العربى	روجر آلن	ت: نخبة من المترجمين
٢٩٤	فن الشعر	بوالو	ت. رجاء ياقوت صالح
٢٩٥	سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت: بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦	مكبث	وليم شكسبير	ت. محمد مصطفى بدوى
٢٩٧	فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوانى	ت: ماجدة محمد أنور
٢٩٨	مأساة العبيد	أبو بكر تفاوابليوه	ت: مصطفى حجازى السيد
٢٩٩	ثورة فى التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	ت. هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج١)	لويس عوض	ت. جمال الجزيرى وبهاء چاهين وإيزابيل كمال
٣٠١	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج٢)	لويس عوض	ت. جمال الجزيرى و محمد الجندى
٣٠٢	فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣	بوذا	جين هوب وبورن فان لون	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤	ماركس	ريوس	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥	الجلد	كروزيو مالابارته	ت: صلاح عبد الصبور
٣٠٦	الحماسة: النقد الكانطى للتاريخ	چان فرانسوا ليوتار	ت: نبيل سعد
٣٠٧	الشعور	ديفيد بابينو	ت: محمود محمد أحمد
٣٠٨	علم الوراثة	ستيف جونز	ت. ممدوح عبد المنعم أحمد

٣٠٩ الذهن والمخ	أنجوس جيلاتى	ت: جمال الجزيرى
٣١٠ يونج	ناجى هيد	ت: محيى الدين محمد حسن
٣١١ مقال فى المنهج الفلسفى	كولنجوود	ت: فاطمة إسماعيل
٣١٢ روح الشعب الأسود	وليم دى بويز	ت:أسعد حليم
٣١٣ أمثال فلسطينية	خايير بيان	ت: عبدالله الجعيدى
٣١٤ الفن كعدم	جينس مينيك	ت: هويدا السباعى
٣١٥ جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو	ت: كاميليا صبحى
٣١٦ محاكمة سقراط	أ.ف. ستون	ت: نسيم مجلى
٣١٧ بلا غد	شير لايموفا- زنيكين	ت. أشرف الصباغ
٣١٨ الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	نخبة	ت: أشرف الصباغ
٣١٩ صور دريدا	جايتر ياسبيفاك وكرستوفر نوريس	ت: حسام نايل
٣٢٠ لمعة السراج فى حضرة التاج	مؤلف مجهول	ت: محمد علاء الدين منصور
٣٢١ تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ١)	ليفى برو فنسال	ت: نخبة من المترجمين
٣٢٢ وجهات غربية حديثة فى تاريخ الفن	دبليو بوجين كلينباور	ت: خالد مفلح حمزة
٣٢٣ فن الساتورا	تراث يونانى قديم	ت: هانم سليمان
٣٢٤ اللعب بالنار	أشرف أسدى	ت. محمود سلامة علاوى
٣٢٥ عالم الآثار	فيليب بوسان	ت: كرستين يوسف
٣٢٦ المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	ت: حسن صقر
٣٢٧ مختارات شعرية مترجمة (جـ١)	نخبة	ت: توفيق على منصور
٣٢٨ يوسف وزليخا	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت: عبد العزيز بقوش
٣٢٩ رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	ت محمد عيد إبراهيم
٣٣٠ كل شىء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	ت: سامى صلاح
٣٣١ عندما جاء السردين	ستيفن جراى	ت: سامية دياب
٣٣٢ القصة القصيرة فى إسبانيا	نخبة	ت على إبراهيم منوفى
٣٣٣ الإسلام فى بريطانيا	نبيل مطر	ت: بكر عباس
٣٣٤ لقطات من المستقبل	آرثر.س كلارك	ت: مصطفى فهمى
٣٣٥ عصر الشك	ناتالى ساروت	ت فتحى العشرى
٣٣٦ متون الأهرام	نصوص قديمة	ت: حسن صابر
٣٣٧ فلسفة الولاء	جوزايا رويس	ت: أحمد الأنصارى
٣٣٨ نظرات حائرة (وقصص أخرى من الهند)	نخبة	ت. جلال السعيد الحفناوى
٣٣٩ تاريخ الأدب فى إيران (جـ٣)	على أصغر حكمت	ت: محمد علاء الدين منصور
٣٤٠ اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربيروجلو	ت: فخرى لبيب
٣٤١ قصائد من رلكه	راينر ماريا رلكه	ت: حسن حلمى
٣٤٢ سلامان وأبسال	نور الدين عبدالرحمن بن أحمد	ت: عبد العزيز بقوش
٣٤٣ العالم البرجوازى الزائل	نادين جورديمر	ت. سمير عبد ربه
٣٤٤ الموت فى الشمس	بيتر بلانجوه	ت: سمير عبد ربه
٣٤٥ الركض خلف الزمن	بونه نداثى	ت: يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦ سحر مصر	رشاد رشدى	ت: جمال الجزيرى
٣٤٧ الصبية الطائشون	جان كوكتو	ت: بكر الحلو

٣٤٨	المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ١)	محمد فؤاد كوبريلى	ت: عبدالله أحمد إبراهيم
٣٤٩	دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	آرثر والدرون وآخرون	ت: أحمد عمر شاهين
٣٥٠	بانوراما الحياة السياحية	أقلام مختلفة	ت: عطية شحاتة
٣٥١	مبادئ المنطق	جوزايا رويس	ت: أحمد الانصارى
٣٥٢	قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	ت: نعيم عطية
٣٥٣	الفن الإسلامى فى الأندلس (الزخرفة الهندسية)	باسيليو بابون مالدوناند	ت: على إبراهيم منوفى
٣٥٤	الفن الإسلامى فى الأندلس (الزخرفة النباتية)	باسيليو بابون مالدوناند	ت: على إبراهيم منوفى
٣٥٥	التيارات السياسية فى إيران	حجت مرتضى	ت: محمود سلامة علاوى
٣٥٦	الميراث المر	بول سالم	ت: بدر الرفاعى
٣٥٧	متون هيرميس	نصوص قديمة	ت: عمر الفاروق عمر
٣٥٨	أمثال الهوسا العامية	نخبة	ت: مصطفى حجازى السيد
٣٥٩	محاورات بارمنيدس	أفلاطون	ت: حبيب الشارونى
٣٦٠	أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ت: ليلى الشربينى
٣٦١	التصحر: التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	ت: عاطف معتمد وآمال شاور
٣٦٢	تلميذ بابنيبرج	هاينرش شبورال	ت: سيد أحمد فتح الله
٣٦٣	حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد جيبسون	ت: صبرى محمد حسن
٣٦٤	حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	ت: نجلاء أبو عجاج
٣٦٥	سأم باريس	شارل بودلير	ت: محمد أحمد حمد
٣٦٦	نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	ت: مصطفى محمود محمد
٣٦٧	القلم الجرىء	نخبة	ت: البرّاق عبدالهادى رضا
٣٦٨	المصطلح السردى	جيرالد برنس	ت: عابد خزندار
٣٦٩	المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	ت: فوزية العشماوى
٣٧٠	الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	ت: فاطمة عبدالله محمود
٣٧١	المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ٢)	محمد فؤاد كوبريلى	ت: عبدالله أحمد إبراهيم
٣٧٢	عاش الشباب	وانغ مينغ	ت: وحيد السعيد عبدالحميد
٣٧٣	كيف تعد رسالة دكتوراه	أمبرتو إيكو	ت: على إبراهيم منوفى
٣٧٤	اليوم السادس	أندريه شديد	ت: حمادة إبراهيم
٣٧٥	الخلود	ميلان كونديرا	ت: خالد أبو اليزيد
٣٧٦	الغضب وأحلام السنين	نخبة	ت: إدوار الخراط
٣٧٧	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٤)	على أصغر حكمت	ت: محمد علاء الدين منصور
٣٧٨	المسافر	محمد إقبال	ت: يوسف عبدالفتاح فرج
٣٧٩	ملك فى الحديقة	سنيل باث	ت: جمال عبدالرحمن
٣٨٠	حديث عن الخسارة	جونتر جراس	ت: شيرين عبدالسلام
٣٨١	أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	ت: رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢	تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	ت: أحمد محمد نادى
٣٨٣	هدية الحجاز	محمد إقبال	ت: سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٨٤	القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	ت: إيزابيل كمال
٣٨٥	مشترى العشق	محمد على بهزادراد	ت: يوسف عبدالفتاح فرج
٣٨٦	دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ت: ريهام حسين إبراهيم

٣٨٧	أغنيات وسوناتات	چون دن	ت: بهاء چاهين
٣٨٨	مواعظ سعدى الشيرازى	سعدى الشيرازى	ت: محمد علاء الدين منصور
٣٨٩	من الأدب الباكستانى المعاصر	نخبة	ت: سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٩٠	الأرشيفات والمدن الكبرى	نخبة	ت. عثمان مصطفى عثمان
٣٩١	الحافلة الليلكية	مايف بينشى	ت: منى الدروبى
٣٩٢	مقامات ورسائل أندلسية	نخبة	ت. عبداللطيف عبدالحليم
٣٩٣	فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	ت: زينب محمود الخضيرى
٣٩٤	القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	ت: هاشم أحمد محمد
٣٩٥	آلام سياوش	إسماعيل فصيح	ت: سليم حمدان
٣٩٦	السافاك	تقى نجارى راد	ت: محمود سلامة علاوى
٣٩٧	نيتشه	لورانس جين	ت. إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٨	سارتر	فيليب تودى	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٩	كامى	ديفيد ميروفتس	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٠٠	مومو	مشيائيل إنده	ت: باهر الجوهرى
٤٠١	الرياضيات	زيادون ساردر	ت: ممدوح عبد المنعم
٤٠٢	هوكنج	ج. ب. ماك ايفوى	ت. ممدوح عبدالمنعم
٤٠٣	ربة المطر والملابس تصنع الناس	تودور شتورم	ت: عماد حسن بكر
٤٠٤	تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ت. ظبية خميس
٤٠٥	إيزابيل	أندريه جيد	ت: حمادة إبراهيم
٤٠٦	المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	ت: جمال عبد الرحمن
٤٠٧	الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	أقلام مختلفة	ت: طلعت شاهين
٤٠٨	معجم تاريخ مصر	جوان فوتشركنج	ت: عنان الشهاوى
٤٠٩	انتصار السعادة	برتراند راسل	ت: إلهامى عمارة
٤١٠	خلاصة القرن	كارل بوبر	ت: الزواوى بغورة
٤١١	همس من الماضى	جينيفر أكرمان	ت. أحمد مستجير
٤١٢	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ٢)	ليفى بروفنسال	ت: نخبة
٤١٣	أغنيات المنفى	ناظم حكمت	ت. محمد البخارى
٤١٤	الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوفا	ت: أمل الصبان
٤١٥	صورة كوكب	فريدريش دورنيمات	ت أحمد كامل عبدالرحيم
٤١٦	مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	ت. مصطفى بدوى
٤١٧	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٥)	رينيه ويليك	ت: مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨	سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية	جين هاثواى	ت عبد الرحمن الشيخ
٤١٩	العصر الذهبى للإسكندرية	جون مايو	ت: نسيم مجلى
٤٢٠	مكرو ميجاس	فولتير	ت: الطيب بن رجب
٤٢١	الولاء والقيادة	رؤى متحدة	ت. أشرف محمد كيلانى
٤٢٢	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ١)	نخبة	ت. عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣	إسراءات الرجل الطيف	نخبة	ت: وحيد النقاش
٤٢٤	لوائح الحق ولوامع العشق	نور الدين عبدالرحمن الجامى	ت. محمد علاء الدين منصور
٤٢٥	من طاووس إلى فرح	محمود طلوعى	ت: محمودد سلامة علاوى

٤٢٦	الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	ت: محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧	باندراس الطاغية	باى إنكلان	ت: ثريا شلبى
٤٢٨	الخزانة الخفية	محمد هوتك	ت: محمد أمان صافى
٤٢٩	هيجل	ليود سبنسر وأندرزجى كروز	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠	كانط	كرستوفر وانت وأندرزجى كليموفسكى	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١	فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢	ماكيافللى	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣	جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	ت: حمدى الجابرى
٤٣٤	الرومانسية	دونكان هيث وجودن بورهام	ت. عصام حجازى
٤٣٥	توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زريرج	ت: ناجى رشوان
٤٣٦	تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧	رحالة هندى فى بلاد الشرق	شبلى النعمانى	ت: جلال السعيد الحفناوى
٤٣٨	بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	ت. عايدة سيف الدولة
٤٣٩	موت المرابى	صدر الدين عينى	ت محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠	قواعد اللهجات العربية	كرستن بروستاد	ت. محمد طارق الشرقاوى
٤٤١	رب الأشياء الصغيرة	أرونداتى روى	ت: فخرى لبيب
٤٤٢	حتشبسوت (المرأة الفرعونية)	فوزية أسعد	ت: ماهر جويجاتى
٤٤٣	اللغة العربية	كيس فرستيغ	ت: محمد طارق الشرقاوى
٤٤٤	أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	ت. صالح علمانى
٤٤٥	حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلرى	ت محمد محمد يونس
٤٤٦	التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	ت. أحمد محمود
٤٤٧	نظرية الكم	ج. پ. ماك إيفوى	ت: ممدوح عبدالمنعم
٤٤٨	علم نفس التطور	ديلان إيفانز وأوسكار زاريت	ت. ممدوح عبدالمنعم
٤٤٩	الحركة النسائية	نخبة	ت: جمال الجزيرى
٤٥٠	ما بعد الحركة النسائية	صوفيا فوكا وريبيكا رايت	ت: جمال الجزيرى
٤٥١	الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن وبورن ڤان لون	ت. إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢	لينين والثورة الروسية	ريتشارد إيجناترى وأوسكار زاريت	ت. محيى الدين مزيد
٤٥٣	القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	ت حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤	خمسون عامًا من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	ت سوزان خليل
٤٥٥	تاريخ الفلسفة الحديثة (مج٥)	فردريك كوبلستون	ت. محمود سيد أحمد
٤٥٦	لا تنسنى	مريم جعفرى	ت. هويدا عزت محمد
٤٥٧	النساء فى الفكر السياسى الغربى	سوزان موللر أوكين	ت. إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨	الموريسكيون الأندلسيون	خوليو كارو باروخا	ت: جمال عبد الرحمن
٤٥٩	نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	ت: جلال البنا
٤٦٠	الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتزا جانستز	ت. إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١	لكان	داريان ليدر وجودى جروفز	ت. إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢	طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبدالرشيد الصادق محمودى	ت: عبدالرشيد الصادق محمودى
٤٦٣	الدولة المارقة	ويليام بلوم	ت: كمال السيد
٤٦٤	ديمقراطية القلة	ميكائيل بارنتى	ت: حصة إبراهيم المنيف
٤٦٥	قصص اليهود	لويس جنزبرج	ت: جمال الرفاعى
٤٦٦	حكايات حب وبطولات فرعونية	فيولين فانويك	ت: فاطمة محمود

٤٦٧	التفكير السياسى	ستيفين ديلو	ت: ربيع وهبة
٤٦٨	روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	ت: أحمد الأنصارى
٤٦٩	جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	ت: مجدى عبدالرازق
٤٧٠	الأراضى والجودة البيئية	نخبة	ت: محمد السيد النتة
٤٧١	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ٢)	نخبة	ت: عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٧٢	دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	ت: سليمان العطار
٤٧٣	دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	ت: سليمان العطار
٤٧٤	الأدب والنسوية	بام موريس	ت: سهام عبدالسلام
٤٧٥	صوت مصر أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	ت. عادل هلال عنانى
٤٧٦	أرض الحبايب بعيدة بيرم التونسى	ماريلين بوث	ت: سحر توفيق
٤٧٧	تاريخ الصين	هيلدا هوخام	ت: أشرف كيلانى
٤٧٨	الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج و لى شى دونج	ت: عبد العزيز حمدى
٤٧٩	المقهـــى (مسرحية صينية)	لاوشه	ت: عبد العزيز حمدى
٤٨٠	تساى ون جى (مسرحية صينية)	كو مو روا	ت. عبد العزيز حمدى
٤٨١	عباءة النبى	روى متحدة	ت. رضوان السيد
٤٨٢	موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	ت. فاطمة محمود
٤٨٣	النسوية وما بعد النسوية	سارة جامبل	ت. أحمد الشامى
٤٨٤	جمالية التلقى	هانسن روبيرت ياوس	ت: رشيد بنحدو
٤٨٥	التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	ت: سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦	الذاكرة الحضارية	يان أسمن	ت. عبدالحليم عبدالغنى رجب
٤٨٧	الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد آبادى	ت: سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨	الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	ت: سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩	هُسِّرل: الفلسفة علمًا دقيقًا	هُسِّرل	ت: محمود رجب
٤٩٠	أسمار الببغاء	محمد قادرى	ت. عبد الوهاب علوب
٤٩١	نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	ت. سمير عبد ربه
٤٩٢	محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى فارجيت	ت: محمد رفعت عواد
٤٩٣	خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	ت: محمد صالح الضالع
٤٩٤	كتاب الموتى (الخروج فى النهار)	نصوص مصرية قديمة	ت. شريف الصيفى
٤٩٥	اللوبى	إدوارد تيفان	ت. حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦	الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ١)	إكوادو بانولى	ت. نخبة
٤٩٧	العلمانية والنوع والدولة فى الشرق الأوسط	نادية العلىّ	ت مصطفى رياض
٤٩٨	النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	ت: أحمد على بدوى
٤٩٩	تقاطعات: الأمة والمجتمع والجنس	نخبة	ت: فيصل بن خضراء
٥٠٠	فى طفولتى (دراسة فى السيرة الذاتية العربية)	تيتز رووكى	ت. طلعت الشايب
٥٠١	تاريخ النساء فى الغرب	آرثر جولد هامر	ت: سحر فراج
٥٠٢	أصوات بديلة	هدى الصدّة	ت: هالة كمال
٥٠٣	مختارات من الشعر الفارسى الحديث	نخبة	ت: محمد نور الدين عبدالمنعم
٥٠٤	كتابات أساسية (جـ١)	مارتن هايدجر	ت: إسماعيل المصدق
٥٠٥	كتابات أساسية (جـ٢)	مارتن هايدجر	ت. إسماعيل المصدق

٥٠٦	ربما كان قديساً	آن تيلر	ت: عبدالحميد فهمى الجمال
٥٠٧	سيدة الماضى الجميل	بيتر شيفر	ت: شوقى فهيم
٥٠٨	المولوية بعد جلال الدين الرومى	عبدالباقى جلبنارلى	ت: عبدالله أحمد إبراهيم
٥٠٩	الفقر والإحسان فى عهد سلاطين المماليك	أدم صبرة	ت: قاسم عبده قاسم
٥١٠	الأرملة الماكرة	كارلو جولدونى	ت: عبدالرازق عيد
٥١١	كوكب مرقّع	آن تيلر	ت: عبدالحميد فهمى الجمال
٥١٢	كتابة النقد السينمائى	تيموثى كوريجان	ت: جمال عبد الناصر
٥١٣	العلم الجسور	تيد أنتون	ت: مصطفى إبراهيم فهمى
٥١٤	مدخل إلى النظرية الأدبية	جونثان كولر	ت: مصطفى بيومى عبد السلام
٥١٥	من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالطى دوجلاس	ت: فدوى مالطى دوجلاس
٥١٦	إرادة الإنسان فى شفاء الإدمان	أرنولد واشنطون وديونا باوندى	ت: صبرى محمد حسن
٥١٧	نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	ت: سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨	استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	ت: هاشم أحمد محمد
٥١٩	محاضرات فى المثالية الحديثة	جوزايا رويس	ت: أحمد الأنصارى
٥٢٠	الولع بمصر من الحلم إلى المشروع	أحمد يوسف	ت: أمل الصبان
٥٢١	قاموس تراجم مصر الحديثة	آرثر جولد سميث	ت: عبدالوهاب بكر
٥٢٢	إسبانيا فى تاريخها	أميركو كاسترو	ت: على إبراهيم منوفى
٥٢٣	الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن	باسيليو بابون مالدونادو	ت: على إبراهيم منوفى
٥٢٤	الملك لير	وليم شكسبير	ت: محمد مصطفى بدوى
٥٢٥	موسم صيد فى بيروت وقصص أخرى	دنيس جونسون رزيفز	ت: نادية رفعت
٥٢٦	علم السياسة البيئية	ستيفن كرول وليم رانكين	ت: محيى الدين مزيد
٥٢٧	كافكا	ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	ت: جمال الجزيرى
٥٢٨	تروتسكى والماركسية	طارق على وفلْ إيفانز	ت: جمال الجزيرى
٥٢٩	بدائع العلامة إقبال فى شعره الأردى	محمد إقبال	ت: حازم محفوظ وحسين نجيب المصرى
٥٣٠	مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جينو	ت: عمر الفاروق عمر
٥٣١	ما الذى حَدَثَ فى «حَدَث» ١١ سبتمبر؟	چاك دريدا	ت: صفاء فتحى
٥٣٢	المغامرُ والمستشرق	هنرى لورنس	ت: بشير السباعى
٥٣٣	تعلُّم اللغة الثانية	سوزان جاس	ت: محمد الشرقاوى
٥٣٤	الإسلاميون الجزائريون	سيڤرين لابا	ت: حمادة إبراهيم
٥٣٥	مخزن الأسرار	نظامى الكنجوى	ت: عبدالعزيز بقوش
٥٣٦	الثقافات وقيم التقدم	صمويل هنتنجتون	ت: شوقى جلال
٥٣٧	الحب والحرية	نخبة	ت: عبدالغفار مكاوى
٥٣٨	النفس والآخر فى قصص يوسف الشارونى	كيت دانيلر	ت: محمد الحديدى
٥٣٩	خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	ت: محسن مصيلحى
٥٤٠	توجهات بريطانية - شرقية	السير رونالد ستورس	ت: رءوف عباس
٥٤١	هى تتخيل وهلاوس أخرى	خوان خوسيه مياس	ت: مروة رزق
٥٤٢	قصص مختارة من الأدب اليونانى الحديث	نخبة	ت: نعيم عطية
٥٤٣	السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	ت: وفاء عبدالقادر
٥٤٤	ميلانى كلاين	نخبة	ت: حمدى الجابرى

٥٤٥	يا له من سباق محموم	فرانسيس كريك	ت: عزت عامر
٥٤٦	ريموس	ت. ب. وايزمان	ت: توفيق على منصور
٥٤٧	بارت	فيليب ثودى وآن كورس	ت: جمال الجزيرى
٥٤٨	علم الاجتماع	ريتشارد أوزبرن وبورن فان لون	ت: حمدى الجابرى
٥٤٩	علم العلامات	بول كوبلى وليتاجانز	ت: جمال الجزيرى
٥٥٠	شكسبير	نيك جروم وبيرو	ت: حمدى الجابرى
٥٥١	الموسيقى والعولمة	سايمون ماندى	ت: سمحة الخولى
٥٥٢	قصص مثالية	ميجيل دى ثربانتس	ت: على عبد الرءوف البمبى
٥٥٣	مدخل للشعر الفرنسى الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	ت: رجاء ياقوت
٥٥٤	مصر فى عهد محمد على	عفاف لطفى السيد مارسوه	ت: عبدالسميع عمر زين الدين
٥٥٥	الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادى والعشرين	أناتولى أوتكين	ت: أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالى
٥٥٦	چان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	ت: حمدى الجابرى
٥٥٧	الماركيز دى ساد	ستوارت هود وجراهام كرولى	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨	الدراسات الثقافية	زيودين ساردارويورين ڤان لون	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩	الماس الزائف	تشا تشاجى	ت: عبدالحى أحمد سالم
٥٦٠	صلصلة الجرس	نخبة	ت: جلال السعيد الحفناوى
٥٦١	جناح جبريل	محمد إقبال	ت: جلال السعيد الحفناوى
٥٦٢	بلايين وبلايين	كارل ساجان	ت: عزت عامر
٥٦٣	ورود الخريف	خاثينتو بينابينتى	ت: صبرى محمدى التهامى
٥٦٤	عُش الغريب	خاثينتو بينابينتى	ت: صبرى محمدى التهامى
٥٦٥	الشرق الأوسط المعاصر	ديبورا ج. جيرنر	ت: أحمد عبدالحميد أحمد
٥٦٦	تاريخ أوربا فى العصور الوسطى	موريس بيشوب	ت: على السيد على
٥٦٧	الوطن المغتصب	مايكل رايس	ت: إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨	الأصولى فى الرواية	عبد السلام حيدر	ت: عبد السلام حيدر
٥٦٩	موقع الثقافة	هومى. ك. بابا	ت: ثائر ديب
٥٧٠	دول الخليج الفارسى	سير رويرت هاى	ت: يوسف الشارونى

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٤٨٩٦ / ٢٠٠٣

المجلس الأعلى للثقافة

يُعبر هذا الكتاب عن وجهة نظر أحد شهود العيان لدول الخليج العربى فى منتصف القرن العشرين؛ لهذا فهو أحد مراجع التأريخ لهذه المنطقة السكانية فى تلك المرحلة التاريخية. وجنسية المؤلف البريطانية، وبوصفه مقيمًا سياسيا أو ممثلاً لهذه الإمبراطورية الآفلة فى تلك اللحظة التاريخية تلقى بظلالها على وجهة النظر التى يجب أن نتوقعها من صاحبها ونعتبرها ضفيرة فى نسيج هذه الشهادة تهبها لونها المميز الخاص بها بغض النظر عن اتفاقنا أو اختلافنا معها، بل إنها تمدنا برؤية الدولة صاحبة النفوذ فى هذه المنطقة فى تلك المرحلة، والخلفية الفكرية لمن ينفذون سياستها، والحجج التى يبررون بها سيطرتهم على الآخر، لعل أبرزها تلك الحجة التى ترددت فى الكتاب أكثر من مرة، والتى تحمل تناقضها فى داخلها: أنه لولا الحماية البريطانية لكانت الدول المجاورة الأقوى قد ابتلعتهم، أى أن بريطانيا قد ابتلعتهم حماية من ابتلاع الآخرين لهم! ورغم هذا التناقض فإنه من حقائق السياسة الدولية، ولعله ما زال أساسًا يستند إليه مد نفوذ القوى الكبرى على الدول الأكثر هشاشة؛ بحيث وصل الأمر إلى النفخ فى عوامل تهديد الدول المجاورة الأقوى، تبريرًا للاحتواء الأكبر.

الغلاف /